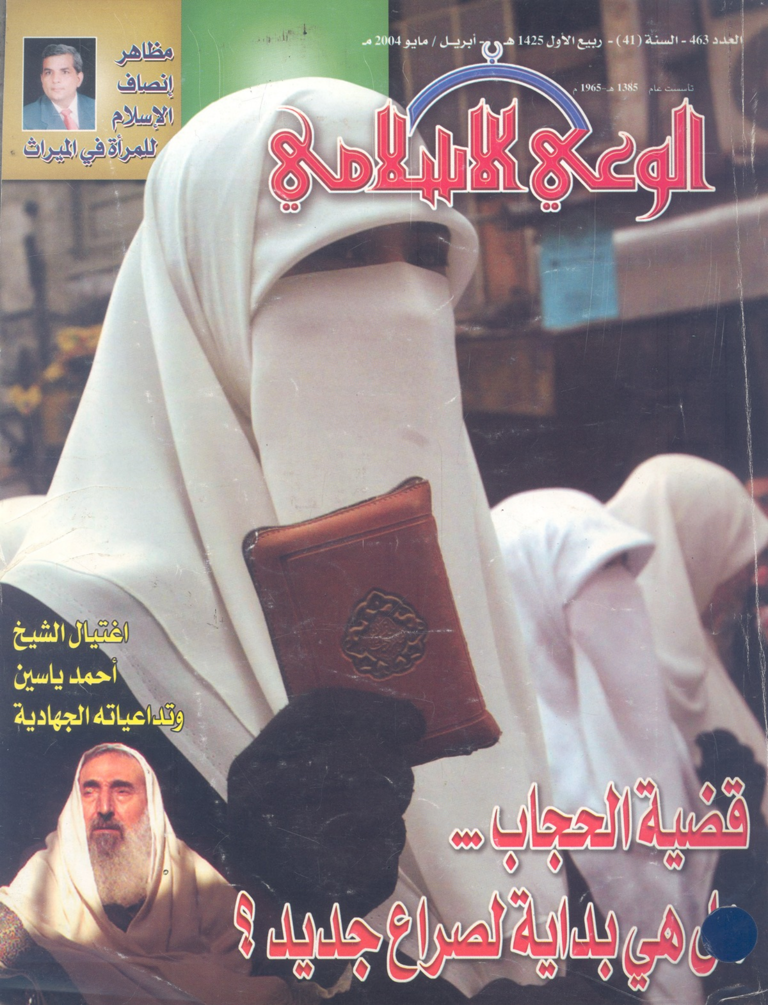
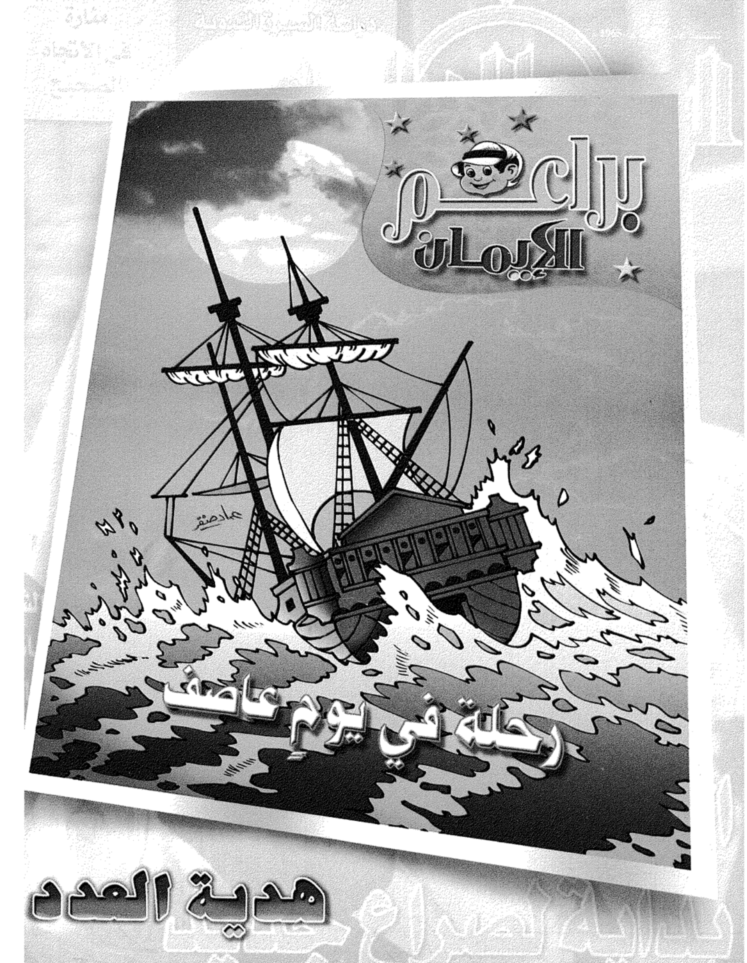


العدد 463 - السنة (41) - ربيع الأول 1425 هـ - أبريل / مايو 2004 م
تأسست عام 1385 هـ-1965 م
الوعي الإسلامي
مظاهر إنصاف الإسلام للمرأة في الميراث
اغتيال الشيخ أحمد ياسين وتداعياته الجهادية
قضية الحجاب... هل هي بداية لصراع جديد؟


براعم الإيمان
رحلة في يوم عاصف
هدية العدد

رئيس التحرير

e.mail: alwaei@awkaf.net

ندوة الأوقاف ... منارة في الاتجاه الصحيح

«الندوة السابعة لمستجدات الفكر الإسلامي» التي عقدتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، جاءت في سلسلة الندوات التي دأبت الوزارة على عقدها منذ فبراير العام ١٩٩٢م، من أجل ترشيد مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، الذي يواجه جملة من التحديات والمتغيرات على الساحتين الإسلامية والعالمية.

إن المتتبع لخط سير هذه الندوات يجد بكل وضوح أن هناك قاسماً مشتركاً يجمع بين محاورها وأبحاثها ومنطلقاتها، وهو تأكيد على جملة من المبادئ الثابتة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه وأبرز هذه المبادىء.

١. الوعي بالذات فكرياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وتحديد مواطن الخلل وأسبابه، وعلاجه، فالوعي بالواقع شرط من شروط توجيهه، وتوجيه حركته، بما يتوافق وتوجهات الأمة.

٢. معرفة القوانين التاريخية والسنن الكونية التي تحكم الحياة، فالصراع والتدافع هو سبيل الحيوية والنمو، ولا يمكن أن يتوقف إلا بتوقف الحياة.

٣. التأكيد على منهج الحوار في التعامل مع الآخر في عالم منفتح لا مجال فيه للعزلة والانكفاء ولا مكان فيه لأفكار الغلو والتطرف.

٤. التأسي بوقائع السيرة النبوية وأحداثها، وجيل الصحابة الأول والتابعين من أجل تسديد المسيرة وتجنيبها مواطن الزلل والانحراف.

لقد أصابت الوزارة، حين دعت لحضور هذه الندوات ثلة من علماء الأمة ومفكريها، ممن يمثلون التيارات الفكرية والثقافية المختلفة والمذاهب المتعددة، لأن هذا من شأنه أن يحطم حواجز الوهم والخوف والتردد عند الأطراف كافة. والتي هي من صنع أيدٍ خارجية مشبوهة. وينسف من الجذور استبداد كلٍّ برأيه، فالشورى هي الأساس، والحوار الهادىء والنقاش المثمر هي السبيل الوحيد للوصول إلى أرضية مشتركة، نحصّن بها بيتنا من الداخل والخارج، ونتصدى بها لكل من يريد تشويه صورة الإسلام، وننطلق منها في مشروعنا النهضوي المعاصر، لنعيد للأمة دورها الحضاري الفاعل في المسيرة الإنسانية المعاصرة.

إننا في الوقت الذي نشد فيه على أيدي المسؤولين في الوزارة، ونبارك جهودهم الخيِّرة في إقامة مثل هذه السلسلة من الندوات، فإننا نأمل منهم التفكير جدياً في عقدها في المستقبل في أكثر من مكان، وفي أكثر من دولة إسلامية، لتعم الفائدة، وتتحد الآراء، وتلتئم الصفوف، وتتوحَّد الكلمة بين أبناء البلد الواحد، وبين أبناء الشعوب الإسلامية جميعاً، وهذا ما فعله المسؤولون في بيت الزكاة الكويتي ومجمع الفقه الإسلامي والقائمون على المصارف الإسلامية، حين عقدوا مؤتمراتهم في أكثر من بلد إسلامي، فهل نرى مثل هذه الخطوة في المستقبل؟، هذا ما نأمله، والله من وراء القصد ■

جاسم محمد مطر شهاب



إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير جاسم محمد مطر شهاب

العدد 463 - العام الواحد والأربعون - ربيع الأول 1425 هـ - أبريل / مايو 2004 م

كلمة العدد

منهج التغيير والإصلاح

الأخوة القراء:

في مثل هذا الشهر، شهر ربيع الأول، ولد المصطفى محمد، صلى الله عليه وسلم، حاملا معه منهج التغيير والإصلاح الرباني لهذه الأمة، ولكل شعوب الأرض: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، وكيفية تطبيقه على أرض الواقع.

لقد حقق هذا المنهج خلال بضع سنوات نجاحاً شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، وأقام حضارة لا مثيل لها في الدنيا، ونحن اليوم في أمسّ الحاجة لهذا المنهج التغييري الحضاري لنعيد بناء الأمة من جديد، ونقدم للإنسانية حلاً جذرياً لكل مشكلاتها، وهذا ما أكدنا عليه من خلال هذا العدد الذي عالج أيضاً قضايا فكرية وثقافية متنوعة، مثل: قضية اغتيال الشيخ أحمد ياسين وتداعياتها، وقضية الحجاب في فرنسا، وقضية الاستشراق، وقضية الخواء الروحي في الغرب، وارتفاع الأصوات للمطالبة بالعودة للقيم المسيحية.

وكلنا أمل أن نكون قد حققنا جزءاً من رغباتكم واقتراحاتكم، ونحن في انتظار المزيد من التفاعل مع قضايا العصر ومستجداته بفكر وسطي معتدل يقدم الصورة الناصعة للإسلام ■

الوعي الإسلامي

في هذا العدد

إقرأ في العدد اللاحق

ماذا يقدم المسلمون للإنسانية في عصر العولمة؟

د .عبدالحليم عويس

هل يفيد العلاج الروحاني في مداواة المرضى؟

د .عبدالرحمن النمر

هل هو غياب الثقة بين الإسلام والغرب؟

د .حسن عزوزي

موضوع الغلاف

محاولات مستميتة من قبل أطراف متعددة المشارب والأهواء لثني المرأة المسلمة عن ارتداء حجابها تحت دعاوى أنه قاصر على زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أنه رمز ديني يجب التخلي عنه... ترى ما حقيقة هذه الدعاوى، وما أغراضها المشبوهة؟

32



e.mail: alwaei@awkaf.net Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي

Islamic Monthly Magazine,
Published By The Ministry of
Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

Editor-in-chief
Jasem M. Shehab

Adm. & Fin. Controller
Khaled A. Buqammaz

Editing Director
Tammam A. Al-Sabbagh

Editor
Ahmad T. Helal

Editing Consultant
Dr. Emad E. O. Abozaid

Art Designer
Saleh M. Saleh

المحتويات

الأبواب الثابتة

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: لأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المراسلات

رئيس التحرير مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 ـ الكويت
هاتف:
٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس:
(+٩٦٥) ٥٣٤٨٩٥٤

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلسا ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : **دينار واحد** ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريال ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٥٠ ليرة ● المغرب : ١٠ دراهم ● ليبيا : **دينار واحد** ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

التوزيع:

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

● السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) ● اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر ● لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ ● الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ● الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع ● مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ● المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن احمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ● قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

تواصل

“ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.”

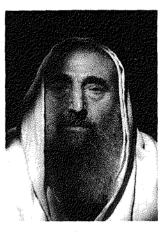
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

يأبى الله - عزَّ وجلَّ - إلا أن تكون نهاية أحبائه وأوليائه على الوجه الذي يحب ويرضى، ليكونوا في منزلة أعز وأسمى، ويرفعهم إلى الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.

وبينما يقبض ملك الموت على بعض الناس وهم يرتكبون المنكرات ويمارسون الموبقات، ويخادنون العاهرات، ويعبون من المسكرات، ويعاقرون الشهوات، ويرتكبون الخذلان والمهاترات، والقاعدين عن الجهاد والمقدسات، ويمارسون القمع والمذلات، ويكذبون.

وإذا بملك الموت يقبض روح الشهيد أحمد ياسين، بعد أن أدى صلاة الفجر، فيستشهد على يد أبناء القردة والخنازير، ومن خاطبهم المسيح قائلاً: «يا أولاد الأفاعي يا أولاد الزناة»، أبى هؤلاء الجبناء إلا أن يستشهد الشيخ الذي كان يأبى إلا أن يذهب إلى المسجد ويؤدي الصلاة في وقت لا يجرؤ فيه كثير من قادة الأمة من سياسيين وزعماء أن يذهبوا للمسجد من دون حراسات، فضلاً عن أداء صلاة الفجر، فهم في هذه اللحظات يغطون في سبات.

الحسين محمد - مصر



الشيخ الشهيد أحمد ياسين

الأخت المسلمة... كوني على حذر

إن الاهتمام بمخاطبة المرأة... نابع من اقتناع وإيمان بخطورة دور المرأة في بناء المجتمع وأن المرأة هي العامل الفاعل الأول في بناء الأمم، ويعلم الأعداء ذلك جيداً، ولذلك ركزوا جل اهتمامهم على المرأة.. لأن تدمير المجتمع يبدأ من تدمير المرأة متمثلاً في إفساد عقيدتها والسيطرة على تفكيرها... وتدمير أخلاقياتها... ومن هذا المنطلق يجب علينا جميعاً التصدي لهذه المؤامرة رجالاً ونساء.. وإن أشد ما يحزن أن أجد ثمار أعداء الدين قد بدأت في الظهور، فأسمع بعض بنات الإسلام يرددن الادعاءات الباطلة التي أطلقها الأعداء في الغرب.. ومن هذه الادعاءات أن الإسلام عدو المرأة... وأنه يحرمها من متع الحياة وحرية الرأي... وأن الإسلام لا يريد للمرأة إلا أن تكون قطعة أثاث في منزل الزوجية... وأنه يحجب عقلها وفكرها!! وأجدهن يرفعن رايات العصيان ضد الإسلام وكل ما هو إسلامي... وينزعن عنهن رداءه ويندفعن في أحضان الحضارة الغربية متوهمات أن في ذلك خلاصهن!! وهذه كلها ادعاءات كاذبة وباطلة.

الأخت المسلمة: كوني على حذر.. ولا تستمعي إلى نقيق دعاة الشر والإلحاد والفساد، واعلمي أنهم يدعونك إلى السقوط في الهاوية.. يدعونك إلى الوقوع في المستنقعات الوبيئة من حيث لا تشعرين. فكوني على حذر.. لأن سقوطك هو سقوط للأمة.

محمد السيد عامر - مصر



تصحيح

حصل خطأ مطبعي في عدد المجلة رقم ٤٦٢ صفر ١٤٢٥هـ، في باب «قطوف إسلامية» صفحة ٩٤، فقد نُشرت الآية القرآنية الكريمة: (فإن أجل الله آت)، والصحيح كما ورد في كتاب الله في سورة العنكبوت: (فإن أجل الله لآت)، فنرجو الانتباه لذلك، ومعذرة لما حصل، وشكراً للإخوة القراء الذين نبَّهونا لذلك وجزاهم الله كل خير ■

تعقيب «قضية الحجاب في فرنسا «سلبيات تحتاج إلى حل»

قرأت في مجلتكم العدد (٤٦١) السنة (٤١)، محرم ١٤٢٥هـ، فبراير ـ مارس ٢٠٠٤م، كلمة رئيس تحرير المجلة حفظه الله تعالى، تحت عنوان: «قضية الحجاب في فرنسا «سلبيات تحتاج إلى حل»، فأعجبني هذا الكلام أيّما إعجاب، ورأيت أن أعلق على ذلك لإتمام الفائدة، وهذا التعليق ليس إلا إسهام بسيط من مسلم يهمّه أمر المسلمين في كل مكان، ولعله يسهم في غرس قناعة لدى من نعني في مسألة الحجاب وغيرها، فأقول:

أولاً: إن على حكام المسلمين واجبات نحو دينهم ودين أمتهم، وإنهم يستطيعون من خلال قنواتهم الخاصة في وزاراتهم المتنوعة، ومن خلال لقاءاتهم بأمثالهم من الحكام أن يتبنوا فكرة الدعوة إلى الله والدفاع عن الدين، وعن قضايا المسلمين وأن يرفعوا عن أنفسهم وعن أمتهم وعن دينهم وعن بلادهم كثيراً من الظلم، بل لعلهم يصلون إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير، فديننا دين الفطرة، ودين الحق، ودين اليسر، وكلام الله مؤثر يجب أن يسمعه الآخرون، ولعل حامل فقه إلى من هو أفقه منه، لا تدري.

ثانياً: إن ما ذكره السيد رئيس تحرير المجلة ـ حفظه الله ـ جميل جداً وقد أعجبني غاية الإعجاب من نواح عدة:

الأولى: اقتراحه إيجاد مرجعية واحدة للمسلمين مختصة في النظر في قضايا المسلمين ولاسيما قضايا الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية ومتابعتها، والتحدث إلى المعنيين بها هنا وهناك، وإعطاء كل مسألة حكمها الشرعي المناسب لها لتنقطع الآراء الارتجالية الفردية، أو تقل، فلا يبقى لها كبير أثر، لأنها تصبح حينئذ إلى الشذوذ أقرب.

الثانية: تحريك أغنياء المسلمين بشكل سريع لتغطية حوائج المسلمين الأقلية من بناء مدارس خاصة لأبنائهم للحفاظ على دينهم وهويتهم الإسلامية بدلاً من تركهم للضياع والذوبان في بحور العادات والتقاليد الغريبة عن ديننا، وتربيتنا بسبب الإلف والخلطة، وإن هذه العادات كما هو مشاهد سريعة الانتقال والعدوى وذلك لما عند الإنسان عموماً من ضعف ينتابه بين الفترة والأخرى في إيمانه ودينه، أو رغبة في اتباع الهوى والنفس، إضافة إلى ما لديه من جهل في كثير من أمور دينه، وغفلة تعتريه.



وكذلك بناء المساجد والمراكز الإسلامية التي تحتضن المسلمين وأبناء المسلمين، وتغذيهم علمياً وروحياً وتربطهم بربهم وبدينهم حتى يشعر أحدهم كأنه يعيش في بلد إسلامي، وفي جو إسلامي.

ثالثاً: إن ما يحدث من خلاف بين العلماء والمفكرين والمفتين في بعض المسائل الدينية، وينطلق هذا الخلاف إلى آذان الناس عبر الفضائيات بصور لا تمثل الأدب الإسلامي في الخلاف، ولا تمثل الخلق القرآني في الحوار، ويستمع إلى هذا المحب والمبغض، والصديق والعدو، والمغرض وغيره، والمستوعب وغير المستوعب، يحدث نوعاً من البلبلة والتشكك في صفوف المسلمين، ويفتح المجال لمرضى القلوب الذين يصطادون في الماء العكر للكلام الكثير الذي يؤذي المسلمين، ويعطي صورة مشوّهة عن العلماء وعن الإسلام لا تليق بهم ولا بالإسلام، فعلى العلماء الحذر الحذر، والذي أريد قوله ما يلي:

أحياناً يأخذ الخلاف دربه إلى المختلفين، ويكون شبه ضروري أو قل ضرورياً، وكأنه فرض فرضاً، وذلك عندما يتفلت من أحدهم حكم غير صحيح في مسألة الربا مثلاً، أو الحجاب أو غيرهما، وهذا الحكم يستنكره الأمي الجاهل، وطالب العلم المبتدئ قبل أن يستنكره الفقيه العالم لوضوح الخطأ، فلا يقدر على السكوت، ولا يسعه الصمت، ولا يرضى أن تمر هذه الفلتة وتتركز في عقول الناس من دون رد ولا توضيح لعوارها البيِّن، وأنه يجب أن يُقال: إنها سقطة من عالم ولا سيما إذا كان من تفلتت منه مُصرًّا على ذلك، فالواجب الديني هنا الرد والبيان بالأسلوب الديني العلمي والنقد البناء الهادف بعيداً عن التجريح، ليعرف الناس دين الله الصحيح، ويعرفوا الخطأ والمخطئ أياً كان هذا المخطئ، لأنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنه ما منّا إلا من رد ورُدَّ عليه.

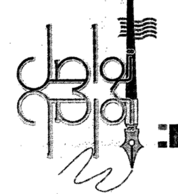
وفي الختام، أرغب أن أقول كلمة في مسألة الحجاب يوافقني عليها السواد الأعظم من المسلمين، والله تعالى أعلم، وهي: إننا نعتب على فرنسا في منعها الحجاب في المدارس الحكومية، ونستنكر ذلك، ويحق لنا ذلك، لكننا بالمقابل ننسى ما عليه بعض الدول العربية الإسلامية التي مازال منع الحجاب فيها ساري المفعول منذ زمن طويل إلى يومنا هذا، ترى ماذا عسانا أن نقول لهؤلاء المانعين من أبناء جلدتنا؟، نقول لهم: اتقوا الله ولا تحاربوا دين الله، فشعوبكم مسلمة، ودياركم ديار الإسلام، لقد خرج من بلادكم عدد كبير من مواطنيكم، لهذا السبب ولغيره، إلى بلاد يطلبون فيها الحرية في العقيدة والعبادة واللباس، فوجدوا البلاد التي لا تدين بالإسلام تعطيهم هذه الحرية لكنهم مع مرور الزمن، فوجئوا بالمعاملة التي عوملوا بها في بلادهم الأولى، فإلى أين يهرب المسلمون بدينهم يا مسلمون؟!؟

وليد عبدالهادي الخطيب ـ الكويت

أزمة الحجاب والحرية الشخصية

مما لا شك فيه، أن أزمة الهوية والأيديولوجية التي تعاني منها فرنسا.. وانتشار الإسلام وقوته في نفوس أبنائه، أصبحت مسألة تقلق الاتجاه العلماني، من هذا المنطلق يجب على المؤسسات الإسلامية.. وعلماء الأمة التحرك لإفهام البلدان التي تعادي الحجاب الإسلامي... بأنه شريعة إسلامية.. ولا يجوز لأحد التدخل لمنع الفتاة المسلمة من ارتدائه.

يحيى السيد النجار ـ مصر



أوقفوا هذه البرامج التلفازية المدمّرة

في غمرة الأحداث الدامية التي تتعرض لها أمتنا العربية والإسلامية، وفي وقت تتدفق فيه شلالات الدم الغزيرة في فلسطين والعراق وأفغانستان يومياً.

وفي ظل تتابع الهزائم والمآسي والكوارث والأزمات المعيشية والاقتصادية وتفشي البطالة والهجرة التي تقتضي منّا ومن مجتمعاتنا أقصى درجات الوعي والحيطة والحذر، والعمل البناء للنهوض بالبلاد في جميع الميادين، يشارك الإعلام المرئي في تكريس حال الغيبوبة للمجتمع العربي عبر طرحه لبرامج مشبوهة تحمل في طياتها كثيراً من بذور التخريب والتخدير للعقل العربي والإسلامي. لذا نؤكد على ما يلي:

أولاً: إن البرنامج التلفازي «ستار أكاديمي» الذي يبثه تلفاز الـ(LBC) على مدى ٢٤ ساعة في اليوم، والذي أصبح البرنامج الأكثر تأثيراً في نفوس المراهقين والمراهقات، وبات محور حديثهم وسلوكهم وتفكيرهم، ليس إلا جزء لا يتجزأ من معاول الهدم التي تستهدف كل القيم الأخلاقية التي يتربى عليها أبناؤنا وبناتنا على حد سواء.

ثانياً: إن هذا البرنامج المشبوه يروّج في لبنان وفي العالم العربي مفاهيم خطيرة وهدّامة تشكل تخريباً فكرياً وهدماً كاملاً لكل مبادئ الفضيلة التي ينادي بها الإسلام والمسيحية.

فمفهوم المساكنة، والاختلاط الماجن وغير المحتشم، والعلاقة العاطفية الجماعية بين المراهقين والمراهقات، والفوضى والعبثية، والكلام البذيء والسلوك المشين، وكل أنواع التقبيل والعناق، ولبس الفاضح من الثياب، والرقص الخليع، والغناء الماجن، واللهو والعبث، والإيحاءات الجنسية المتكررة، كل ذلك أصبح في أذهان طلابنا وطالباتنا أمراً طبيعياً لا غبار عليه، فتل أوقاتهم وشغلهم عن طلب العلم والقيام بواجباتهم المدرسية والجامعية، ومطالعة الكتب العلمية والأدبية المفيدة، ومتابعة البرامج النافعة، وهتك أستار الحياء.

ثالثاً: إننا في حاجة في هذه الأيام إلى برامج إعلامية علمية وأدبية، تغذي العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان والمثل، وتشحذ الهمم، وتقوّي العزائم، وتربط أبناء أمتنا بقضاياهم الرئيسة، وتدعو إلى العمل الدؤوب للنهوض بمجتمعاتنا، وتحقيق حريتها وسيادتها، ومحو آثار الجهل والتخلف عنها.

إن أمتنا ليست في حاجة إلى مثل هذه البرامج السخيفة التي تتسابق عليها قنواتنا التلفازية اللبنانية حتى باتت تشكل خطراً كبيراً على كل العالم العربي من دون استثناء.

فمن «ستار أكاديمي» إلى «سوبر ستار» إلى «على الهوا سوا» إلى «انتخابات ملكة جمال لبنان»، إلى انتخابات «أجمل عارضة أزياء»، إلى انتخاب «ملك جمال الشباب»، وغيرها من البرامج التلفازية، لا تزيد هذه الأمة إلا تخلفاً وتردياً أخلاقياً وتبعية للغرب وتقاليده وثقافته الإباحية.

رابعاً: لقد أساءت هذه البرامج إلى سمعة لبنان في الداخل والخارج، وكأن المطلوب من بعض المؤسسات الإعلامية في لبنان تحويل هذا البلد إلى عاصمة للخلاعة والميوعة والنزوات والشهوات في الوطن العربي، ومنبر لهتك الحرمات، وتلويث البيئة الثقافية، وترويج للمخدرات الفكرية.

خامساً: إننا نرفض وبكل وضوح، أن تتحول الفضائيات اللبنانية إلى مصنع للعبث والمجون، ونفث السموم والفنون الهابطة تحت ستار «حرية الإعلام خط أحمر»، لأن حماية الأخلاق والآداب العامة هي الخط الأحمر الذي لا يجوز تجاوزه أبداً، فضلاً عن أن حرية الإعلام ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأحكام الدستور والقوانين المرعية.

إن استباحة فضائنا من قِبَل بعض المؤسسات الإعلامية والخرق اليومي لأحكام الدستور والقانون والنظام العام والأخلاق والآداب العامة وغياب المساءلة القانونية، وتوقيع العقوبات التي نص عليها قانون البث التلفازي والإذاعي وقانون البث الفضائي، من شأنه تشجيع التطرف والعنف ونشر الفساد في الساحتين اللبنانية والعربية، وإيجاد مناخ محتقن، في الوقت الذي نحن فيه بأمس الحاجة إلى الوحدة الداخلية والخارجية مع أبناء الأمة للوقوف في وجه الأخطار التي تهددها.

سادساً: إن بث برنامج «ستار أكاديمي» وأمثاله يتعارض مع قيمنا وأخلاقنا أولاً كما يتعارض مع أحكام المادتين (٧) و(٣٤) من قانون البث التلفازي والإذاعي رقم ٩٤/٣٨٢ لجهة وجوب تقيد المؤسسة الإعلامية بشروط الترخيص والأحكام القانونية النافذة واحترام الشخصية الإنسانية وحرية الآخرين وحقوقهم، والمحافظة على النظام العام وحاجات الدفاع الوطني ومقتضيات المصلحة العامة.

وهو يتعارض أيضاً مع المادتين (٣) و(٣٦) من قانون البث الفضائي رقم ٩٦/٥٣١ لجهة تعهد المؤسسة الإعلامية للتقيد بأحكام القوانين والأنظمة النافذة، وبعدم بث برامج من شأنها الإخلال بالنظام العام أو مضرة بسلامة الدولة، أو بحسن علاقاتها مع البلدان العربية والأجنبية الصديقة أو البرامج التي تؤثر على سلامة وأمن تلك البلدان، والبرامج الإباحية المضرة بالآداب والأخلاق العامة، والتزام المؤسسات التلفازية والإذاعية عند بثها لأي إعلان أن يحتوي على ما يخدع المستهلك ويضر بصحته ومصلحته، وألا يحتوي على عناصر تسيء للنشء والأخلاق العامة.

سابعاً: إننا ندعو رئيس الجمهورية اللبنانية، ورئيس مجلس الوزراء اللبناني، ووزير الإعلام، والمجلس الوطني للإعلام، والمراجع الروحية والدينية، والوزراء والنواب، وهيئات المجتمع المدني، إلى العمل لوقف هذه البرامج الخطيرة والهدامة، واستبدالها ببرامج هادفة ومفيدة، تجمع بين العلم والأخلاق، والتسلية والتنمية.

كما ندعو إلى وقف الفلتان الإعلامي المنتشر عبر القنوات اللبنانية، وشبكات الاشتراك الفضائية، ومحلات «الإنترنت الشعبية»، والمجلات والصحف الإباحية، ودور المسرح والسينما، ندعو أيضاً إلى تطبيق قوانين الرقابة التي ينص عليها القانون اللبناني لحماية أجيالنا من دعاة الفساد والإباحية الذين يتاجرون بالأعراض والقيم الأخلاقية، وينشرون الرذيلة بين الناشئة، ويجنون المال الحرام.

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) النور:١٩.

الهيئات الإسلامية – لبنان



شاركنا الأجر
في محاربة المرض والفقر
منذ أكثر من عشرين عاماً نمد يد العون للمرضى المعسرين
ساهم
بالصدقات حساب رقم ١١٠١٠١٢٣٤٢٤
الزكاة حساب رقم ١١٠١٠٠٤٢٥٨٠
الإغاثة حساب رقم ١١٠١٠١٣٥٥٥٤
لدى بيت التمويل الكويتي
خدمة المتبرعين: ٩٢١٥٦٠٩ - ٩٢٥٣٢٧٨
صندوق إعانة المرضى
صندوق إعانة المرضى
أول لجنة طبية خيرية تأسست عام ١٩٧٩ م
على يد مجموعة من الأطباء الكويتيين
الإدارة : القادسية قطعة 1 شارع 10 منزل 3 تلفون 2560061/2/3 فاكس : 2571741
ص.ب 24409 الصفاة - الكويت الرمز البريدي 13105 - البريد الالكتروني:www.phf@phf.org.kw

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عقدت الندوة السابعة لمستجدات الفكر الإسلامية



تغطية: تمام أحمد - أحمد توفيق

تحت رعاية سمو ولي العهد الشيخ «سعد العبدالله الصباح»، الذي أناب عنه د. «عبدالله المعتوق» وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وبحضور العشرات من علماء الأمة ومفكريها من داخل دولة الكويت وخارجها بهدف إيجاد بيئة فكرية سليمة تتلاقى فيها التيارات الفكرية، المتعددة وتتصهر فيها كل الرؤى بما لا يتعارض مع كتاب الله وسنة نبيه، وهوية الأمة وثقافتها، عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوتها السابعة لمستجدات الفكر الإسلامي وذلك خلال الفترة بين ١ - ٣ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢ - ٢٤ مارس ٢٠٠٤م.

محاور الندوة

وقد ناقشت الندوة على مدى أيامها الثلاثة، المحاور الفكرية التالية:

مفهوم التعاون الإقليمي ومجالاته، مبدأ التعاون الإقليمي والعالمي في المنظور الإسلامي، التعاون الإقليمي والعالمي من خلال التحديات والعوائق، واقع التعاون الإقليمي والعالمي وأثره على الأمة الإسلامية، مبدأ جلب المصالح ودرء المفاسد في ظل التعاون الإقليمي والعالمي.



د. عبدالله المعتوق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

جهودنا مستمرة لتصحيح المسار

وزير الأوقاف د. «عبدالله المعتوق» أكد في كلمته التي ألقاها في حفل الافتتاح أن الإسلام دين السلام والخير لشعوب الأرض، وأن من الخطأ البيّن السكوت على ما يردده من لا حظ لهم في الفقه من أن الإسلام يحرّم التعامل مع غير المسلمين، أو التعاون معهم أو يحرّم السلام على المخالفين من المسلمين، ويوجب هجرهم، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة.

واسترجع د. «المعتوق» حال الأمة الإسلامية خلال القرن الماضي، واصفاً إياها بمن أعلن موته على يد الاستعمار بقوله «بالأمس القريب، في القرن العشرين، اختلط الحق بالباطل بأن شخصت الدول الكبرى حال الأمة العربية بالمريض مرض الموت، ومن ثم بادرت بإعلان موته وتوزيع تركته توزيعاً غادراً لا ينال أهله من تركته إلا الفتات».

ولفت د. «المعتوق» إلى أن هذا الظلم والعدوان حرّك التيارات الإسلامية والوطنية لترد الحق إلى أهله ولتقود مسيرة الإصلاح الذي يؤدي إلى إعادة صحوة الرجل المريض ليقود شؤونه بنفسه.

وشدد د. «المعتوق» على أن هذه الصحوة لم تستقم على أصولها الإسلامية، فشهدت نهاية القرن العشرين انحرافاً ظاهراً في الفكر والسلوك، مؤكداً أنه أدى إلى استحلال النفس والمال، فكانت الحوادث الإرهابية التي وصفها بالمؤلة والمؤسفة في مختلف أنحاء العالم.

وأردف د. «المعتوق» أن هؤلاء شباب غرهم في دينهم بعض ما علموه من القشور فأفتوا بغير فقه، متجاوزين الثوابت التي حافظ عليها أئمة المذاهب الإسلامية.

وأشار الوزير د. «المعتوق» إلى أن هذه الأفكار الخاطئة دعت دولة الكويت متمثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إلى الإسهام في تصحيح المفاهيم الخاطئة التي شابت الفكر العربي المعاصر، فتبنت ندوة إسلامية عالمية سنوياً، وهي ندوة «مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر»، حيث يتم خلالها إبداء الآراء وتقديم البحوث والاجتهادات بحرية كاملة، مشدداً على أن اختيار شعار هذا العام «الإسلام والتعاون الإقليمي والعالمي»، ليكون القرن الواحد والعشرون قرن تعاون وسلام، لا قرن صراع واقتتال».

وأوضح أن تردي أوضاع المسلمين في أماكن مختلفة من العالم لا يخفى على أحد، مؤكداً أنه آن الأوان لأن نلجم نزوات العواطف بنيرات العقول.

عمل جماعي صادق

من جانبه، أكد وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحريني الشيخ «خليفة بن حمد آل خليفة»، أن الإسلام فتح آفاق التعاون العالمي

لتحقيق الأمن والرفاهية للإنسانية في ظل الضوابط الشرعية من النصوص الواردة في كتاب الله.

ولفت الشيخ «آل خليفة» إلى أن ندوة مستجدات الفكر الإسلامي التي تقيمها دولة الكويت تعتبر واحدة من الحلقات المترابطة في إطار العمل الجماعي الصادق للمِّ الشمل وتوحيد صفوف الأمة وجمع كلمتها بغية الوصول بها إلى بر الأمان، مشدداً على أن من يضمد جراح هذه الأمة هم علماؤها ومفكروها الذين هم ورثة الأنبياء وأمناء الشريعة.

جهود مشكورة

إلى ذلك، أثنى الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية د.«عصمت عبدالمجيد» على الجهود المضنية التي تبذلها الكويت في بحث مستجدات الفكر الإسلامي، من أجل تجميع الرؤى والأفكار وصياغتها صياغة سليمة تلبي آمال الأمة وطموحاتها.

عالم الأفراد والأحرار

وقد أكد رئيس وزراء البوسنة السابق «حارس سيلازيجتش»: «أن العالم الجديد سيكون عالم الأفراد الأحرار في دينهم وثقافتهم وتعاملهم مع الآخرين».

وأضاف: «أن هناك عدداً من المحاولات تسعى لوضع الإسلام خارج التاريخ، لهذا يجب أن تنتهي المعركة الحضارية بين الشعوب».

وقال: «إن من الأمور الخطيرة وصف حضارة ما بعدم قدرتها على التعامل مع الحضارات الأخرى، لأنه لا يوجد أي شعب من الشعوب ليس لديه القدرة على محاورة الطرف الآخر والاستماع إليه».

مخرج فكري وسطي

ومن جانبه، قال وزير الأوقاف والدعوة والإرشاد السوداني الدكتور «عصام البشير»: «إن المقاومة هي الطريق الأوحد أمام الشعوب لاستعادة الحقوق المغتصبة منها».

وأضاف: «أن التعاون والتقارب فيما بين أبناء الأمة يكفل لها الاكتفاء الاقتصادي»، موضحاً: «أن ٨٠٪ من أرض السودان صالحة للزراعة ومصر تمتلك الأيدي العاملة ذات الخبرة الواسعة ودول الخليج تمتلك المال الكافي، الأمر الذي يؤدي - لو اجتمعت هذه الأمور - إلى تغيير كثير من الأمور في المنطقة».

وأكد «أن الواقع الذي تعيشه أمتنا في حاجة إلى مخرج فكري وسطي، لأنها ضاعت بين دعاة التكفير ودعاة التخدير، متمنياً أن تكون الندوة السابعة لمستجدات الفكر الإسلامي بداية للتعاون المشترك على كل الأصعدة لأنه الطريق الأجدى في حفظ كرامتنا أمام الآخرين».



المحاضرون في الندوة


من الحضور

حقيقة تعاون الأديان

وأكد المندوب السامي البريطاني السابق «بيدي أشدوان» أن جميع الديانات السماوية دعت إلى التسامح، لأننا جميعاً أبناء إبراهيم، وهي الحقيقة التي تقرها جميع الأديان، بما فيها الإسلام، لذلك نشعر بالصدمة ممن نراهم يقتلون الآخرين باسم الدين، فهذا هو الإرهاب، مستغلين الإسلام كغطاء لقوميتهم وانتماءاتهم، ولا يعرفون بأن البناء لا يقوم على الكراهية، بل على المحبة والوئام آمل أن تكون هذه الندوة طريقاً لتحقيق ذلك المطلب.

عرض وثائقي

وفي ختام فقرات حفل الافتتاح، عُرض فيلم وثائقي تضمَّن مسيرة الندوة منذ انعقادها الأول في فبراير العام ١٩٩٢م، وحتى انعقادها الحالي السابع، والمحاور التي ناقشتها من أجل خدمة ديننا وأمتنا وبما يضمن التواصل والاستمرار بينها وبين أمم الأرض جميعاً ■

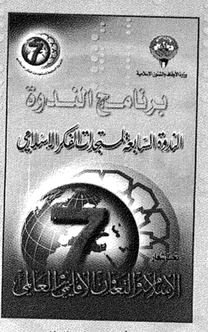
توصيات الندوة

أصدرت ندوة «مستجدات الفكر الإسلامي السابعة» في ختام فاعلياتها عدداً من التوصيات، وأكدت أن السبيل إلى تحقيق التوازن في العلاقات الإقليمية الدولية يقتضي العمل بالتصور الإسلامي، حيث الإيمان بالتعددية الحضارية الثقافية والتشريعية والسياسية والاجتماعية.

وأكدت التوصيات ضرورة العمل على تنمية آفاق التواصل الحضاري وفق تلك الإفادة من الحضارة العالمية في المنهج العلمي في الكونيات والنظم الإدارية المتقدمة، وتجديد الإحساس بقيمة الوقت والعدل في ظل مناخ كريم، والدعوة إلى قيام شراكة إنسانية صحيحة وقويمة، والتبادل العادل للمصالح والسعي الجاد إلى مقاومة نزعة التطرف على اختلاف أنواعه وأشكاله.

وطالب المشاركون في الندوة، بضرورة الدعوة إلى تأصيل فقه الأقليات المسلمة في مجتمع غير المسلمين، وفق قاعدة «لا تكليف إلا بمقدور» بما يحقق للمسلمين الحفاظ على هويتهم دون انكفاء، وتفاعلهم دون ذوبان، والتركيز على المنظومة القيمية في علاقة الإسلام مع الآخر، والقائمة على وحدة الأصل الإنساني ومنطلق التكريم الإلهي للإنسان، وإحياء مبدأ التعارف وتعميق الإخوة الإنسانية، وكذلك التعامل بالبر والعدل مع المسالمين منهم.

وأوصى المشاركون أيضاً بضرورة العمل على إيجاد القواسم المشتركة، والإعلاء من شأن القيم المتفق عليها، فالحضارات تتقاسم الكثير من القيم مثل العدل والمساواة والحرية، مشددين على عدم تصنيف الآخر على أنه كتلة واحدة، بل يتم التعامل معه على أساس أنه دائرة واسعة الأرجاء، متعددة المنافذ، يمكن مخاطبتها بموضوعية لرعاية المصالح والمنافع المتبادلة دون حيف أو ظلم لتحقيق الأمل والسلام العالميين.



وأكدت الندوة ضرورة الالتزام الواضح بالضوابط الأخلاقية والقانونية وبالحرية وحقوق الإنسان، ومشروعية الخلاف الفكري، والتعدد الديني والثقافي، والتداول السلمي للسلطة، والدفاع عنها بوصفها أسساً من مبادئ الإسلام ونبذ العنف في العمل السياسي، والدعوة إلى إحياء مبدأ التعايش الحضاري، واستكمال التوازن المفقود في الحضارة المعاصرة بالأساس الأخلاقي عبر قدوة ومصداقية يتطابق فيها المثال والواقع.

ودعا المشاركون إلى مخاطبة الرأي العام العالمي من منطلق إنساني تجاه مآسي المسلمين مع استخدام وسائل الحوار والتفاهم، وتدعيم فكرة المواطنة للجاليات الإسلامية، وفق مراعاة المواثيق، والالتزام بالقوانين العامة، والعمل على الإسهام في علاج مشكلات وإفرازات الحضارة المعاصرة بما فيها من انحلال أسري، وتفكك اجتماعي، وانهيار أخلاقي، وانحراف جنسي، وتعصب عرقي، واختلال بيئي، والعمل على أن يأخذ العالم الإسلامي مكانة في المجموعة الدولية، ويكون له أثره في سير الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الدولية، مع تأكيد الثبات على الخصوصية الثقافية والهوية الحضارية لأمتنا.

ورفض المشاركون الاستعلاء الثقافي والقول بمركزيته الحضارية الكونية عبر فرض المناهج على أمتنا، مؤكدين ضرورة العمل على تأسيس قواعد الإصلاح وفق منظومتنا القيمية من دون استجابة لضغط الوافد مع المزيد من الاهتمام بالحوار لدعم التعاون المشترك، والاهتمام بتحديد أسلوب الخطاب الديني، وبخاصة الموجه إلى غير المسلمين، والتركيز على توضيح الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين في المجتمعات غير الإسلامية، ودفع المنظمات العربية والإسلامية العالمية، مثل «الإيسيسكو» و«الإليسكو» حتى تستطيع أن تلعب دوراً أكبر في دعم التعاون بين العرب والمسلمين وغيرهم.

وناشد المشاركون القادة العرب والمسلمين، على تقية ودعم العلاقات الإقليمية بينهم، وتوثيق العلاقات العالمية مع قادة العالم ما يحقق التعاون الإقليمي والعالمي، والاهتمام بنشاط المجتمع المدني «الجمعيات والهيئات غير الحكومية»، لما له من تأثير كبير في دعم التعاون الإقليمي والعالمي، وإنجاح روابط الصداقة بين الدول والجمعيات العاملة في مجال تصحيح صورة العرب والمسلمين لدى الغرب، والرد على ما يُثار ظلماً عنهم وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في نيويورك وواشنطن ■

يوسف عبدالعزيز الفليج - يرحمه الله

علمٌ فقدناه

ودَّعت الكويت يوم ٢٢ مارس الماضي ٢٠٠٤م، عَلَماً بارزاً ورجلاً فاضلاً من رجالاتها، عرفته الكويت بقلبه الإنساني الكبير، الذي احتضن مشكلات الناس، وسعى لأجل حلها برحابة صدر، الأمر الذي أكسبه احترام أبناء الكويت جميعاً، وأطلقوا عليه ألقاباً عدة كان أبرزها «أبوالفقراء».

ولد الفقيد الراحل «يوسف عبدالعزيز الفليج» العام ١٩٠٩م، ومنذ نشأته تعاطف مع القضايا العربية والإسلامية، وسعى من أجل دعمها، يحركه في ذلك قلب كبير، ونفسية سخية، ورغبة لا محدودة في العطاء.

عُرف العم «يوسف الفليج» - طيَّب الله ثراه - بمشاركته في تأسيس الكثير من المشاريع والمؤسسات التجارية الناجحة، وكأنه كان يملك مفاتيح النجاح السرية، فما أقدم على مشروع ما إلا وقد نجح وتفوق.

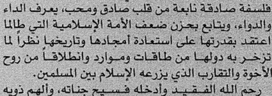
كان عضواً مؤسساً في غرفة تجارة وصناعة الكويت، عضواً في مجلس إدارة شركة ناقلات النفط الكويتية، وفي مجلس إدارة الخطوط الجوية الكويتية، وشركة السينما الكويتية، ومجلس إدارة بنك الكويت الوطني، واللجنة الشعبية لجمع التبرعات وغيرها.

أينما حل وفي أي دولة عربية، كان يغادرها وهو على عرش قلوب الأصدقاء والأخوة في تلك البلدان ما جعله يحظى أيضاً بشهرة عربية واسعة تليق به وتزيده مجداً.

تعلق المرحوم بديننا الحنيف، وكان من أبرز الدوافع لديه مناصرته لقضايا المسلمين في العالم، وتجلى ذلك في مواقف كثيرة، وخلال رئاسته أميناً فخرياً لصندوق غرفة التجارة والصناعة للوفد الكويتي إلى المؤتمر الصناعي الخاص بالدول الإسلامية الذي عُقد في القاهرة العام ١٩٩٥م قال: «إن دولة الكويت تعتبر ثاني دولة عربية من حيث حجم الاستثمارات في مصر بعد المملكة العربية السعودية، حيث تتركز تلك الاستثمارات في العقارات»، مشيراً إلى أن الهدف من ذلك هو الحد من محاولات بعض الدول المعادية للعرب «غزو الأسواق والسيطرة على اقتصادات الدول الإسلامية بطريق مباشر أو غير مباشر»، وأضاف الرجل الكبير يومها: «ولكن العالم الإسلامي جاءته الصحوة الكبرى من أجل رفع مستوى الفرد الإسلامي والمجتمعات الإسلامية اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً، فالعالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ، حيث تجمعه وحدة فكر وشعور وثيق الأثر، يمتد إلى يوم بزوغ فجر الإسلام، والقيم الإسلامية قادرة على التجدد والنمو والتفاعل مع أي تحركات عالمية تاريخية أو إنسانية، والدول الإسلامية تغطي مساحة جغرافية شاسعة، وتوجد بينها اختلافات من حيث الحاجات والقدرات، ما يعطي أرضاً خصبة لقيام مشروعات اقتصادية مشتركة ناجحة لتوافر العوامل الأساسية لقيام تلك المشروعات من مواد أولية وبشرية ومالية، فهناك دول إسلامية لديها الأيدي العاملة الفنية، ودول تتميز بأراض خصبة غنية بمواردها الطبيعية ورجال لديهم الإمكانات والخبرات لبناء مشروعات اقتصادية تعود بالنفع والفائدة على شعوب الدول الإسلامية عموماً».


يوسف عبدالعزيز الفليج

هذه الكلمات، تحمل في ثناياها فلسفة صادقة نابعة من قلب صادق ومحب، يعرف الداء والدواء، ويتابع بحزن ضعف الأمة الإسلامية التي طالما اعتقد بقدرتها على استعادة أمجادها وتاريخها نظراً لما تزخر به دولها من طاقات وموارد وانطلاقاً من روح الأخوة والتقارب الذي يزرعه الإسلام بين المسلمين.



رحم الله الفقيد وأدخله فسيح جناته، وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، إنا لله وإنا إليه راجعون ■

اغتيال الشيخ «أحمد ياسين» وتداعياته الجهادية على أرض فلسطين

> عملية الاستشهاد التي تمت للشيخ «أحمد ياسين»، لم تقدم للشيخ الموت، وإنما قدمت له شرف الشهادة، وهي حياة، كما أنها بعثت في شباب الأمة روح الجهاد

بقلم:
أ.د. مصطفى عرجاوي



كلية الشريعة
جامعة الكويت

إن الذين لا يستفيدون من تجاربهم يستسلمون للدوران في حلقات مفرغة... وهذا ينطبق على الكيان السرطاني الصهيوني المغروس في قلب الأمة العربية والإسلامية على ثرى فلسطين منذ ما يربو على نصف قرن بسنوات عجاف، فهو لم يتعلم حرفاً واحداً من سفر الجهاد والاستشهاد على ثرى فلسطين، لم يدرك أن قطرة الدم الواحدة تتفاعل وتتفجّر في لحظات شلالات المجاهدين الأشداء، لم يتعرف الصهاينة إلى معدن القيادات الجهادية، بالرغم من طول المعركة، وعدم توقف نزيف الدم جراء الاغتيالات، وعمليات الإبادة والهدم والتدمير... فضلاً عن الاعتقال والسجن والتعذيب... كلها لم تفت في عضد المجاهدين، بل إن مسيرات الجهاد عبر التاريخ لم تمت يوماً بموت مؤسسيها، وإنما تزداد قوة وعزيمة وإصراراً على تحقيق النصر مهما كان الثمن.

الشيخ «أحمد ياسين»

من يسمع بخبر الجريمة الصهيونية لا يستغرب ما تصنعه هذه العصابة بشعب فلسطين، ولكن سيعيش في دهشة كبيرة عندما يعلم أن هذه الجريمة النكراء قد تمت ضد الشيخ «أحمد ياسين» بتخطيط ومتابعة شخصية من زعيم العصابة الصهيونية «شارون»، بالرغم من الحقيقة المعروفة لدى الجميع، من أن الشيخ «ياسين»، متقدم في السن، مشلول الأطراف الأربعة، لا يبصر إلا بعينٍ واحدة بصعوبة شديدة، نظراً لفقده للعين الأخرى، لا يكاد يسمع الأصوات العادية، مصاب بالكثير من الأمراض المزمنة، لا يتنقل إلا على كرسي متحرك،، ولا يملك سوى تحريك رأسه ولسانه فقط... ومع كل هذا يستلزم اغتياله استفزاز عصابة كاملة تتمثل في دولة سرطانية، تسعى بكل أسلحتها الحديثة، من أجل القضاء عليه، فتسخّر أحدث الطائرات، وتقوم بإلقاء صواريخ فتاكة عدة، ليتحول الكرسي المتحرك بما عليه إلى أشلاء متناثرة، لينال الشيخ شرف الشهادة، ويبعث بموته روح الاستشهاد في نفوس الخامدين والمتخاذلين، فكان استشهاده بمثابة مسمار ضخم يدق في تابوت الدولة الغاصبة، ويعجّل بتفكيك كيانها المصطنع، ليرحل إلى غير رجعة عن ثرى أرض فلسطين العربية الأبية إلى يوم الدين.

اللسان والسنان

إن الجريمة الصهيونية المروعة ضد الشيخ «ياسين»، تؤكد للجميع أن اللسان - أحياناً - قد يصبح أمضى من السنان، أي أقوى من أعتى الأسلحة، وأشد من أفتك وسائل التدمير المعاصرة، لأن اللسان من ورائه عقل، والعقل من ورائه قلب، والقلب يملؤه الإيمان، والإيمان يستمد قوته من مالك الملك والملكوت، ومن العقيدة الراسخة التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر في أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فليس المهم السلاح في حد ذاته مهما بلغت قوته، ولكن المهم اليد التي تمسك بالسلاح، والعقل الذي يحركه، والقلب الذي ينبض من خلفه، ساعياً إلى الاستشهاد، مؤمناً بأن روح المقاومة في الأسد هي التي جعلته لا يُمسك للذبح كما تمسك الشاة، وأن الضرب في الصدور خير من الضرب في الأعجاز وفي الظهور، وأن شجرة الحرية ينبغي أن تروى من حين لآخر بدماء المخلصين الشرفاء، وأن شرف الشهادة يعني حياة، وأي حياة!؟ قال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) آل عمران: ١٦٩:١٧١. لذلك استحق الشيخ «ياسين» شرف الشهادة، لأنه صاحب لسان يحمل رسالة أقوى من الأسلحة الصهيونية العاتية، لذلك سارعوا باغتياله، ليسكتوا صوت الحق، ولكن هيهات لهم أن يستطيعوا ذلك، فموكب الشهداء انطلقت قاطرته ولن تتوقف إلا برحيل أو دفن أعداء الحياة على أرض فلسطين.

نهاية الغطرسة

لجأت القيادات العربية إلى

الأمم المتحدة ممثلة في مجلس الأمن، لتستجدي مجرد استصدار قرار بالإدانة لهذا العمل الصهيوني الجبان، مجرد قرار يُضاف إلى أطنان القرارات المقبورة في دهاليز كل المنظمات الدولية، قرارات لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكنها تمنح بعض القيادات العذر في التخاذل عن نصرة فلسطين، لكن الولايات المتحدة الأميركية وقفت حجر عثرة أمام صدور مثل هذا القرار الذي يدين قتل الكيان الصهيوني للشيخ المسن الأعزل «أحمد ياسين»، بهذه الطريقة الهمجية غير المسبوقة حتى هذا القرار المعنوي تمت مواجهته وإسقاطه باعتراض القطب الأوحد أميركا، ثم بعد ذلك تقول: لماذا يكرهنا العرب والأمة الإسلامية؟، ألا يسمح هذا بتكرار هذا العمل الجبان بعد التهديد الصريح، بل الإعلان الواضح بمواصلته ضد جميع القيادات الجهادية على أرض فلسطين، وبلا أي مراعاة لقيم أو أعراف أو قوانين دولية أو إنسانية... طالما أن مجرد الإدانة الشكلية لم تتم، لتواري سوأة المتخاذلين والمستسلمين إلى حين، حتى هذا لم يتم، لأن أميركا لا تحترم سوى الأقوياء، ولا تعترف سوى بالمصالح المادية، أما القيم والأخلاق، والصداقة، والحق، والعدل، وحقوق الإنسان... فكلها سراب في سراب، لا قيمة لها أمام غطرسة القوة، وعنجهية السلاح الفتاك.

لذلك كان استشهاد الشيخ «ياسين» بمثابة الضوء الأخضر لكل التنظيمات الجهادية للسعي بكل ما أوتيت من قوة، لتقويض أركان الكيان الصهيوني الغاصب، والعمل على تحرير ثرى فلسطين، كل فلسطين، من النهر إلى البحر، طالما أن الحلول الاستسلامية لم ينجم عنها سوى المزيد من التخاذل والضعف، والتمادي في سلسلة لا تنتهي من التنازلات من أجل قيام مسخ بشري، يسمَّى تجاوزاً دولة، بلا أرض، ولا شعب، ولا حكومة، لأن الأرض ستظل بعد الاستقلال المزعوم تحت سيطرة آل صهيون منزوعة السلاح، مهيضة الجناح، والشعب بلا كرامة يعيش كالنعاج تحت رحمة البؤر الاستيطانية المدججة بالسلاح، والحكومة مجرد قطع شطرنج تحركها القوى الغاشمة لتكريس الانبطاح والمزيد من الذل، بجعلها مجرد هراوة تضرب بها كل من يحاول رفع رأسه من أبناء فلسطين الشرفاء، وهذا لن يكون، لأن التاريخ يعلمنا أن النصر دائماً يكون مع الصبر، وأن الحق يحتاج إلى التواصي بالصبر، قال تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر:٣، وقال سبحانه: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر:١٠، ليس في الآخرة فحسب، وإنما في الدنيا والآخرة، مصداقاً لقوله سبحانه: (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) هود:١١٥.

تداعيات الاستشهاد

عملية الاستشهاد التي تمت للشيخ «أحمد ياسين» بعد أدائه لصلاة الفجر، العملية التي حولته إلى أشلاء، عملية فاشلة، لأنها لم تقدم للشيخ الموت، وإنما قدمت له شرف الشهادة، وهي حياة، كما أنها بعثت في شباب الأمة العربية والإسلامية روح الجهاد، والسعي إلى مواكب الاستشهاد، ولن تتوقف تداعيات هذا الاغتيال على أرض فلسطين، بل ستستمر في صورة صعود وتصدي لقوى الشر والعدوان، وستشتق عن كل طاقات الأمة الإسلامية لمساندة الحق الفلسطيني في مواجهة الهجمة الصهيونية والاستعمارية الشرسة، ولن يفت في عضد المجاهدين مسلسل العمليات الإجرامية، فقد رحل بأسلحة الغدر، «إسماعيل أبوشنب»، و«يحيى عياش»، و«إبراهيم المقادمة»، و«محمود أبوالهنود»، و«عبدالله القواسمة»، و«صلاح شحادة»، و«سعدي العرابيد»... وغيرهم من الأحرار الشرفاء، لأن العدو لا يستهدف سواهم، ولا يحرص إلا على التخلص منهم، بجميع الوسائل الإجرامية الفتاكة، وبمعاونة مشبوهة من الخونة والعملاء، الذين باعوا أنفسهم وأهليهم بثمن بخس، وتخلصوا ببيعهم هذا من إنسانيتهم، وشرفهم، ووجودهم... وانضموا بمواقفهم الخسيسة إلى الطابور الخامس المحتقر والملعون من كل الشرفاء، وبالرغم من كل ما كان، وما هو كائن، فإن ناقوس الجهاد قد قرع بشدة، وأذان الاستشهاد قد تداعى بقوة، بعد عملية الاغتيال الخسيس لقائد ركب الجهاد باللسان والسنان الشيخ «أحمد ياسين»، ليعلن على العالم أجمع أن زمن الذل والانبطاح قد انتهى، وأن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغير القوة، مهما طال الزمان ■



أحمد ياسين
الشيخ المجاهد الشهيد

ولد الشيخ الشهيد المجاهد «أحمد إسماعيل ياسين» في قرية «الجورة» المجاورة لمدينة «عسقلان» التاريخية الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط جنوبي «يافا» وكان لهذه المدينة دور مهم في حروب «صلاح الدين الأيوبي» وفتوحاته المظفرة لإعادة «بيت المقدس» من أيدي الغزاة الصليبيين.

عاش «أحمد» بين والدته وإخوانه وأخواته في قرية «الجورة». وقد توفي والده في بواكير طفولته. وترك للأسرة دارا وبستان حمضيات وأرضا في محيط القرية.

ولما وقعت القرية «الجورة» ومدينة «المجدل» وما حولهما في أيدي العصابات المجرمة العام ١٩٤٨م. هاجر مع أسرته الكبيرة. وهو في بداية دراسته في المرحلة الابتدائية إلى منطقة الشاطئ في مدينة «غزة». وهناك توقف عن الدراسة فترة. وراح يعمل في احد المقاهي الشعبية ليساعد امه وأهله في تلك المرحلة القاسية.

وبعد حين، ومن ثم تحسنت الأحوال المعيشية للأسرة. انتسب إلى المدرسة مجتهدا مواظبا حتى وصل إلى المرحلة الثانوية.

وفي هذه المرحلة. كان يشاهد العدوان تلو العدوان على المهاجرين والمواطنين في قطاع غزة الواقع قرب الحدود المصرية ومحافظة «سينا».

في تلك الفترة، حدث حادث رياضي عرضي، أصاب «أحمد» بشلل جزئي. فكان يستطيع المشي والكتابة. ولكن بصعوبة شديدة. ومع هذا استمر مكافحا حتى نال الشهادة الثانوية «التوجيهية» بتفوق. وبعد أخذ ورد بين المسؤولين في إدارة التعليم. عين مدرسا في المرحلة الابتدائية. وكان مدرسا ناجحا. ولكونه مدرسا كان يبث في طلابه روح التدين الحق. والجهاد. ومحبة الموت في سبيل الله.

وجمع بعض المال من أهل الخير من الفقراء، ومن بعض المحسنين في الكويت وغيرهم، وأنشا بما جمع من مال مسجد سماه الناس باسمه، وصار فيه خطيبا مفوها. يتجمع الناس فيه من كل مكان لسماع خطبه الجهادية الرائعة. وبعد سقوط «قطاع غزة» العام ١٩٦٧م مرة أخرى في أيدي اليهود المعتدين. حيث كان سقوطه للمرة الأولى العام ١٩٥٦م في فترة العدوان الثلاثي الذي شنته بريطانيا وفرنسا و«إسرائيل» على العرب في الفترة الناصرية في في هذه المرحلة. أنشأ الشيخ عددا من المؤسسات المدنية والخدمية الممتازة بالتعاون مع العاملين في الكويت والسعودية من أبناء فلسطين. ومن أهل الخير والتجار والمحسنين، وبدأت تنشأ النقابات والروابط والنوادي، والدور الصحية والرياضية والاجتماعية في طول البلاد وعرضها. بتشجيع من الشيخ وأنصاره. ولما ازداد طغيان يهود. وراحوا ينشرون الفساد والموت في كل مكان، وغرهم صمت الناس وخوفهم من الجيش الذي لا يقهر. ومن أعوان اليهود في طول العالم وعرضه. أراد الشيخ أن يحيي فريضة الجهاد، فانشا «أسرة



الجهاد » التي نفذت الكثير من العمليات الناجحة ضد العدو، وخطفت عددا من جنوده الجبناء، ولما اكتشفت يهود هذا الأمر، سجن الشيخ « أحمد ياسين » بالرغم من معاناته الشديدة من المرض، وبعد حين، خرج من الاعتقال في عملية تبادل للأسرى. ثم كانت الانتفاضة الأولى في الثمانينيات من القرن الماضي، وسجن الشيخ « أحمد » مرة أخرى وحكم عليه بالسجن المؤبد، وحاول اليهود الضغط عليه، ولكنه كان صلبا مثل صخرة القدس لا ينحني ولا يلين، وأخيرا خرج من السجن في عملية تبادل أسرى جديدة إثر المحاولة الفاشلة لاغتيال أبوالوليد « خالد مشعل » منذ سنوات، كما هو معلوم، وقد حاول اليهود تهجيره إلى الأردن أو غيرها من البلاد العربية، ولكنه رفض واشترط على يهود أن يتعهدوا خطياً بعودته إلى بيته بين أبناء شعبه في « قطاع غزة » وكان له ذلك.

زار بعدها عددا من البلاد العربية، ومنها دولة الكويت، وكان صوتا مدويا للصمود، محذرا من خديعة السلام وأكذوبته التي لم تعد تنطلي على أحد.

الشيخ « أحمد ياسين » هو مؤسس حركة « حماس » التي بدأت قوتها تتعاظم ليس في غزة فحسب، بل في الضفة وفي فلسطين التاريخية من نهرها إلى بحرها، وقام أبطال « حماس » بهجمات وعمليات موفقة، وظهر فيهم خبراء عسكريون ومهندسون متفوقون صنعوا المدافع والصواريخ من المواد الخام المحلية، ومن قطع الحديد المتناثرة، فزلزلوا وما زالوا يزلزلون أركان العدو زلزالا شديدا حتى أصبحنا نسمع عن قرب نهاية دولة يهود وغروب شمسها من أفواه أنصار يهود.

عند ذلك جن جنون يهود، فراحوا يغتالون الكوادر العسكرية والسياسية والنساء والأطفال، ولكنهم ووجهوا بصمود أسطوري أقام الحجة على القائمين والمطبوعين في عالمنا العربي والإسلامي.

وكان « أحمد ياسين » هدفا معلنا لليهود الذين حاولوا اغتياله بصواريخ الطائرات، فأصيب الشيخ وخرج من تحت الركام أصلب عودا وأمنع جانبا.

وأخيرا اغتاله الظالمون مع عدد من إخوانه الكرام عند طلوع شمس يوم الاثنين الأول من صفر العام ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٠٠٤/٣/٢٢م، وهو عائد من المسجد على كرسيه يدفعه عدد من رفاقه في الطريق إلى منزله في حي الصبرة في غزة، وباغتياله اشتعل العالم العربي والإسلامي غضبا واحتجاجا، وتجددت همة الشباب ورغبتهم في العودة إلى العمل الجهادي الذي كتبه الله على أمة الإسلام.

رحم الله الشيخ « أحمد ياسين » وتقبله مع إخوانه في عليين، وجعل شهادته عزا ونصرا وعهدا جديدا لنهضة جديدة، ودورة حياة ترفع فيها راية الحق والتحرير والعدالة عالية في سماء فلسطين وفي كل مكان بإذن الله تعالى.

في رثاء شيخ الشهداء

قُم يا يراعُ وحطم الأغلالا
ودع السكوت فعزنا قد زالا
قم يا يراعي وانتفض من كبوة
قم يا رفيقي أبن الأبطالا
واجعل مدادك أدمعا من مقلتي
من أعيني، أو من دم قد سالا
قم يا يراعي لا إخالك باخلا
وانظم رثاء، في الجواء تعالى
سطر أساطير الجهاد بماجد
وهب الحياة، فلا يهاب نزالا

جسد على الكرسي يدفعه فتى
من فتية، كانوا له أشبالا
فقد الحراك، فلا يداه تعينه
عجزت يداه أن تنال عقالا
حار العدى' في أمر شيخ مقعد
ملك الإرادة قوة وفعالا
جسد تبارى' الخصم في تحطيمه
شدوا وثاق القيد، والأغلالا
ألقوه في قعر السجون تعنتا
كي يحبطوه، فيفقد الأمالا
سجنوا الجسوم، وذاك أمر ممكن
أما العقول فلن تلين كلالا

إن كان شيخا مقعدا في جسمه
فالفكر متقد، يشع كمالا
قد كان ليثا من جنود «محمد»
كم جال في ساح الفدا تجوالا
عرف الطريق إلى الجهاد بعزمة
سموه «إرهابا». خزى' من قالا
كم صال جند الشيخ في ساح العدى'
كم زلزلوا أركانهم زلزالا
ساروا عى درب الجهاد كأحمد
وتذوقوا طعم الجهاد زلالا
غالتك أيدي البغي في فجر الدجى'
فجني العداة حماقة وخبالا
بوركت من جسد تمزق في الثرى'
والروح ترقى' في السماء جلالا
طلب الشهادة في الدعاء مجاهدا
أنعم بها بعد الممات مآلا
يا أحمد الياسين، أنت مخلد
طوبى لأحمد. جنة قد نالا
يا قدوة للناس في أفعاله
ضربوا بك الأمثال والأقوالا
«أبناء يعرب حطموا الأغلالا
ودعوا الخلاف، فعزنا قد زالا»
«ثوروا على الوطن الجريح لأنه
فقد الرجال وأبن الأبطالا»
«ثوروا على زمن أراكم قدسنا
مرعى الكلاب ومن طغى واختالا»

شارون أبشر بالجهاد مطولا
ستكون سوء العاقبات ثقالا
يا للمخازي لاحقتك مجددا
ستجر عار هزيمة أذيالا
أغوتك آلات الدمار بنشوة
وبدوت تبسم بسمة مهزالا
يا أصفر اللون القميء بوجهه
من أين جئت. تقتل الأطفالا
باشرت قتل الشيخ في محرابه
تبت يداك. وقطعت أوصالا
فاقت جريمتك الجرائم كلها
عبر العصور. وفاقت الأهوالا
تغتال شيخا مقعدا. يا مجرما
فعل الدناة السافلين خصالا
يا سبة التاريخ. يا عار الدنا
قد صار جرمك لليهود وبالا
يا مجرما شهد الأنام بجرمه
ستنال أجرك «صرمة» ونعالا
ونسيت أن الدائرات قريبة
«فالحرب مذ وجدت تكون سجالا»



ملحوظة:
الأبيات بين هلالين جاءت في هذه القصيدة محورة، وعلى سبيل التضمين، وهي من قصيدة للشاعرة سميرة أبوغزالة ولشاعر عارضها، وهي منشورة في كتابها: مذكرات فتاة عربية، صدر سنة ١٩٥٩م، نقول هذا للأمانة العلمية.

شعر:
د.رفيق حسن الحليمي



كاتب وأكاديمي فلسطيني



شعر:
سيد عبدالحليم الشوربجي



E.mail:sayd_255
@hotmail.com

نور أطل من السماء مكبراً ... بقدوم خير الخلق جاء مبشرا
لما أطل على الوجود بنوره ... فرح الورى بقدومه واستبشرا
وتعانقت نُجُم هنالك بهجة ... وأقامت الأفراح في ليل الكرى
وتجمع الطير المحلّق سابحاً ... في ساحة الإيمان يهزم عسكرا
وتراجع الكفر الذي عمَّ الحيا ... ة ولم يكن إلا الظلام مسيطرا
واندك صرح الشرك لما أن بدا ... وجه النبي.. مخافة وتقهقرا

***

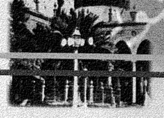
أمحمد.. خير الخلائق كلها ... بدد ظلام الليل وانثر جوهرا
واخرج إلى الدنيا لتحيي عالماً ... وتقيم للتوحيد وجهاً نيِّرا
وتبشر الدنيا بيوم مشرق ... يضفي على الأيام لوناً أخضرا
وتغير الفكر الذي ألف الضلا ... لة منهجاً في غيه واستأثرا
تجلو عن الأفهام جهلاً لم يزل ... وتبصر العقل الطريق الأنورا
وتزيح آثار الضلال وترتقي ... صوب السماء مهللاً ومكبِّرا

***

أمحمد ولأنت خير مبشر ... جادت به الدنيا وأعظم منذرا
قد جئت بالإسلام قوماً لم يعوا ... معنى الرسالة قسوة وتكبِّرا
وقفوا لدين الله موقف منكر ... بل حاربوه ضلالة وتجبِّرا
وحملت دين الله تنشر شرعه ... بين الربوع مغامراً ومثابرا
ورفعت شأن القوم بالدين الذي ... أعطى لمكة وجهها المتحضرا
وملأت سمع الكون بالذكر الذي ... أحيا القلوب لربها واستنفرا

***

هذا رسول الله ينشر نوره ... لم يخش بطشاً أو يخاف تأثرا
هذي قريش وقد تجمع شملها ... لتصد دين الله.. تأتي منكرا
لم يخش ما فعلت قريش وأهلها ... أو يستكين لما أتوه وما جرى
يدعو لدين الله يحمل همَّه ... وأمامه وحي السماء منوِّرا
قد جاء للدنيا بأعظم منهج ... وشريعة فاقت بروعتها الذرا
صلى عليه الله في ملكوته ... ما سبَّح الكون الفسيح وكبَّرا



من بشارات العهد القديم بمولد النبي الكريم ﷺ

> بشّر موسى عليه السلام بمولد النبي العظيم محدداً تاريخ مولده وذلك في حديثه مع خليفته يوشع

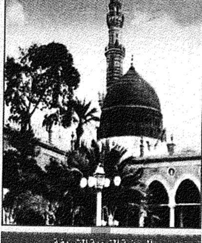
بقلم: د.جمال الحسيني ابوفرحة

مدرس علم الكلام ومقارنة الأديان في جامعة قناة السويس

لقد كان لعلمائنا الأجلاء باع طويل في الكشف عما تحتويه الأسفار المقدسة لدى أهل الكتاب من بشارات بنبينا، صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهر أمر بعض هذه البشارات وذاع، وكان لها عميق الأثر في هداية كثير من أهل الكتاب، وفي ترسيخ الإيمان بقلوب كثير من شبابنا.

وفي هذه العجالة آثرت الحديث عن بشارة لما يشتهر أمرها بعد، فللجدة إثارة تجذب الأسماع والأبصار، آملاً أن تأتي بثمرها الطيب عند شبابنا وإخواننا من أهل الكتاب.

وقد وردت هذه البشارات على لسان موسى ـ عليه السلام ـ في أحد الأسفار التي لم يشتهر أمرها، فقد ظل مخبوءاً قروناً عديدة حتى تم اكتشافه عام ١٨٦١ في مدينة «ميلانو» الإيطالية، وهي بشارة سفر «وصية موسى»، وتعود مخطوطة هذا السفر إلى القرن السادس الميلادي، وقد كتب باللاتينية عن أصل عبري أو آرامي كما يرجح العلماء تاريخ كتابته إلى بدايات القرن الأول الميلادي على يد طائفة من اليهود عرفوا بـ«الأسينيين». وقد قام الأستاذ «موسى ديب الخوري» بترجمته إلى اللغة العربية، ونشرته دار الطليعة في سورية ضمن مخطوطات «قمران» عام ١٩٩٨م.


الروضة النبوية الشريفة.

فمن هذا السفر يبشر موسى ـ عليه السلام بمولد النبي العظيم محدداً تاريخ مولده، صلى الله عليه وسلم، وذلك في حديثه مع خليفته «يوشع» الذي يقول فيه: «وأنت يا يوشع يا بن نافي، احفظ هذه العبارات وهذا الكتاب، لأنه منذ موتي... وحتى مجيئه سيمر مئتان وخمسون زمناً» (15-11:X).

ولن أتجاسر وأقول ماذا يقصد موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: «مئتان وخمسون زمناً»، اعتماداً على فهمي كمتخصص في مقارنة الأديان، ولكني سأدع أحد كبار علماء أهل الكتاب هو الذي يحدد ماذا يقصد موسى ـ عليه السلام ـ من ذلك، وهو العلامة «إرنست ماري لابروساز» الذي قام بتحقيق هذا السفر ودراسته، حتى يكون الشاهد على صدق نبينا منهم لا منا، فتكون الدلالة على صدقه، صلى الله عليه وسلم، أبلغ وأحرى بالقبول.

يقول «إرنست ماري لابروساز» في تحقيقه لهذا السفر: إن المقصود بمئتان وخمسون زمناً: «على الأرجح مئتان وخمسون أسبوعاً من السنوات، أي (٢٥٠×٧=) ألف وسبعمئة وخمسون سنة».

أي أن ذلك المنتظر سيأتي في الأسبوع الـ«٢٥١»، أي بعد وفاة موسى - عليه السلام - بنحو ١٧٥٠ : ١٧٥٧ سنة.

ومن المدهش أن نبي الإسلام حسب أغلب الروايات ولد في العام «٥٧٠م» تقريباً، أي في التاريخ نفسه الذي أشار إليه موسى - عليه السلام.

لأنه إذا كان خروج موسى - عليه السلام - من مصر كما تحدده مقدمة الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق بيروت، كان بين سنة ١٢٥٠ و١٢٣٠ق.م تقريباً، وكان موسى - عليه السلام - على أرجح الآراء، لم يدخل أرض الميعاد ومات في أواخر زمن التيه، إذاً لابد أن يكون موسى - عليه السلام - قد مات بعد قرابة أربعين عاماً من ذلك التاريخ (زمن التيه كما ذكر القرآن في سورة المائدة: ٢٦، وسفر العدد ١٤: ٣٣)، إذن: ١٢٥٠ - ٤٠ = ١٢١٠، أو ١٢٣٠ - ٤٠ = ١١٩٠، إذاً فقد مات موسى - عليه السلام - بين سنة ١١٩٠ق.م، وسنة ١٢١٠ق.م تقريباً.

> وردت البشارات على لسان موسى عليه السلام في أحد الأسفار التي لم يشتهر أمرها

فإذا كان مجيء ذلك المنتظر قد حدده موسى - عليه السلام - بعد هذا التاريخ بنحو ١٧٥٠ : ١٧٥٧ سنة، فهو إذاً لابد أن يكون نحو سنة: ١٧٥٧ - ١١٩٠ = ٥٦٧م، أو نحو سنة ١٧٥٠ - ١١٩٠ = ٥٦٠م، أو سنة ١٧٥٧ - ١٢١٠ = ٥٤٧م، أو نحو سنة ١٧٥٠ - ١٢١٠ = ٥٤٠م، أي في الثلث الأوسط من القرن السادس الميلادي تقريباً.

فصدق موسى في نبوته، وصدق محمد في دعوته، وجعلنا الله معهما من الصديقين عليهما صلاة الله وسلامه أجمعين ■

منهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية

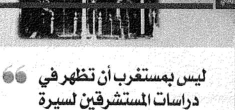
> المستشرق الألماني «بروكلمان»: إن شدة تفكير محمد ﷺ فيما عليه قومه من شرك وضلال خلق في ذهنه فكرة دين جديد يصلح به حال البلاد والعباد

بقلم:
د. أحمد نصري

أستاذ باحث في جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب، المحمدية، المغرب

لقد ظل الخلل المنهجي في التحليلات والدراسات الاستشراقية، يشكل إحدى السمات البارزة في التعامل مع السيرة النبوية الكريمة، حيث ظلت هذه الدراسات سجينة مواصفات العقل الغربي الذي تشكل من خلال الرواسب الدينية للعصور الوسطى، والنزعة العلمانية الثائرة على الكنيسة، والاعتماد على المسلمات المادية الوضعية للأشياء التي لا تؤمن إلا بالمحسوس العياني، ولا قيمة لما سواه من الظواهر الدينية الغيبية والأخلاقية القيمية، بل ذهب الغرور العلمي ببعض الدارسين الغربيين والمستشرقين إلى حد الاعتقاد بأنه في الإمكان فهم المسائل الغيبية بالوسائل العلمية النسبية، فظهرت العلوم الإنسانية التي وإن استطاعت أن تتوصل إلى نتائج مهمة على مستوى الحياة الاجتماعية في علاقاتها المختلفة، إلا أن دراستها للأديان كانت بعيدة عن أي نجاح أو تقدم واستعصى عليها اختراق حجب عالم الغيب الذي يعلو على كل بحث علمي مجرد، ويستحيل تلمسه بالعين المجردة تحت مجهر المختبرات، بحيث وقفت دراساتهم عند حدود «ظواهر الأشياء» ولم تستشف ما وراء هذه الظواهر.

لهذا فليس بمستغرب أن تظهر في دراسات المستشرقين لسيرة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، صفات بشرية عامة كالبطولة والعبقرية والعظمة، قصد تجريده من صفة «النبي»، يقول د. «محمد سعيد رمضان البوطي»: «إنك لتراهم - أي المستشرقون - يمجدون شخص محمد،



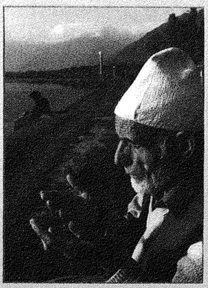
صلى الله عليه وسلم، وينوِّهون بعظمته وصفاته الحميدة، ولكن بعيداً عن كل ما قد ينبِّه القارئ إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته، وبعيداً عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها»(١).

ويتجلى ذلك في أبهى صورة في التساؤل الذي أثاره المستشرق البولندي الأصل الفرنسي الجنسية «M.Kasimirski» عن الظروف التي حملت الرسول، صلى الله عليه وسلم، على الاعتقاد بأنه أوحي إليه، فأجاب قائلاً: «لنكن حذرين، فعند كثير من الموحى إليهم، وكذلك عند كثير من الناس لا توجد فكرة واضحة للاختلاف الموجود بين الموضوعية الصحيحة والذاتية الضرورية، إنه من العسير أن نستعمل دائماً في ظل هذا الغموض اسم مكر أو خبث، ولن يفيد أيضاً أن نزعم أنه كان مصاباً بالصرع أو فريسة لحالة جنون ديني، إن الحالة النفسية غير الطبيعية لن تكون لتناقش، إن ما يهم، ليس أنه يشبه المصروع أو المجنون، ولكن بالتحديد ما هو وجه الاختلاف بينه وبين هؤلاء المجانين والمصروعين، فهناك مجانين كثيرون ومصروعون كثيرون، لكن لم يكن أحد منهم مؤسساً لديانة»(٢).

ليس بمستغرب أن تظهر في دراسات المستشرقين لسيرة النبي ﷺ صفات بشرية كالبطولة والعبقرية والعظمة

وتحدث «إدوارد مونتيه» E.Monter عن حال الرسول، صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة، وتصور أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان على استعداد كامل لاستقبال الوحي من شدة ما عاناه من الأزمات التي صادفته في صغره، وزاد على أن جعل هذه الأزمات سبباً في إصابة محمد بالهذيان، حتى أخذت تتجلى له الملائكة في خلوته.(٣)

وذكر المستشرق الألماني «كارل بروكلمان» أن شدة تفكير محمد، صلى الله عليه وسلم، فيما عليه قومه من شرك وضلال خلق في ذهنه فكرة دين جديد يصلح به حال العباد والبلاد، يقول «بروكلمان»: «أغلب الظن أن محمداً قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جداً، وهو أمر لم يكن مستغرباً عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي».(٤)



متمسكون بسنة النبي رغم التحديات.

وقريب من هذا، قول المستشرق الفرنسي «موريس غودفري ديمومبين» Maurice Gaudefroy Demombynes: «إن النبي كان تائهاً عبر الجبل، مثل أي شاعر، باحثاً عن الإلهام، واعتكف في غار حراء إلى أن أصابه فوحان إلهي»(٥).

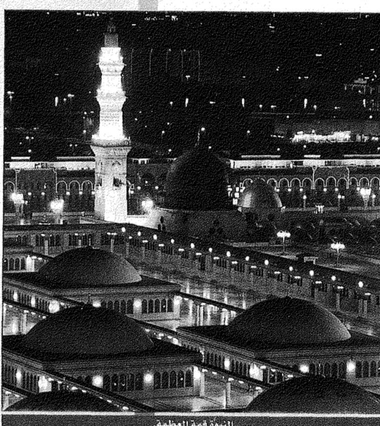
إن هذه الصورة التي حدَّد معالمها هؤلاء المستشرقون، تتسم بكثير من المغالطات والأكاذيب والادعاءات الزائفة التي ملاكها الجهل بسيرة محمد، صلى الله عليه وسلم، التي تخبرنا أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يلتفت إلى أمر النبوة ولم يعبأ بها ولم يسع إليها، بل كان منذ طفولته ميالاً إلى الوحدة، تواقاً إلى العزلة، مبتعداً عن جهالة قومه وضلالاتهم، تاركاً عبادتهم، فلم يعبد معهم صنماً ولا عظم وثناً، يقول «محمد رشيد رضا»: «التحقيق في صفة حال محمد، صلى الله عليه وسلم، من أول نشأته، وإعداد الله تعالى إيَّاه لنبوته ورسالته: هو أنه خلقه كامل الفطرة ليبعثه بدين الفطرة، وأنه خلقه كامل العقل الاستقلالي الهيولاني ليبعثه متمماً لمكارم الأخلاق، وأنه بغض إليه الوثنية وخرافات أهلها ورذائلهم من صغر سنه، وحبَّب إليه العزلة حتى لا تأنس نفسه بشيء مما يتنافسون فيه من الشهوات والملذات البدنية، أو منكرات القوة الوحشية، كسفك الدماء والبغي على الناس، أو المطامع الدنيئة، كأكل أموال الناس بالباطل، ليبعثه مصلحاً لما فسد من أنفس الناس، ومزكِّياً لهم بالتأسي به وجعله المثل البشري الأعلى لتنفيذ ما يوجهه إليه الشرع الأعلى»(٦).

نستنتج من هذا، أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، كان غافلاً عن أمر الوحي، لم يفكر فيه قطعاً ولم يبحث عنه، فلو كان الأمر كما يدَّعون، ما كان له أن يشعر بالرعب والخوف عندما رأى جبريل - عليه السلام - وسمع صوته حتى إنه قطع خلوته، وعاد إلى بيته مسرعاً.

تروي أحاديث بدء الوحي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، خاف على نفسه لما رأى الملك للمرة الأولى، ولم تجد زوجته خديجة، رضي الله عنها، أمامها من وسيلة لتهدئ من روعه - عليه الصلاة والسلام - سوى أن تذكره بما سلف من عمله الصالح، وخلقه الطيب، فقالت: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»(٧)، ثم أخذته بعد ذلك إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» ليفسر له الحال التي كان عليها ويطمئنه على نفسه، فقال له ورقة: «يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بما رأى، فقال له «ورقة»: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى، يا ليتني جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أوَ مُخرجي هم»؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً»(٨).

فهذا ليس شأن من يفكر في الوحي ويبحث عن النبوة، يقول «عبدالرحمن السهيلي»: «كل حديث يزعم فيه أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يعرف فيه أنه نبي، هو حديث كذب لا يعتد به، لأنه، صلى الله عليه وسلم، لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي أنه نبي».(٩)

«فالوحي حقيقة مستقلة خارجة عن ذاتية محمد، صلى الله عليه وسلم، وعن شعوره بعيدة عن خياله الداخلي»(١٠)، كما يقول المستشرق الفرنسي «مكسيم ردنسون» ولم تكن للرسول، صلى الله عليه وسلم، يد في إحداث النبوة، فلم يتفق أبداً أنه سعى أن يكون نبياً رسولاً، بينما الذي حدث أن الله تعالى اختاره، على الرغم من كل الظروف المعاكسة لذلك الاختيار، إذ لم تكن حال محمد، صلى الله عليه وسلم، تؤهله لتولي أي شأن من شؤون قريش الدينية أو الدنيوية، وإن عُرف عندهم بالأمين «لما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة»(١١)، وأحبوه لذلك، كما أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، لم يظهر - طوال الفترة السابقة


النبوة قمة العظمة.

على النبوة - بأي مظهر عقلي أو علمي ولا حتى مادي ينبئ بمستقبله، وأنى له ذلك وهو اليتيم الفقير الأمي الذي لم يملك من أسباب الغنى والقوة ما يعينه على بلوغ مركز السلطة والجاه ويجعله في نظر قومه عظيماً وعزيزاً، وهذا ما جعلهم ينكرون عليه «النبوة» وينفون عنه «الوحي»، لأنه - بمقاييسهم البشرية المحضة - ليس هو الشخص المناسب لهذه المهمة الربانية، (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً . أو يُلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً) الفرقان: ٧ - ١٠.

ورغم ذلك، حاول بعض المستشرقين في تحليلهم لظاهرة الوحي، تطبيق المنهج النفسي، وتقديمها في صورة انحرافات نفسية، كما فعل المفكر الفرنسي «غوستاف لوبون»، حين قال: «يجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم لا ذوو المزاج البارد من

المفكرين، هم الذين ينشؤون الديانات ويقودون الناس، وإنما أولوا الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور... وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر.(١٢)

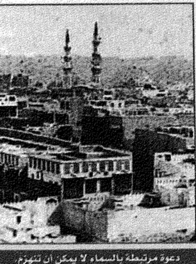
غير أنه لم يثبت تاريخياً سواء قبل البعثة أو بعدها، أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، كان من المتهوسين أو صاحب سلوك شاذ، حتى في الحالات الصعبة من الوحي حين كان يأتيه مثل صلصلة الجرس(١٣)، إلى درجة أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، مما يدل على كثرة معاناته - عليه الصلاة والسلام - من التعب والكرب، والسبب كما يذكر الشيخ «الكرماني» - رحمه الله - «أن الله سبحانه وتعالى أراد التقريب بين رسول روحي الذي هو جبريل عليه السلام، ورسول بشري من الناس الذي هو محمد، صلى الله عليه وسلم، وهنا تظهر قدرة الله في نفس محمد، صلى الله عليه وسلم، فيجردها من المؤثرات والعوارض المادية، كالمرض والخطأ، والنسيان، ومن شواغل الحياة الدنيا ويطهرها

> **لم يثبت تاريخياً سواء قبل البعثة أو بعدها أن محمداً، ﷺ، كان من المتهوسين**

من الأحداث. ويغلب فيها الجانب الروحي، حتى ترتفع عن المظهر المادي، ويكون على أتم صفاء وكمال، وحينئذ يكون أهلاً لمناجاة الملك الروحاني - جبريل - وعلى أتم استعداد ليتلقى عن الملك ما شاء الله من الوحي، ولا يكون هذا مشوباً بشائبة تشوب صفاءه، ولا خاضعاً لشيء من المؤثرات البشرية كالغضب أو اضطراب الأعصاب»(١٤).

ويؤيد هذا «شهاب الدين القسطلاني» عندما يقول: «وإنما كان هذا الضرب من الوحي أشد على النبي، صلى الله عليه وسلم، من غيره لأنه كان يرد فيه من الطبائع البشرية إلى الأوضاع الملكية فيوحى إليه كما يوحى إلى الملائكة»(١٥).

ورغم شدة معاناة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ورغم ما يبدو عليه من العوارض كالكرب، والرعدة، والعرق الكثير، والتغشي، فقد كان، صلى الله عليه وسلم، يستبقي وعيه وعقله كاملاً، وقد أثبت



دعوة مرتبطة بالسماء لا يمكن أن تنهزم.

لنفسه ذلك حين قال مرة: «فيفصم عني وقد وعيت ما قال»، وقوله مرة أخرى: «فيكلمني فأعي ما يقول».

«وبهذا الوعي الكامل، نرى المباينة والمناقضة بين الوحي وبين تلك الأعراض المرضية والنوبات العصبية التي تصفر فيها الوجوه، وتبرد الأطراف وتصطك الأسنان، وتتكشف العورات، ويحتجب نور العقل، ويخيِّم ظلام الجهل، لأنها كانت كما علمت مبعث نمو في قوة البدن، وإشراق في اللون، وارتفاع في درجة الحرارة، وكانت إلى جانب ذلك مبعث نور لا ظلمة، ومصدر علم لا جهالة، بل كان يجيء معها من العلم والنور ما تخضع العقول لحكمته، وتتضاءل الأنوار عند طلعته»(١٦).

يقول «مالك بن نبي»: «إذا نظرنا إلى حال النبي، صلى الله عليه وسلم، وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن، بينما يتمتع الرجل بحال عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً خلال الأزمة نفسها على حين يمحى وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة، فالحال بناء على هذه الملاحظات ليست حال مرض كالتشنج»(١٧).

ونشير هنا إلى أن هذه الأعراض الجسمية لا تظهر إلا في اللحظة الخاطفة للوحي فقط، فبالرجوع إلى المرحلة التاريخية التي عاش فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، تتكشف بالأدلة مدى سلامة الرسول عقلياً، تمثل ذلك في سلوكه ومعاملاته، يقول الدكتور «أحمد محمد العليمي»: «لقد كان محمد، صلى الله عليه وسلم، عجيبة من العجائب، عظمات.. لا تحد.

شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد، كل واحد منها متكامل في ذاته كأنه متخصص في جانبه منقطع له... ثم تجتمع الشخوص كلها - على تكامل كل منها - فتتكامل على نطاق أوسع وتتناسق في محيطها الشامل، وتتألف منها نفس واحدة تجمع كل النفوس، وتجمعها في توازن واتساق.

روح شفافة عظيمة.

وقوة حيوية فيَّاضة تعدل وحدها أشد الناس حيوية لو كان متخصصاً فيها بلا زيادة.

ورجل سياسة يشيِّد أمة من الفئات المتناثرة، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ، ويمنح هذا البناء من وقته وفكره وروحه وجهده ومشاعره ما يشغل - وحده - حياته كاملة بل حيوات.

ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر... كقائد متخصص كل همّه القتال متفرغاً له عن كل ما عداه.

وأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات.. نفقات النفس والفكر والشعور، فضلاً عن نفقات المال... كرجل متخصص للأبوة على أعلى نسق شهدته الأرض، ومتخصص للأسرة لا يشغله عنها شاغل من الحياة.

وعابد متحنث لربه، كرجل منقطع للعبادة، متخصص لأدائها، لا تصله بالأرض رابطة، ولا يشغله هم من الهموم، ولا تجيش في نفسه نوازع، ولا تنحرف في كيانه رغبات.

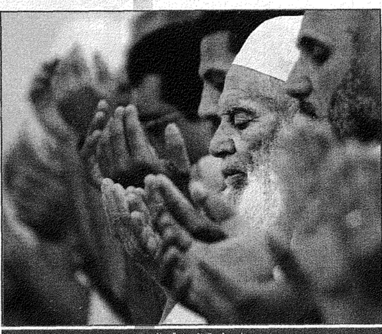
ومع ذلك فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه، فمدته على أقصى اتساع.

عظمات ... لا تحد.

كل هذه الشخوص المتفرقة مجموعة في شخصه، مجموعة على تناسق وتوافق واتزان، كل منها يأخذ نصيبه كاملاً من نفسه ومع ذلك لا يميل، لأن طاقات أخرى عظيمة توازنه في كل اتجاه.

ذلك هو محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، النور الكوني الذي بهر العالمين.

وحق للناس أن يحبوه كل ذلك الحب، ويعجبوا به ويتبعوه».(١٨)



على طريق الهداية سائرون.

•• الهوامش ••

١ - فقه السيرة، ص٢٦.

2 - M. Kasimirski, Cran, Tome premier, p. 12 - 13.

3 - E.Monte, l'Islam, p.112.

٤ - تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٤، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البلعلبكي.

5 - Maurice Gaudefroy Demombynes, Mahomet, p. 68.

٦ - الوحي المحمدي، ص١١٢.

٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ج١، ص٢٢.

٨ - المصدر نفسه.

٩ - الروض الأنف، ج٢، ص١٧٠، تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل.

11 - Maxime Radinson, Mohamet, p. 100.

١١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ص١٧٢، تحقيق علي محمد بجاوي.

١٢ - حضارة العرب، ص١٤٤، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

١٣ - عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً». صحيح البخاري بشرح الكرماني، باب كيف كان بدء نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، ج١، ص ٢٥ - ٢٨.

١٤ - المصدر نفسه، ج١، ص٢٨.

١٥ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ص ٥٩.

١٦ - النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، ص ٧٢.

١٧ - الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص ١٣٠ - ١٣١.

١٨ - طرائق النبي صلى الله عليه وسلم، في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم، ص ٥٨ - ٥٩.

العلمانية... وحقيقة الصراع مع الرموز الدينية

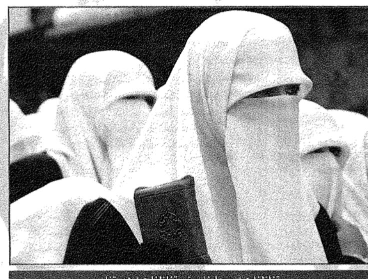
قضية الحجاب...

هل هي بداية لصراع جديد؟

كان لابد من إضافة الصليب الكبير والقلنسوة اليهودية إلى الحجاب الإسلامي حتى لا تكون الصفعة مباشرة للدين الإسلامي، وليكون طرفاً يرتفع إلى مستوى تهديد الجمهورية العلمانية الفرنسية

تحقيق:
أحمد توفيق هلال

تعددت ردود الأفعال وتنوعت بين النقد اللاذع غير الهادف، والطرح العقلاني والمناقشة الموضوعية للقانون الفرنسي حول شرعية فرنسا كدولة علمانية في حق سن قانون يمنع ارتداء الحجاب وأي رموز دينية تحمل صفة دعوية لديانة بعينها، ومن ردود الأفعال الإيجابية تلك التي أخذت من الطرق الشرعية والقانونية سبيلا لها، ومنها تفويض شيخ الأزهر الدكتور «محمد سيد طنطاوي» رئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة لـ«مبارك السعدون المطوع» أمين عام اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان في الكويت برفع دعوى قضائية ضد القانون الفرنسي.



تنازلنا عن حجابنا يعني تنازلنا عن هويتنا.

وللوقوف على شرعية الدعوى القضائية التقينا الأستاذ «مبارك المطوع» إلا أنه قبل عرض تفاصيل اللقاء يتوجب علينا أن نتعرض للجذور التاريخية للصراع المحتدم بين العلمانية كمنهج، والرموز الدينية لنستخلص منها حقيقة الأهداف التي تتوارى خلف منع الحجاب؟ وهل المنع هدف أم وسيلة لهدف أكبر؟ وهل الصراع مع الرموز الدينية جديد أم صراع قديم تم تجديده بضم الحجاب إلى الرموز الدينية؟.

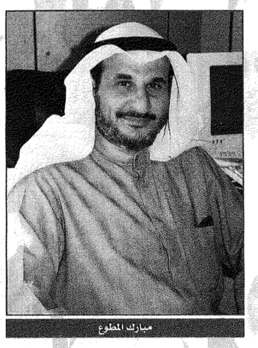
يدور جدل كبير منذ فترة وحتى يومنا هذا، في الأوساط الثقافية والسياسية داخل وخارج العالم الإسلامي حول تفسير توضيحي للنهج العلماني إثر خطاب الرئيس الفرنسي «جاك شيراك» الذي نص على طرح قانون يمنع استخدام أي رمز ديني، حفاظاً على علمانيتها التي ضحت بالكثير من أجلها، واتخذ كل فريق عند تفسيره لها أسلوب التطويع ولي أعناق المصطلح ليخدم هدفه الذي يؤمن به، سواء أكان مناصراً للعلمانية أم معادياً لها.

أما المناصرون لها فقد فسروها على أنها ترجمة للكلمة الإنجليزية Secularism، وهي إما من العلم فتكون بكسر العين، أو من العالم فتكون بفتح العين، وبذلك يصبح مفهوم العلمانية تبعاً لتفسيرهم، إما الاهتمام بالعلم وتطوره أو أنها المبدأ العالمي السائد المتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة أو ديانة ما.

أما المعادون للعلمانية فيرون أن ترجمة المصطلح على هذا النحو تعد ترجمة غير أمينة ولا دقيقة لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي «لا دينية أو لا غيبية، أو الدنيوية أو لا مقدس».

التاريخ يفسر المصطلح

وإن أردنا أن نكون منصفين فلنكن موضوعيين في النقاش ونتعامل مع المصطلح بحيادية تامة، ولعل نشأة العلمانية تفسر لنا ماهيتها وأهدافها، فلقد نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية خلال القرن المنصرم، فالنهضة في أوروبا بدأت بمفاصلة كبيرة مع الكنيسة التي كانت تهيمن على مقدرات الأمور في الغرب «الحكم، التعليم، الجيش، الزراعة إلخ...»، وعندما تعلم الغرب منهج البحث العلمي عن طريق اختلاطهم بالمسلمين وتراثهم في «أسبانيا وفي باليرمو وإيطاليا وفي بلاد الشام في أثناء الحروب الصليبية»، تبين للغرب أن الكثير من تلك النظريات التي تبنتها الكنيسة كانت


مبارك المطوع

تفويض من شيخ الأزهر لـ«مبارك السعدون» بمقاضاة القانون الفرنسي

خاطئة، فما كان منهم إلا أن طلَّقوا الكنيسة، فانبرت الكنيسة تدافع عن تلك الأخطاء باعتبارها من الدين، وسقط ضحايا التزمت الخرافي والتعصب الأعمى من علماء الطبيعة ما بين «مقتول ومحروق ومشنوق»، ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها، إلا أن الناس انحازوا للحقائق العلمية، وانتصر العلم، وتطورت الاكتشافات العلمية منذ ذلك الحين - أي منذ فصل الدين عن العلم - وكان ذلك دفعة قوية لسادة العلمانية.

فضلاً عن قيام حركة اجتماعية سياسية شاملة، تثور على كل ما هو قديم، وترفع شعار حقوق الإنسان يدعمها العلم وحقائقه، وتطور الحياة، فالتفت الشعوب والجماهير حول القوى الجديدة، الداعية إلى التقدم الاجتماعي والتطور الفكري والسياسي، للقضاء على فترة الظلم والاستغلال الذي عاشوه في ظل الإقطاع والكنيسة.

وكثير من العلمانيين يستندون إلى هذه الحقائق التاريخية لترويج منهجهم العلماني، ومبرهنين على ضرورة الفصل بين الدين والعلم، بأن التاريخ أثبت نجاح التجربة، وأن التقدم لم يأت إلا بعد الفصل بينهما، وهذا المبدأ بالطبع مرفوض تماماً، ففي الحضارة الإسلامية مثلاً لا يوجد نظير لهذه التجربة على الإطلاق، لأنها جمعت بين الدين والنهضة المادية، وحققت نجاحات نقلتها عنها الشعوب الأوروبية، فضلاً عن أن الديانة التي فصلت عن العلم آنذاك، وأرادت الكنيسة أن تفرضها كانت محرَّفة، وكان ذلك من خلال «سفر التكوين» في مطلع العهد القديم، وسفر التكوين يحكي عن خلق الكون، وكثير من المظاهر الأخرى، وهو يعتبر الفصل الأول في التوراة التي حُرِّفت، والتي دُوِّنت بعد موسى - عليه السلام - بأكثر من ٨٠٠ سنة في زمن لم يكن للإنسان معرفة علمية، كما أنها دُوِّنت بلغة غير لغة الوحي، فدخلته أساطير وخرافات،



تناقضت مع نتائج البحوث العلمية بعد ذلك، ما دفع العالم الغربي إلى أخذ منحى معادياً تماماً لفكرة الغيب وفكرة الدين، والمجني عليه هنا هو الدين، والجناة هم رجال الدين آنذاك.

فرنسا والعلمانية

ومما لا شك فيه، أن فرنسا هي أحد تلك الدول الأوروبية التي كانت مسرحاً لهذا الصراع حتى انفصلت «الكاثوليكية» الفرنسية عن «البابوية الفاتيكانية» منذ القرن الرابع عشر، تأكيداً للهوية «الغاليكانية» ورفضاً للمرجعية الدينية، وتقمص ملوك فرنسا الحق الإلهي المقدس الذي ترك للبابا السلطة الروحية، فيما أصبح الملك رأساً للكنيسة، فهو الذي يختار الأساقفة، فيما تمتعت الكنيسة بامتيازات هائلة، وفي مقدمها احتكار المدرسة والتعليم، ولم يتحقق الانفصال الرسمي بين الدين والدولة في فرنسا إلا في قانون العام ١٩٠٥م الذي أصدره البرلمان الفرنسي الذي ينص على «أن تضمن الجمهورية حرية الضمير كما تضمن حرية ممارسة العبادات، لا تعترف الجمهورية ولا تدفع أجراً ولا تقدم مساعدات مالية لأي دين»، ثم جاءت تعديلات الدساتير الفرنسية في العام (١٩٤٦م) و(١٩٥٨م)، أكدت حياد الدولة الديني والعلماني في المدرسة، ويتضح مما سبق أن المدرسة كانت مركز الصراع على مدى قرنين، وتُوّج هذا الصراع بنزع الهيمنة الكنسية عن المدرسة ومنعها من فرض رموزها الدينية في الأماكن العامة والنصب والمباني الحكومية.

> **المعطيات التي أدت إلى سن القانون الفرنسي كلها ترتبط بالدين الإسلامي**

الحجاب طرف جديد في الصراع

ولعل خوف فرنسا من العودة إلى الخلط بين الدين والسياسة، ومن تجدد الهجمة الكنسية على الدولة العلمانية الحديثة لديها، الضامنة للحرية الدينية والحامية للعلمانية المدرسية، هو ما دفعها إلى محاولة سن هذا القانون، وأعتقد أنه تعديل للقانون، وليس سن قانون جديد، فالصراع ممتد منذ الأزل مع الكنيسة ورموزها، ولا جديد فيه إلا منع الحجاب، ولعل هذا ما يوضح للقارئ أنه سُنّ خصيصاً من أجل الحجاب، فالمعطيات التي أدت إلى هذا القانون كلها ترتبط بالدين الإسلامي فقط ليس إلا، ونلخصها فيما يلي:

«نتيجة لأن إحدى الطالبات المتحجبات في معهد اللغات الشرقية ترفض اجتياز امتحان الشفهي لأنها تعتبر انفرادها بالأستاذ الممتحن خلوة غير شرعية، ولأنهم وجدوا أن النساء المتحجبات لا يسمحن للأطباء الذكور بمعالجتهن، ولأنهن يرفضن الاختلاط في المدارس، ويمتنعن عن الذهاب إلى حمامات السباحة لأنهن يرفضن ارتداء «المايوه» لأن جسد المرأة عورة، ولأن الطلاب المسلمين يطلبون وقتاً مستقطعاً لأداء الصلاة في أثناء الدراسة».

هذه هي الأسباب الحقيقية لسن هذا القانون، وهذا يعني أن القانون يُقصد به الدين الإسلامي وليس الحجاب كرمز إسلامي، إن اعتبرناه رمزاً على حد تعبيرهم.

وكان لابد من إضافة «الصليب الكبير والقلنسوة اليهودية إلى الحجاب الإسلامي حتى لا تكون الصفعة مباشرة للدين الإسلامي بعينه، وليكون طرفاً يرتفع إلى مستوى تهديد الجمهورية العلمانية الفرنسية»، وبذلك أصبحنا أمام صراع بين العلمانية والحريات الدينية وليس مناقشة للحريات الدينية في ظل النظام العلماني، ولعل هذا يتضح من مقولة الرئيس الفرنسي في خطابه: «ليس مسموحاً أن ترفض قوانين الجمهورية ومبادئها تحت ذريعة الحرية الدينية»، وقوله: «تندرج العلمنة في تقاليدنا، إنها في صلب هويتنا»، وكذلك «أدعو الفرنسيات والفرنسيين كافة إلى أن يجتمعوا على الولاء لمبدأ العلمنة الذي يشكل حجر الأساس في الجمهورية»....، ألا يوحي ذلك بأن العلمانية الفرنسية دين ودولة؟.



وأن خطر الحجاب الإسلامي في المدارس الرسمية ركن من أركانها بقدر ما أن حجاب المرأة ركن من أركان الإسلام؟، أعتقد أن عبارات الرئيس «شيراك» حازمة ولا تحتمل لبساً.

الترويج للعلمانية

وعلى مدى طويل قرأنا لكثير من الكتّاب مقالات وكتباً عدة يحاولون فيها الترويج للعلمانية في محاولة لفرضها على العالم الإسلامي بطرق عقلانية غير مباشرة على المدى الطويل إلا أن هذه الكتابات ازدادت منذ خطاب الرئيس الفرنسي، فمنهم من اتبع أسلوب الدفاع المباشر عن العلمانية متمثل في الدفاع عن قانون منع الحجاب في فرنسا، مستندين إلى حرية فرنسا في سن قوانينها وضرورة التزام كل من يقيم على أرضها بتطبيق هذه القوانين شأنها في ذلك شأن المملكة العربية السعودية في إلزام غير المسلمات في المملكة بزي يواكب شروط السعوديين وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية، إلا أنني لا أجد وجهاً للشبه هنا، لأن الحجاب على حد علمي فرض في كل الديانات السماوية الصحيحة غير المحرفة، ويتضح ذلك في لباس الراهبات، وهي بذلك لم تأمر أو تجبر أحداً على معصية، وإن وجدت ديانة لا تعتبر الحجاب فرضاً فلا توجد ديانة تعتبر ارتداءه إثماً.

ومنهم من استند في كتاباته إلى انتقاده للدول الإسلامية التي تمتلئ شوارعها بالسافرات وانتقد عدم إجبارهن على الحجاب، وهذه أيضاً حجة باطلة لأن هذه الدول لم تجبر أحداً على معصية بل تركت العلاقة بين الفرد وربه يحددها الفرد ذاته، وكل سيحاسب بما كسبت يداه، فالمسألة هنا هو عدم الإكراه سواء بالتحجب أو بالسفور، وإن كان الأصل هو الأمر بالتحجُّب.

ومنهم أيضاً من اتبع الأسلوب غير المباشر في الدفاع عن القانون الفرنسي، وذلك بالترويج للعمانية بصفة عامة على أنه يوجد ثمة شبه بين الإسلام والعلمانية - على حد ادعائهم - كنوع من تمييع المفهوم



احتشدت الشوارع الفرنسية احتجاجاً على منع الحجاب.

لدى المسلمين، وتطويع الإسلام للعلمانية، ففي أحد المقالات يذكر أحد مروجي العلمانية، أن هناك تقارب بين العلمانية في رفضها للكهنوت والإسلام في رفضه المماثل لادعاء الحق الإلهي، كما أن الإسلام والعلمانية - على حد قوله - يلتقيان في الإيمان بالعقل وتحبيذه، وفي اعتناق الديموقراطية والليبرالية، وفي الإيمان بالتوجه الإنساني «هيومانزم» وقبول مبادئ النسبية والتاريخية وما أشبهها.

وفي هذا المضمار يقول الدكتور «محيي يحيى» السؤال هو: هل ترفض العلمانية الكهنوت أم أنها ترفض الكنيسة كلها والدين «المسيحي والإسلامي» والعقائد والأفكار الدينية، حتى ولو كانت من دون كهنوت؟، إن القول برفض العلمانية للكهنوت - يخفي حقيقة أن العلمانية ترفض الدين نفسه، وإلا فإن «البروتستانتية» ترفض الكهنوت الكنسي، حتى وهي تدعو في تجلياتها الحديثة إلى أصولية مسيحية طاغية ومتطرفة، أما الإسلام عندما يرفض الكهنوت لا يرفض معه الدين والعقيدة لأن الإسلام نفسه دين.

وإذا قلنا: إن الإسلام يرفض الكهنوت، فإن هذا يعني أنه يرفض الأسلوب الكنسي المعروف في ضرورة وجود عناصر خاصة لا تكتمل العبادة ولا ترفع إلا بها، بل لا يكتمل الدين والإيمان نفسه إلا بمباركتها وتطويبها، لكن هذا لا يستتبع أبداً رفض وجود فئة من الفقهاء والعلماء تدرس الدين، «عقيدته وشريعته»، وتتخصص فيها، وتنصح وتوجه غيرها من فئات الأمة، فالدين مفتوح، وهذا



هو معنى رفض الإسلام للكهنوت.

أما فيما يخص التقارب بين الإسلام والعلمانية فيما يعرف بـ«الهيومانزم»، فالإسلام قد كرَّم الإنسان وأعلى من شأنه، بينما تدَّعي العلمانية في جوهرها أنها هي الفكر الذي جعل من الإنسان معيار كل شيء، ولكن هل إعلاء الإسلام لشأن الإنسان مثل إعلاء العلمانية لشأنه؟ كلا، فالعلمانية تجعل الإنسان «كائناً مجرداً مطلقاً» بديلاً عن الإله الذي رفضته أو أبعدته عن العالم بل جعلت الإنسان هو الواضع لكل القيم والمعايير، كما جعلته الهدف الأسمى الذي يصب كل شيء في خدمته مهما كان، أما الإسلام: فلا يجعل الإنسان على هذه الدرجة أو الكيفية من التأله والإطلاق والغائية، كما أنه ليس هو واضع القيم العليا والمبادئ الكلية، وهو يستمد تكريمه من خالقه، وليس من كينونته هو، كما أن هذا التكريم مقصور على النواحي المادية الدنيوية بالنسبة للجميع، لكنه في الآخرة يقتصر على المؤمنين المقبولين وحدهم.

إن الطرح القائل بوجود تقارب بين مواقف الإسلام والعلمانية يعبر في ضحالته عن اتجاه في المحاججة ليس إلا.

ردود أفعال قضائية

وكما كان هناك ردود أفعال على المستوى الإعلامي كان في المقابل ردود أفعال قضائية نحو قانون «شيراك» الفرنسي، وللوقوف عليها التقيت الأستاذ «مبارك سعدون المطوع» أمين عام اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان في الكويت، فقال: إنه تم تفويضه من قِبَل المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة الذي يرأسه شيخ الأزهر الدكتور «محمد سيد طنطاوي» بمقاضاة الحكومة الفرنسية داخل المحاكم الفرنسية ببطلان قانون حظر الحجاب داخل فرنسا، وكان ذلك في اجتماعات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة.

وأضاف: «أتصور أن معركة الحجاب لم تبدأ بعد، وأن الطرق القانونية ستجعلنا نكسب الجولة، وخصوصاً أن القانون الفرنسي ناتج من سوء فهم شديد لمفهوم ولتعاليم الإسلام، على اعتبار أن الفرنسيين يعتبرون الحجاب رمزاً إسلامياً شأنه شأن الصليب والقلنسوة وليس أمراً إلهياً واعتبارهم أنه مخالف للتوجهات العلمانية، إلا أن هذا لا يعفي الحكومة الفرنسية من المسؤولية الكاملة لأنه كان من المفروض أن تتبين حقيقة الحجاب من المسلمين في فرنسا قبل اتخاذ القرار.

ويضيف: المشكلة كانت وقوع بعض المسلمين في هذا اللبس نفسه، ومن وجهة نظر بعضهم من أحقية فرنسا في صياغة قوانينها وإلزام كل من يعيش على أرضها بالطاعة والانصياع لهذه القوانين، إلا أن هذه الطاعة لابد أن تكون في حدود ما شُرِّع للإنسان من حقوق وفقاً للمواثيق الدولية والمعاهدات وميثاق الأمم المتحدة ودساتير الدول نفسها، وقبل كل ذلك من الشرائع السماوية، وكل هذه مجتمعة لا تعطي الحق بالتدخل في شعائر الإنسان الدينية، بل تعطي الحق كاملاً للفرد بممارسة حقه في العقيدة، وهذا القانون يتناقض مع أبسط حقوق الإنسان التي تنادي بها الدول الغربية نفسها ومنها فرنسا.

شكراً للرئيس الفرنسي

ويتوجه الأستاذ «مبارك المطوع» بالشكر إلى الرئيس الفرنسي، لأنه سلط الضوء على قضية الحجاب، فنحن في حاجة إلى من يظهر قضايانا على السطح حتى يفهم العالم ديننا، وأن حقيقة ما تضعه المرأة على رأسها ليس مجرد غطاء رأس، ولعل من أبرز ثمارها أن هذه الفرصة أدت إلى تحجب المئات من الفرنسيات والمسلمات السافرات داخل فرنسا نفسها.

وعن ردود الأفعال الفرنسية إزاء استنكار العالم الإسلامي لقانون منع الحجاب، يقول الأستاذ «المطوع»: إن الحكومة الفرنسية حاولت أن تخفف من وطأة هذا الموضوع، فاتجهت إلى أن تحصر نطاق التطبيق في نطاق أضيق بعدما رأت ردة الفعل الإسلامي، فقصرته على المدارس الحكومية فقط واستبعدت الوظائف الحكومية والجامعات وهذا ما أفاد به بعض المسؤولين الفرنسيين.


مبارك المطوع في حوار مع الوعي الإسلامي.



إلا أن هذا التضييق لا يفيد في شيء وإنما هو مجرد تخفيف للأزمة، فالقانون مبني على فهم خاطئ للإسلام، وواجبنا أن نصحح هذا الفهم حتى لا تستشري العدوى إلى حكومات أوروبية أخرى، فهناك بالفعل إعلان نوايا مماثلة لدى روسيا وألمانيا وبلجيكا وهولندا.

تعاون قضائي دولي ضد القانون الفرنسي

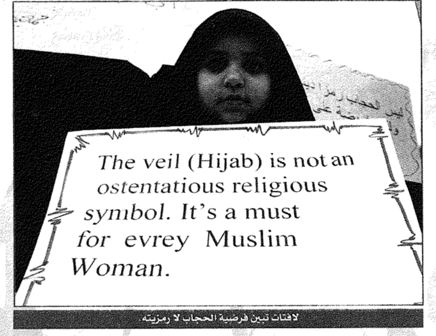
ويقول الأستاذ «المطوع»: إنه تم التنسيق مع جهات معينة من المنظمات الإسلامية الموجودة في فرنسا وأوروبا وصدر بيان منهم، سجلوا فيه موقفهم الداعم لنا، ونحن على موعد مع هذه الجهات في اجتماع مقبل سيعقد في السودان إن شاء الله، لمزيد من التنسيق في عملية رفع الدعاوى القضائية ضد القانون الفرنسي، بالإضافة إلى أن ثمة اتصالات تمت مع محامين عرب وأوروبيين منهم من لا يدين بالديانة الإسلامية للتحضير لهذه الدعاوى، وسننطلق جميعاً من المواثيق الدولية والحرية العقائدية التي تقررها فرنسا، فكما أقرت بناء المساجد وممارسة الصلاة كأمر إلهي، لابد من الإقرار بالحجاب أيضاً كأمر إلهي.

فرنسا الخصم والحكم

والجدير ذكره، أن هذه الدعاوى سترفع أمام القضاء الفرنسي، فكيف تكون فرنسا هي الخصم والحكم؟!.

يقول الأستاذ «المطوع»: القضاء الفرنسي مستقل عن الحكومة الفرنسية، ففرنسا تقوم على الفصل بين السلطات، والقضاء الفرنسي يعمل عمل الرقيب على أعمال السلطتين التشريعية والتنفيذية، وللقضاء الفرنسي حق إلغاء القانون أو جانب منه.

ويضيف: ثقتنا في عدالة القضاء الفرنسي نابعة من ثقتنا في القضاء بصفة عامة أينما وُجِد، ولو افترضنا أن القضاء الفرنسي جاء متناقضاً مع التوجهات التي ذكرناها، فإننا سنلجأ إلى المحاكم الدولية الأخرى.



لافتات تبين فرضية الحجاب لا رمزيته.

خاتمة

وبعد هذا العرض الطويل، أختتم تحقيقي بتساؤل للكاتبة «حياة الياقوت» صحيح أن كون فرنسا علمانية شأن خاص بها، لكن فرنسا لطالما كانت علمانية وليبرالية معاً مؤمنة بمبادئ الثورة الثلاث «حرية، إخاء، مساواة»، ويبدو أن أحد مبادئ الثورة «الحرية» سيبدأ بالتآكل، فهل تأكل الثورة مبادئها، كما أكلت أبناءها في فترة من الفترات؟ وهل تنضم فرنسا لقائمة الدول العلمانية الاستبدادية؟

نقول لفرنسا: إن أي أمر طالما أنه لا يحمل طبيعة تحريضية، ليس من شأن الدول التدخل فيها، إذا كانت تريد حقاً أن تمنح مواطنيها الحرية، والحجاب لا يحمل طبيعة تحريضية وليس رمزاً كالصليب والقلنسوة، فهذان من الرموز التي تحمل صفة الدعوية أو التبشيرية، لأنه لا فائدة عملية أو تعبدية لهما، أما الحجاب فأقصى ما يمكن أن يثيره هو أن يشي بأن من ترتديه من دين معين، لها صفات وسلوكات معينة، وهو ليس رمزاً لأنه لا يرتدي بصورة أساسية لأغراض دعوية، بل تعبدية.

والله متم نوره ولو كره الكافرون ■



الحجاب فريضة شرعية وليس رمزاً إسلامياً



أعداء الإسلام داخل وخارج الوطن العربي يعتبرون الحجاب رمزاً إسلامياً لا علاقة له بالدين

"لو أعلن المسلمون في الغرب جميعاً رفضهم للقرار الفرنسي ستتراجع الحكومة الفرنسية عن قرارها"

مفتي الديار المصرية: حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سن التكليف

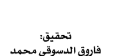
تحقيق:
فاروق الدسوقي محمد



لم تنته الحملات المغرضة ضد حجاب المرأة المسلمة منذ بدء الدعوة الإسلامية قبل نحو أربعة عشر قرناً.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر اشتدت الحملة على الحجاب مستخدمة أحدث وسائل الإعلام، والاتصال، والمعلومات لإثارة الشبهات ضده، وللتشكيك فيه، وصرف الناس عنه، والقضاء عليه، حيث يعتبرونه ـ أعداء الإسلام داخل وخارج الوطن العربي ـ رمزاً إسلامياً لا علاقة له بالدين، إنهم يغمزون ويلمزون ويلوون الحقائق ليصفوا الحجاب كذباً وزيفاً بأشياء هو منها براء.

وأخطر ما في الأمر محاولاتهم المستميتة لمحاربة حجاب المرأة، ودعوتها إلى خلعه، فتارة يقولون إنه لا أساس له في الدين الإسلامي، وتارة أخرى يؤكدون أنه كان أمراً قاصراً على زوجات النبي، أما الحملة الأخيرة التي وصف فيها الحجاب بأنه رمز

ديني، ويجب التخلي عنه في المدارس والمؤسسات الحكومية، وجاءت تلك الحملة شديدة قوية لإبداء الرئيس الفرنسي «جاك شيراك» تأييده لتوصيات لجنة «برنار ستاسي» المكلفة بمراقبة تطبيق العلمانية في فرنسا، حيث دعت فيها إلى سرعة إصدار قانون يحظر جميع الرموز الدينية الظاهرة، وبخاصة الحجاب.

وعقب إعلان الرئيس الفرنسي «جاك شيراك» تأييده لإصدار قانون يحظر الرموز الدينية، وبخاصة الحجاب، وعدم ارتداء الحجاب في المدارس والمؤسسات الحكومية، أصدرت المنظمات الإسلامية الأوروبية إدانة لموقف الرئيس الفرنسي من قانون حظر الحجاب في المدارس والمؤسسات الحكومية. وأكد اتحاد المنظمات الإسلامية الأوروبية في بيان له صدر في القاهرة أن إصدار مثل هذا القانون فيه إكراه للمسلمة على مخالفة دينها، وهو أمر لا يمكن قبوله بكل المقاييس، مشيراً إلى أن مسلمي أوروبا لا يريدون أن يفرض عليهم أن يختاروا بين الالتزام بدينهم وبين الانتماء لأوطانهم الأوروبية، كما أن المسلمين في أوروبا يؤكدون أن سن قانون في فرنسا يمنع الحجاب يمثل اعتداء صارخاً على أمر شرعي يتعلق بحرية التدين التي كفلتها القوانين الأوروبية ومواثيق حقوق الإنسان، لأن إجبار المسلمين على التنكر لتعاليم دينهم هو إرادة لدفعهم للعزلة عن الجميع، موضحاً أن المسلمين في أوروبا يعتقدون أن المشكلة الحقيقية هي في قراءة المسلمين لمبدأ العلمانية الذي يريد بعضهم أن يجعلوا منه مقيداً للحريات الدينية ومانعاً للتعددية بشكل يجعل العلمانية محاربة للأديان.

ودعا اتحاد المنظمات الإسلامية الأوروبية في بيانه جميع الطوائف الدينية والهيئات الحقوقية في أوروبا إلى التصدي لهذا التوجه الفرنسي، مطالباً المسلمين في أوروبا أيضاً بالتعبير عن استنكارهم لهذا التوجه بكل الوسائل المتاحة والعمل على إبراز حقيقة الحجاب، باعتبار أنه أمر إلهي مباشر تشعر كل مسلمة متدينة بالاعتزاز به، وبأنها لا يحق لها مخالفته تحت أي ظرف».

وأكد مفتي الديار المصرية في رده على فتوى حول «الحكم الشرعي في ارتداء المرأة المسلمة الحجاب، وهل هو واجب شرعي وفرض على كل مسلمة؟» أن حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سن التكليف وهو السن التي ترى فيه الأنثى الحيض، وهذا الحكم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وأضاف مفتي الديار المصرية أن فرضية الحجاب أجمع عليها المسلمون سلفاً وخلفاً، وهو معلوم أنه من الدين بالضرورة، وأنه لا يعد من قبيل العلامات التي تميز المسلمين عن غيرهم فحسب، بل هو من قبيل الفرض اللازم الذي هو جزء من الدين، واستشهد بقوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة الأحزاب: (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)، وقوله تعالى أيضاً في الآية ٣١ من سورة النور: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)، كما استشهد بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا»، وأشار إلى وجهه وكفيه.



الحجاب أمر إلهي مباشر تشعر كل مسلمة متدينة بالاعتزاز به

وتقدم النائب البرلماني الدكتور أكرم الشاعر بطلب إحاطة لمناقشته أمام البرلمان المصري يسأل فيه كلاً من وزير الخارجية المصري والسفارة المصرية في فرنسا عن الهدف من مثل هذا القرار.

وقال الدكتور الشاعر في طلب الإحاطة: إن هذا القرار نوع من أنواع العنصرية ضد الإسلام وتدخل في صلب الدين من قبل دولة تدّعي العلمانية التي من شأنها حماية حرية الاعتقاد للأقليات.

وأضاف قائلاً: العراة يسيرون في شوارع فرنسا، على الرغم من أن هذا اعتداء على حريات الآخرين، فلماذا لا يمنعونهم؟. ولماذا يقف الأزهر هذا الموقف السلبي تجاه هذه المسألة؟.

ويؤكد الدكتور «عبد العزيز عزام» أستاذ الفقه في جامعة الأزهر، أنه لا يجوز للمسلم أو المسلمة الطاعة لحاكم الدولة فيما يخالف العقيدة والدين،

«إصدار قانون منع الحجاب في فرنسا إكراه للمسلمة على مخالفة دينها»

ويجب على المسلمين في فرنسا رفض القرار الفرنسي بمنع ارتداء الحجاب، فهذا القرار لا يعد اعتداءً على الأقلية الإسلامية في فرنسا وحسب، بل هو عدوان صارخ على المسلمين، وهو أمر مرفوض دولياً ودينياً، ولهذا فعلى فرنسا ألا تستغل ضعف الأقلية الإسلامية فيها، وتفتنهم عن دينهم بهذا القرار الذي يعتبر السكوت عنه نوعاً من الخلل في الدين.

فلو أعلن المسلمون في الغرب جميعاً رفضهم للقرار الفرنسي، ستتراجع الحكومة الفرنسية عن قرارها، وذلك حتى لا تشعر

فرنسا بأن الإسلام شعار لا يُطبق.

ويرى الدكتور «عبد المعطي بيومي» عضو مجمع البحوث الإسلامية أن المسلمين في فرنسا عليهم أن يتلاءموا مع هذا القرار، بمعنى أن يستحدثوا من الموضات ما يؤدي مهمة الحجاب دون مخالفة للقرار الفرنسي، فلا يمكن تحديد مشروعية إذا كان يجوز سقوط الحجاب عن المرأة المسلمة في فرنسا أم لا في الوقت الحاضر، ولابد من الانتظار حتى تتضح أبعاد قرار فرنسا ومتطلباته، كما يجب أن تسعى الدول الإسلامية دبلوماسياً وثقافياً مع فرنسا لإقناعها بالرجوع عن مثل هذا القرار، وأنه سيكون للرجوع أثر وخصوصاً مع وجود العلاقات الطيبة بين فرنسا والكثير من الدول الإسلامية.

ويضيف قائلاً: إن قرار فرنسا بمنع الحجاب فيه إحراج للمسلمين في جميع أنحاء العالم، ولهذا يجب التوضيح للدولة الفرنسية أنه يجب أن تراعي المشاعر الدينية للمسلمين وخصوصاً أنها بلد الحريات السباقة، في تأكيدها على الحرية في ممارسة العقائد، كذلك يجب على المؤسسات الإسلامية في العالم أجمع أن تساعد المسلمين في فرنسا على إقناع الحكومة الفرنسية للتراجع عن قرارها، وأن يقوم المسلمين هناك بتوضيح أن الحجاب ليس كالقلنسوة اليهودية أو الصليب الكبير، لأنه فريضة شرعية، أما البقية فليست فرائض عقائدية في الديانتين المسيحية واليهودية.

ويقول الدكتور «نصر فريد واصل» مفتي مصر الأسبق: إن قرار فرنسا بمنع ارتداء الحجاب



فرنسا تريد أن تجعل الطالبات المسلمات أميات يمكثن في منازلهن حتى لا يتعلمن أو يتنازلن عن فريضة الحجاب

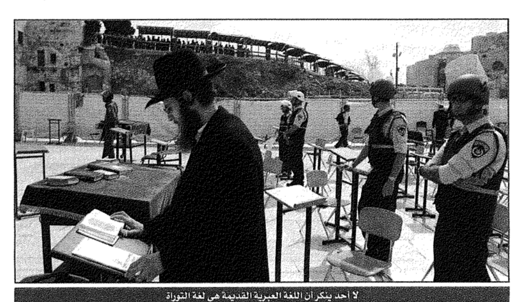
يعتبر قضيه عقائدية، ومواجهتها تتطلب الاستعانة بما يؤكده الفرنسيون أنفسهم من حقوق الإنسان، وحرية ممارسه العقائد، مشيراً إلى أن سبب هذا القرار هو وجود خلط لدى الحكومة الفرنسية بأن هناك تعارض بين الإسلام، والعلمانية التي يؤمن بها الغرب، ودول أوروبا جمعاء، ومن ثم فإن مواجهه القرار الفرنسي بمنع ارتداء الحجاب يكون في أيدي الجالية الإسلامية في فرنسا، بحيث يؤكد المسلمون هناك بأنهم مع العلمانية التي تتيح الحرية الكاملة في العقيدة، طالما لا يعتدون على حرية أحد، وذلك من باب أن التمسك بالأمور التي يتمسك بها الغرب لحماية العقيدة هو من أقوى الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها مسلمو المهجر للدفاع عن أوامر وتعاليم الدين، فهذه القضية لها جوانبها السياسية، بدليل أن الرئيس الفرنسي «شيراك» صرح بأن الرموز الإسلامية تتعارض مع العلمانية، وقصد بها الحجاب، مع أن الحجاب لا يعد رمزاً، وإنما هو فريضة، والكثيرون في فرنسا يعلمون ذلك جيداً، مما يدل على أن القرار الفرنسي بمنع الحجاب كمنع الصليب الكبير، معد مقصوداً ضد الدين الإسلامي، وهو قرار به عدم مساواة، وضد العلمانية الغربية التي تعطي الحرية في العقيدة، ويجب على المسلمين أن يقفوا موقفاً حاسماً ضد هذا القرار، حتى يوضحوا المقصود من الحجاب في الإسلام، وأن منعه سيشعل النيران في العالم، وسيكون له تأثيره السلبي على العلاقات بين الجانب الفرنسي والعالم العربي والإسلامي.

ويرفض الدكتور «واصل» أن تعترض الجاليات الإسلامية في فرنسا على القرار الفرنسي بمنع الحجاب بالطرق غير المشروعة، وإنما ينادي باتباع الطرق المشروعة في الاعتراض، وأن يلجأوا إلى القانون، فلو قطعت الدول الإسلامية علاقتها مع فرنسا بسبب ذلك القرار لن يفيد، ولن يجعلهم يتنازلون عن قرارهم.

وتتساءل الدكتورة «رجاء حزين» عميدة كلية الدراسات الإسلامية بنات جامعة الأزهر قائلة: إن أوروبا كلها تسمح بالحجاب، ولا نعلم لماذا اتخذت فرنسا هذا القرار؟

إن فرنسا بهذا القرار تريد أن تجعل الطالبات المسلمات في فرنسا يمكثن في المنازل، حتى لا يتعلمن، أو يتنازلن عن فريضة الحجاب، كما يستهدف هذا القرار هدم أساسيات إسلامية للنيل من الإسلام في أوروبا، ويأتي في إطار العلمانية التي يؤمن بها الغرب، وبالتالي يصبح الاعتراض عليه نوعاً من الإرهاب من وجهة النظر الغربية، كما أن هذا القرار أصبح جزءاً من نظام الدولة الفرنسية واتباع المسلمين له هناك يعتبر ضرورة شرعية، لأن فرنسا وضعت قرارها بمنع الحجاب بحيث لا تجعل هناك فرصة للمسلمين أن يعترضوا عليه، حيث منعت الصليب الكبير للمسيحيين، والقلنسوة اليهودية ■

السامية ومعاداتها في الفكر الإسرائيلي



لا أحد ينكر أن اللغة العبرية القديمة هي لغة التوراة

اليهود اليوم يشكلون خليطاً مركّباً ومزيجاً معقداً، شاركت فيه مختلف الأجناس البشرية في العالم

بقلم:
د.رفيق حسن الحليمي



كاتب وأكاديمي فلسطيني



في مفهوم السامية

تعود كلمة «السامية» في أصلها اللغوي إلى «سام» أحد أبناء نوح - عليه السلام - وعلى فصيلة لغوية كبرى تضم مجموعة من اللغات التي تحدثت بها بعض الأمم التي يعتقد أنها تحدرت من الأصل السامي أو من الأب السامي، وهو «سام بن نوح»

ومن الواضح أن «سفر التكوين» أو سفر الخَلْق، وهو السفر الأول في التوراة يعدّ أول ما عرض إلى أن أولاد نوح هم سام وحام ويافث، كما عرض إلى الشعوب التي انحدرت من أصلاب كل ولد منهم.

ومما يلحظ أن سفر التكوين اعتمد في تقسيمه السابق على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية، أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية، فقد عدّ «الليديين» و«العيلاميين» من الساميين، مع أنهما من الناحية الشعبية «السلالية» أجنبيان عن الشعوب السامية، وأجنبيان أحدهما عن الآخر، كما عدّ الفنيقيين «سكان لبنان» من الشعوب الحامية نسبة إلى حام، لتعدد الصلات السياسية والثقافية التي كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية والبربرية، ولما كان بين الفنيقيين وبين العبريين من عداء وحرب... مع أن الفنيقيين من أخلص الساميين نسباً وأقربهم رحماً من العبريين أنفسهم.(١)

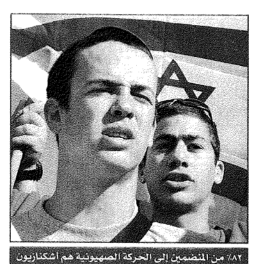
وبذلك يعتقد أن العابثين والمحرفين للتوراة ولما جاء في سفر التكوين قد أحدثوا أول اختلاق واختراق للفكر الإنساني، حيث كرسوا - لحاجة في نفوسهم - مفهوم السامية على النحو السابق لخدمة مصالحهم، في قصرهم ذلك المفهوم على مجموعة من الشعوب دون غيرها لاعتبارات تجاوزت وشائج القربى وصلات الرحم ولحمة النسب والدم، وهي الأصل في تحديد مختلف الأجناس البشرية، ومن ثم تحديد الفصائل اللغوية، ومن المعروف أن التوراة كتبت بعد وفاة موسى عليه السلام (ت حوالي القرن ١٥٠٠ ق.م) ببضعة قرون، فقد دونت في أواخر القرن التاسع إلى السادس ق.م، فكان مجال العبث والتحريف مفتوحاً، ومنها ما ورد في سفر التكوين حول موضوعنا الراهن،

وغيره من موضوعات تفيض بها التوراة وضعاً وتزييفاً وافتراء على الله ورسله، وليس ذنب البشرية بعد ذلك أن التوراة منذ زمن بعيد هي ليست التوراة التي نزلت من قبل، وقد فطن العلماء إلى ما في سفر التكوين من تزييف وتسييس لمفهوم السامية «فأخرجوا من نطاقها القديم جميع الشعوب التي ظهر لهم أنها أجنبية عن السامية، وأضافوا إليها الشعوب السامية التي سكت عنها أو عدها من فصائل أخرى، حتى استقر مدلولها في عرفهم على الوجه السابق»(٢)، فأصبحت السامية محصورة في الآشوريين، والبابليين، والفنيقيين، والعبريين، والعرب، واليمنيين، والحبشيين.

مع الجنس السامي

لا أحد ينكر أن بني إسرائيل من الأسباط ومن تحدر من أصلابهم من الشعوب السامية، فإسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم - عليهم السلام - لكن تاريخ بني إسرائيل القديم منه والحديث حدثت فيه تحولات كبرى ومتغيرات لم تجعل الأعراق نقية، ولا الأصول صافية ولا الأجناس البشرية خالصة في عروقها ودمائها كما كانت منذ العهود القديمة.

من الباحثين من ذهب إلى أنه لم يعد هناك على الأرض جنس بشري صاف، خالص في نقائه وانتمائه إلى أمشاجه وأصوله القديمة، بحيث تجعل منه سلالة بشرية خالصة لم تختلط بدماء الغرباء «الأغيار»(٣). ولعل كثيراً من الشعوب التي استقرت في أماكن محددة، وأقاليم معروفة لآلاف السنين قد أصابها شيء من اختلاط الأنساب، وهذا الأمر ينطبق بصفة أخص على بني إسرائيل، حيث ارتحلوا من مكان إلى مكان، ومن خروج إلى خروج، وتوزعوا في أرجاء المعمورة، وخلال الزمن البعيد الممتد لبضعة آلاف سنة ظهرت أجيال وسلالات متباينة اختلطت فيها دماء الساميين بغير الساميين، وإذا كان هناك نقاء عرقي لدى بعض الشعوب أو أكثرها مثل: «الكتلة الاسكندنافية، عرب الجزيرة في صحراء الدهناء، الجنس الأصفر، الجنس الأسود» فإن بني إسرائيل في هذه الأيام، وقبلها بمئات السنين هم أبعد ما يكونون عما يسمى النقاء العرقي وصفاء الجنس البشري رغم زعمهم غير ذلك، والأسباب والعلل في ذلك كثيرة سبقت الإشارة إليها، ويأتي معها اعتمادهم في تحديد هوية الجنس البشري «اليهودي» على العقيدة الدينية، التي لم تكن أساساً علمياً، ويستند إليه في تحديد طبيعة الأجناس البشرية ومعرفة هويتها وخصائصها وملامحها التي تميزها من غيرها. «فنحن نطلق اليوم اسم اليهودي بصورة



٨٢٪ من المنضمين إلى الحركة الصهيونية هم أشكنازيون

> **العابثون والمحرّفون للتوراة أحدثوا أول اختلاق واختراق للفكر الإنساني**

جدول رقم (١) يوضح عدد اليهود المهاجرين من البلاد العربية(٥)

القطر	عدد المهاجرين اليهود
العراق	١٢١,٥١٢ نسمة
اليمن وعدن	٠٤٨,٣٥٤ نسمة
المغرب	٠٤٥,٤١٢ نسمة
ليبيا	٠٣٠,٤٨٢ نسمة
مصر	٠١٦,٥٠٨ نسمة

جدول رقم (٢) عدد اليهود المهاجرين من بلاد غير عربية(٥)

القطر	عدد المهاجرين اليهود
تركيا	٤٣,٢١٣ نسمة
إيران	٢٤,٨٠٤ نسمة
دول أخرى	٩,٠٠٠. نسمة

مبهمة، على كل الناس الذين اعتنقوا يوماً الدين اليهودي، على أن الواقع هو أن الكثير من هؤلاء ليسوا ساميين، من حيث أصلهم العرقي، ذلك أن عدداً واضحاً ممن اعتنقوا الدين اليهودي هم من سلالة «الهيروديين» المنحدرين من «الإيدوميين» ذوي الدم التركي - المغولي، والمصادر اليهودية ذاتها تقر بأن ٨٢٪ من المنضمين إلى الحركة الصهيونية هم أشكنازيون، أي يهود غير ساميين، ليست لهم علاقة عرقية تاريخية بفلسطين»(٤).

اليهود اليوم وهم نحو خمسة عشر مليوناً يشكلون خليطاً مركباً ومزيجاً معقداً، شاركت فيه مختلف الأجناس البشرية في العالم، بسبب الانتماء الديني الضيق، وهو الرابطة الجامعة فيما بينهم، وليس رابطة الأعراق والأنساب ولحمة الدم، إلا في القليل النادر، لذلك التقى الأسود الشديد في سواده مع الأصفر الفاقع الصفرة، والفلاشا مع السفرديم «يهود الشرق» مع الأشكناز «يهود الغرب» مع الخزر، مع البربر «يهود المغرب»، ويلتقون جميعاً مع اليهود العرب «وأكثرهم ساميون» في صعيد واحد، هو صعيد الهوية اليهودية «التوراتية»، واستناداً إلى هذا الواقع المعقد المتشابك ينبغي - موضوعياً - وعلمياً - أن تسقط عنهم صفة «السامية»، لأن أكثرهم في حقيقة الأمر ليسوا ساميين، ولا يمتون إلى السامية بأوهى صلة - ما عدا القلة ولا يجوز عقلاً أن تسحب صفة الجزء على الكل والقلة على الكثرة الكاثرة، وبخاصة في ميدان الأجناس البشرية، ذات المباحث العلمية الدقيقة.

ولعل من نافلة الحديث أن

نورد جدولين، يوضحان عدد اليهود الذين هُجِّروا من البلاد العربية، وغير العربية غداة قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، وقد أطلق على هذه العملية «بساط الريح»، وقد حدثت بين أعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٣م، وكنا نأمل أن تكون بين أيدينا وثيقة أخرى توضح عدد يهود «الفلاشا» الذين هُجِّروا من أثيوبيا أواخر الثمانينيات.

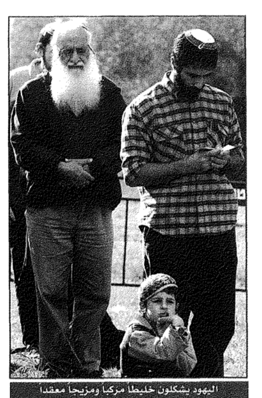
وحتى هؤلاء اليهود الذين هُجِّروا من البلاد العربية، وغير العربية يتشكك المرء كثيراً في أصولهم السامية، فقد كان كثير من هذه الدول التي ورد ذكرها في الجدولين، وغيرها «محطة» موقتة ومنطقة عبور، بعد الحربين العالميتين لليهود الفارين من أوروبا.

مع اللغات السامية

والأمر ينطبق على اللغات السامية، ومنها اللغة العبرية التي لم تعد خالصة نقية من شوائب الدخيل كما كانت عليه في عهدها القديم، فعندما حاول علماء الألسنيات تصنيف اللغات إلى مجموعات وفصائل تسهيلاً لبحثها ودراستها وتوصيفها، استند بعضهم إلى ما ورد في سفر التكوين بخصوص سام أحد أبناء نوح، فجاء مصطلح «السامية» ليضم مجموعة اللغات التي تنتمي إلى تلك الشعوب، وقد عزز من هذه الفرضية ما وجده العلماء من أوجه التشابه بين تلك اللغات على مستوى كثير من المفردات، والتراكيب، والضمائر والأعداد، والتذكير والتأنيث وتصريف الأفعال وأدوات التعريف(٦)، كما هي الحال عندما صنفوا الشعوب فوجدوا كثيراً من أوجه التشابه والتماثل في الصفات الجسمية والملامح العامة والمظاهر الحضارية تشيع بينهم جميعاً.

ولا أحد ينكر أن اللغة العبرية القديمة، وهي لغة التوراة، هي إحدى اللغات السامية التي انفصلت عن الأصل السامي أو عن السامية الأم، حالها في ذلك حال غيرها من اللغات السامية، من حيث الانتماء - فقط - إلى أرومة واحدة، وأصل لغوي واحد، قديم، هو الأصل السامي.

لكن اللغة العبرية الحديثة تعد عند علماء الألسنيات من اللغات المصنوعة، أي التي صنعت صناعة، حيث يجلس العلماء ويستعرضون اللغة العبرية القديمة التي لم تعد تفي بحاجات العصر، فيستعيرون من لغات شتى مفردات ومصطلحات ومسميات، يسدون بها ما في اللغة القديمة من نقص وعجز وقصور، قد تكون من الألمانية«وهي الأكثر» أو الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها، وقد تكون من العربية، وقد قال أحدهم: «لولا العربية لما عرفت العبرية!!» وقد جاء ذلك كله في محاولة «لعبرنة» شاملة وهو ما كانت تحتاج اللغة العبرية الحديثة.


اليهود يشكلون خليطاً مركباً ومزيجاً معقداً

والسؤال الذي يلقي بنفسه هنا: ما مدى تمثّل السامية الأم في اللغة العبرية الحديثة، هذه اللغة المصنوعة صناعة التي دخلتها مئات المئات من المفردات غير السامية، ألا يجعل ذلك صفة السامية منفية عنها، وغريبة عليها، ولو بقدر معين؟

الذي يمكن أن نؤكده في هذا السياق أن صفة «السامية» كعنصر بشري تنتفي عن الأكثرية من يهود العالم بما فيهم سكان الدولة العبرية، فالذين ينحدرون من أصل سامي لا يشكلون أكثر من مليون نسمة من بين خمسة عشر مليوناً، كما أن هذه الصفة كعنصر لغوي لا يجعل من العبرية الحديثة لغة سامية خالصة، تتمتع بصفة الأصالة والنقاء اللغوي.

وقد يقال رداً علينا: إن هذه الحالة تكاد تكون عامة في مختلف لغات البشر، فليس هناك صفاء ونقاء لغوي خالص في أية لغة حية على وجه الأرض لوجود ما يسمى بعامل الدمج اللغوي ودخول كلمات أجنبية دخيلة في مختلف اللغات، بما فيها اللغة العربية، غير أننا نؤكد فنقول: إن هذه الحالة بالنسبة إلى اللغة العبرية الحديثة تجعل درجات الصفاء اللغوي تقل بنسب عالية، وتزداد معها حالة الانزياح والإقصاء والابتعاد عن الأصل السامي وعن العبرية القديمة ذاتها، والأمر نفسه لا يختلف عن مستويات النقاء العرقي الذي يدعونه في شعبهم، فماذا بقي لبني إسرائيل اليوم من الأصول السامية التي يتشبثون بها، ويحرصون عليها في مختلف المحافل والمنتديات؟

وأعتقد أنه قد انقضى ذلك الزمن الذي كانت فيه بعض الشعوب تفاخر بأنسابها وأعراقها، وأن لغتها أفضل من لغة غيرها، فالشعوب ولغاتها تحيا بحياة أبنائها، وتموت هي ولغاتها بموات أبنائها ■

•• فهرس المراجع والحواشي ••

١ - علي عبدالواحد وافي، فقه اللغة، ص٢، ط السادسة، د.ت، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة.
٢ - المرجع السابق، ص ٣.
٣ - الأغيار: تعد هذه الكلمة المأخوذة من «غير» بمثابة مصطلح يطلقه اليهود على جميع البشر من غير اليهود، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا الموقف بكلمة «الأميين» قوله تعالى: (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران:٧٥.
٤ - الكوموندر وليام كار، الدنيا لعبة إسرائيل، ص٥٢، وهامش ص٥٣، الناشر: كولور فيوز كومبني - بيروت د.ت.
٥ - حسني عايش، الفلاشا آخر الأسباط المهاجرة، جريدة الوطن «الكويتية» ١٣ مارس ١٩٨٩م.
٦ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص ١٨، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الثالثة، ١٩٦٥م، مصر.

أصول المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين



تعرضنا في الحلقة السابقة لموضوع تحامل بعض المستشرقين على المذهب المالكي ومبالغتهم في استغلال مواقف ثلة من الفقهاء المنتقدين بقصد التهوين من شأن مذهب أهل المدينة.

وفي السياق نفسه اتهم الإمام مالك رضي الله عنه بأنه كان يقدم العمل على الحديث، وهو ما سنتناوله في هذه الحلقة بالإضافة إلى الحديث عن موقف المستشرقين من مسألة العرف في الفقه المالكي.

«المستشرقون يهتمون بالغ الاهتمام بالقضايا الاجتماعية في البلدان الإسلامية في العصر الحديث»



2-2

بقلم:
د.حسن عزوزي

رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - بفاس - المغرب

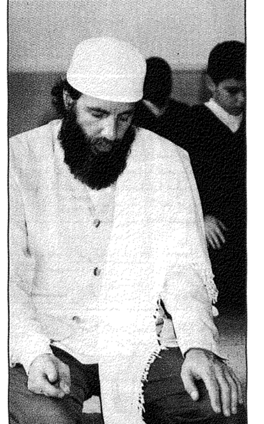




هل صحيح أن مالكاً - رضي الله عنه - كان يقدم العمل على الحديث؟

في معرض حديثه المقتضب عن عمل أهل المدينة لم يجد «جوزيف شاخت»(١) ما يضرب به المذهب المالكي سوى القول: إن الحديث النبوي لا يعتبر بالنسبة للإمام مالك المستوى الأعلى أو الوحيد في الموثوقية، ذلك أنه من جهة أولى يعطي لعمل أهل المدينة الأولية على الأحاديث النبوية عندما يتعارضان. ومن جهة أخرى فإنه عندما لا يعثر على حديث أو إجماع مدني فإنه يضع نفسه مشرعاً II se pos-ait lui méme en législteur، أي أنه يستعمل رأيه إلى الحد الذي رمي فيه بالتعرق «نسبة إلى الرأي بالعراق» لا شك أن الذي يقرأ كلام جوزيف «شاخت» السابق الذي يفيد أن مالكاً يقدم عمل أهل المدينة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تمييز سيعتقد أن الحديث النبوي لا اعتبار له في أصول المذهب المالكي وخصوصاً إذا لم يتم استيعاب العمل المدني وكيف أنه بمنزلة رواية جماعة عن جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو خير من رواية واحد عن واحد كما قال ربيعة الرأي: «ألف عن ألف أحب إليَ من واحد عن واحد، لأن واحداً عن واحد ينزع السنة من أيديكم»(٢).

وأعتقد أنه لا يخفى على هذا المستشرق وغيره تلكم المقولة الشهيرة عن الإمام مالك «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، كما أن العمل بخبر



رغم حركات الاستشراق الإسلام ينتشر في الغرب.

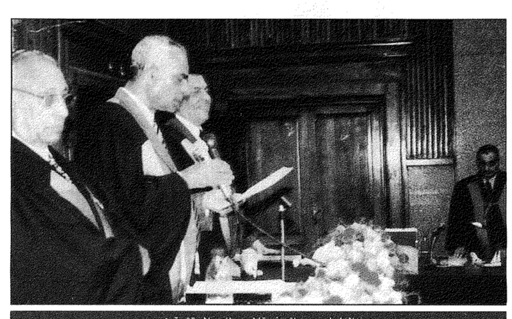
الواحد يعتبر من أصول مذهبه، ومن زعم أن مالكاً يشترط في خبر الواحد موافقته لعمل أهل المدينة فقد تقوّل على مالك ما لم يقل، فلا يشترط في الخبر إلا الصحة ولا شيء غير ذلك. ولعل أبرز مثال وجدته في كتابات المستشرقين عن عمل أهل المدينة والذي يمكن اعتباره مغرضاً مبنياً على سوء النية ما ذكره المستشرق الفرنسي «لوي ميليو» Louis Milliot (٣).

عندما قال: «لقد أولى الإمام مالك لعمل أهل المدينة أهمية كبرى حتى إنه فضله على الأحاديث الصحيحة (Il lui a accordé le pas sur les hadith authentiques) فإضافة لفظة «الصحيحة» كانت كافية للتدليل على أن الرجل كان يهدف إلى قلب الحقائق واتهام الإمام مالك بأنه كان يعرض عن الحديث الصحيح إعراضاً تماماً.

نعم إذا كان خبر الواحد وارداً من طريق غير صحيح وخالف ما عليه أهل المدينة فإنه كان يرى أن تقديم العمل أرجح في الأخذ وأقرب إلى الحق والصواب.

وقد سبق أن ردّ القاضي عياض على من ذهب إلى أن المالكية لا يقبلون من الأخبار إلا ما صحبه عمل أهل المدينة ووصف ذلك بالجهل والكذب وأنهم لم يفرقوا بين ردّ الخبر

كل عمل أساسه الاجتهاد لا يقدم على سنة صحيحة



العلماء.. دور رائد في تفنيد مزاعم المستشرقين.

الذي في مقابل عملهم وبين ما لا يقبل منه إلا ما وافقه عملهم(٤) ويظهر أنه في هذا يرد على ابن حزم الذي قال: «ذهب أصحاب مالك إلى أنه لا يجوز العمل بالخبر حتى يصحبه العمل».(٥)

وتتضح مسألة تعارض عمل أهل المدينة بخبر الآحاد عندما يتم تفصيل القول في أساس العمل المدني، هل هو النقل أم الاجتهاد؟ فإذا كان أساسه النقل فهو من دون شك مقدم على خبر الآحاد لأنه نقل متواتر وخبر الآحاد لا يعارض المتواتر لأنه ظني والمتواتر قطعي، وهذا أمر لا خلاف فيه عند المالكية.

أما إذا كان عمل أهل المدينة أو إجماعهم أساسه الاجتهاد، فالخبر مقدم عند جمهور المالكية، وقد لخص الإمام ابن القيم (ت ٧٥١) هذا الأمر ببراعة عندما ذهب إلى أن «كل عمل مجمع عليه أساسه النقل لا تخالفه سنة صحيحة قط، وكل عمل أساسه الاجتهاد لا يقدم على سنة قط».

المستشرقون ومسألة العرف

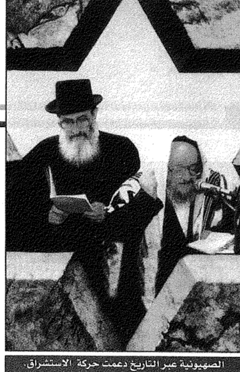
اعتبر المالكية العرف نوعاً من المصلحة وتوسعوا فيه كثيراً إلى الحد الذي جعل المذهب المالكي يفوق غيره من المذاهب في الاعتماد عليه كأصل من أصوله الفقهية، وذلك على اعتبار أن العرف الذي لا فساد فيه ضرب من ضروب المصلحة لا يصح أن يتركه الفقيه.

ولما كان المستشرقون يهتمون بالغ الاهتمام بالقضايا الاجتماعية في البلدان الإسلامية في العصر الحديث فقد وجدوا في اعتناء المذهب المالكي بمسألة العرف واعتبارها أصلاً من الأصول ودليلاً يجب الرجوع إليه ما يشفي غليلهم ويفسح لهم ميداناً خصباً ومرتعاً واسعاً للبحث الميداني والقيام بدراسات اجتماعية في الحواضر والقبائل والبوادي العربية للاطلاع على مختلف العوائد والأعراف المتعارف عليها والجارية بين الناس ومقارنتها بالأحكام الشرعية.

غير أن هؤلاء المستشرقين وجدوا في بحث هذا الموضوع ودراسته باباً يلجونه للطعن والتشويه وتمييع الحقائق واتهام المسلمين بأنهم اتخذوا لأنفسهم عادات وأعرافاً تتناقض وأحكام الشريعة.

بل أكثر من هذا نجد من المستشرقين من يقرر بأن كثيراً من القبائل البربرية في دول شمال أفريقيا تعتنق عادات وأعرافاً لها أصول وثنية أو جاهلية.

وقد انصبت معظم أبحاث المستشرقين حول



الصهيونية عبر التاريخ دعمت حركة الاستشراق.

الأعراف والعادات بالمغرب والجزائر، حيث كانت الحركة الاستشراقية الفرنسية تصول وتجول، وكان كثير من رموز الاستشراق مستقرين بالحواضر المغربية والجزائرية، وعند بعض القبائل أيضاً يخالطون السكان ويعاشرونهم قصد الاطلاع عن قرب على أعرافهم وعاداتهم، كما تم الاستناد إلى كتب فقه النوازل المالكية(٧) التي أنضجها علماء مغاربة كان لهم باع طويل في الاطلاع على أصول الناس وعاداتهم التي كان لها قوة واعتبار في قيام الأحكام عليها، وقد عرف من هؤلاء المستشرقين الفرنسيين المهتمين بالأعراف والعادات المغربية إبان عهد الاستعمار كل من «بوسكيه» Bousquet و«برونو هنري» B.Henry، و«جورج سالمون» G.Salmon وغيرهم.

ويقع معظم هؤلاء المستشرقين وغيرهم في خطأ جسيم حينما يعتبرون الأخذ بالأعراف والعادات السائدة سحباً لبساط الشرع أو أن يقول أحدهم وهو «ميشو بيلير» Michaux Bellaire الذي درس أعراف القبائل البربرية بالمغرب وقارنها بأحكام الفقه المالكي: «إن العمل في الحياة الاجتماعية بما يقضي به «عرف القبيلة» من خصائص القبيلة البربرية، ما دامت التقاليد والأعراف السابقة على قدوم الإسلام إلى المغرب متمكنة من هذه القبيلة، وما دام الشرع يرجع فيها - بالتالي - إلى المرتبة الثانية، وعندما يلاحظ العمل بما يقضي به هذا العرف في القبائل «العربية»، فهو يعزو ذلك إلى نفاذ تقاليد وأعراف القبيلة «البربرية»»، وإلى مثل هذا الرأي يجنح «برونوهنري» في بحثه عن العرف لدى بربر المغرب.(٨)

والواقع أن المستشرقين لا يستوعبون القيمة التشريعية الكبرى للعرف في الفقه المالكي على وجه الخصوص وفي الشرع الإسلامي على وجه العموم، فالعرف تولده الحاجات المتجددة المتطورة، ثم يغدو نظاماً معتبراً في نظر الشرع تدور عليه الأحكام والفتوى فيما يعرض للناس، وبذلك يعد مسانداً قوياً وعظيماً لكثير من الأحكام العملية بين الناس في مختلف مجالات الحياة، كما أن له سلطاناً واسعاً في استنباط الأحكام وتجددها أو تعديلها وتحديدها إطلاقاً أو تقييداً.

لقد خفي على «ميشو بيلير» ومن نحا منحاه في سوء الفهم - إن لم نقل سوء النية - أن العمل بالعرف يشكل أحد مصادر الاجتهاد في الفقه المالكي، ولكي نوضح الأمر بصورة مبسطة يمكن القول: إنه كما ينبغي للمجتهد أن يطلب رأي الخبراء في أمور التجارة والبصراء بشؤون الحرف والصنائع وأن يقيم اعتباراً لأقوالهم حين النظر في نازلة أو الحكم في خصومة ترفع إليه فإنه يكون ملزماً بمعرفة ما يقضي به «العرف» السائد في البلد أو الإقليم، بل إن فقيهاً كبيراً مثل أبي الحسن الماوردي يوازن بين الاجتهاد القائم على الشرع مجرداً والاجتهاد القائم على العرف متى لا يكون في تعارض مع الشرع فيقول: «الاجتهاد الشرعي ما روعي فيه أصل ثبت حكمه بالشرع، والاجتهاد العرفي ما روعي فيه أصل ثبت حكمه بالعرف»(٩) وأغلب عمل المحتسب - على سبيل المثال - يقوم على الاجتهاد العرفي ويعتمد عليه.

وإذا رجعنا إلى فقه المالكية وعلماء المغرب النوازليين «نسبة إلى فقه النوازل» ووقفنا على أحكامهم وفتاواهم فإننا نجد مكانة كبيرة للاجتهاد العرفي الذي يكون العمل به من مستلزمات الأحكام. وبالتالي فإن العمل بالأعراف والعادات السائدة في القبائل لا يدل في شيء على حضور للعادات البربرية التي يرى المستشرق «بيلير» أن أساسها راجع إلى ما قبل دخول الإسلام إلى المغرب(١٠)، ولا شك أن مثل هذا الكلام الخطير يوهم بأن أحكام الفقه المالكي السائدة بالمغرب مثلاً قد اختلطت بأعراف جاهلية لا علاقة لها بالدين، بيد أن المشكل لا يكمن في هذا، وخصوصاً إذا علمنا أن بعض العادات والأعراف التي عرفها العرب قبل الإسلام قد دخلت في التشريع الإسلامي من أبواب مختلفة بعد أن أقرها الشرع أو سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن بعضها، كما دخلت من باب الاستحسان والمصالح المرسلة وغير ذلك.

إن الخطورة في كلام «بيلير» تكمن في محاولة التشويش على القارئ الغربي أولاً والقارئ المسلم ذي الثقافة الدينية البسيطة ثانياً، لأن الإشارة إلى مرحلة ما قبل الإسلام أو المرحلة الوثنية كما ذكر بعضهم واعتبارها مصدراً مؤثراً في أحد مصادر الفقه المالكي لها وقعها وتأثيرها السلبي مما يحتاج معه إلى بيان وتوضيح حتى لا تلتبس الأمور.

من جهة أخرى، أوضح الفقهاء طبيعة الأعراف السائدة والجاري بها العمل وأوضحوا ما الصالح منها واعتبروا الجائر فاسد يخالف النصوص القطعية التي أتت بها الشريعة الإسلامية، وهذا التمييز يدفع شبهة المستشرقين التي تفهم من كلامهم الذي يرمي إلى أن الفقه المالكي يستوعب ويحتضن كل العادات والأعراف التي يعرفها المجتمع المغربي بما فيها التراث البربري ذي الأصول القديمة

> **الانحراف والعادات سواء كانت بربرية أو غيرها إنما توزن بميزان أحكام الشريعة الإسلامية**

السابقة لفترة دخول الإسلام، ولعل أبرز مثال في ذلك يعرفه كثير من المغاربة هو حرمان كثير من القبائل البربرية للمرأة من الإرث خشية أن يدخل زوجها في أملاك عائلة الزوجة، وهذا العرف يعتبر خرقاً سافراً لما جاءت به الشريعة الإسلامية ولذلك لا يعمل به قطعاً.

فالأعراف والعادات - سواء كانت بربرية أو غيرها - إنما توزن بميزان أحكام الشريعة الإسلامية، فما وافقها اعتبر وأخذ به في كل الظروف وخصوصاً إذا تحققت المصلحة من ورائه، وما كان منها مخالفاً للشرع فلا اعتبار له، أما ما ذهب إليه بعض المستشرقين منهم «ميشو بيلير» في بحثه السالف الذكر من أن هذه الأعراف بما فيها من فساد تحكم أحياناً في بعض القبائل المغربية اعتماداً على تحقيق المصلحة فهو أمر مردود، لأن المصلحة لا يمكن أن تحقق بأحكام مخالفة للشرع. «ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

ويمكن القول في هذا الصدد: إن نزوع المستشرقين الفرنسيين نحو المبالغة في إثارة قضية الأعراف والعادات


الجاليات الإسلامية في الغرب... دور رائد لإبراز حقائق الإسلام.

البربرية ومخالفتها لأحكام الفقه المالكي السائد بالمغرب الذي فيه نوع من التعسف البالغ له ما يبرره ويسوغه، ذلك أن البحث الاستشراقي في أوائل القرن العشرين وأواسطه كان مسايراً للسياسة الاستعمارية ومدعماً لها، وقد اتسمت سياسة عهد الحماية الفرنسية للمغرب بإحداث ما يعرف بالظهير البربري (١٦ مايو ١٩٣٠م) وكان ظاهره خطوة إدارية قضائية صرفة ترمي إلى تقنين وفرض قانون قبلي، ولكن باطنه كان سياسياً صرفاً، حيث أرادت فرنسا من ورائه تحطيم التزام المغاربة بأحكام دينهم والتشويش عليهم، لذلك لما رأى المغاربة فيه خطورة بالغة على الإسلام قاوموه بشتى السبل وخصوصاً عندما اتضح أن سلطات الحماية الفرنسية لا تريد أن تحيي من العرف البربري إلا ما تميت به الشريعة الإسلامية وأحكام الفقه المالكي الجاري العمل بها في المغرب.

وهكذا يمكن القول: إن المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا كثيراً بمسألة العرف لدى القبائل البربرية في المغرب كانوا مسايرين ومنتصرين للسياسة الاستعمارية التي عمدت إلى إعطاء العرف البربري صفة شرعية مخرجة بذلك نحو نصف سكان المغرب عن دائرة القضاء الشرعي وفق أحكام المذهب المالكي، مطبّقة عليهم أعرافاً بائدة وجائرة ينافي معظمها مبادئ الشرع الإسلامي.

هذه إذاً جملة من افتراءات وشبهات المستشرقين حول المذهب المالكي حاولت في هذا البحث جمعها واستقصاءها من مختلف مصادر الاستشراق المهتمة بمجال الفقهيات، وتم استعراضها موثقة لكي يسهل الرجوع إلى مواطن ورودها باللغات الأجنبية، وتم الرد عليها وتفنيدها بالحجج والأدلة الكفيلة بدحض كل افتراء في حق المذهب المالكي ومؤسسه وأعلامه وأصوله ■

البحث الاستشراقي في أوائل القرن العشرين وأواسطه كان مسايراً للسياسة الاستعمارية

●● الهوامش ●●

١- EI: Tome 6 p 250.

٢ ـ المدارك ٤٦/١.

٣- Louis Millot: introduction á l'étude du droit musulmans Paris 1953 Tome 1 P 171.

٤ ـ نفسه ٥٣/١.

٥ ـ ابن حزم: الأحكام ٢١٤/١.

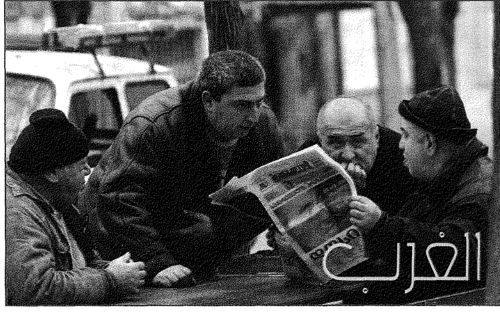
٦ ـ أعلام الموقعين: ٣٠٧/٢.

٧ ـ من ابرزها: المعيار المعرب للونشريسي (١٤ مجلداً) ونوازل العلمي (٤ مجلدات) والمعيار الجديد (١٢ مجلداً) للمهدي الوزاني وقد طبعت جميعها من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

٨- Michaux Bellaie. "les coutumes berbéres dans les tibus arabes" (RMM. Vol 19/1919 p 234).

٩ ـ الأحكام السلطانية للماوردي، طبعة القاهرة ١٩٠٩ ص ٢٥٨.

١٠ ـ المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٣ ص٥٥.



الغرب بين شيخوخة الجسد والروح!!

> وصلت الأزمة إلى حد عجز بعض المجتمعات الغربية عن تجديد نفسها سكانياً بعد أن أصبح معدل المواليد فيها يقل كثيراً عن معدل الوفيات

بقلم:
ممدوح محمود محمد الشيخ علي

كاتب ومفكر إسلامي.
مصر

منذ خمسة قرون بدأ المد الغربي يجتاح العالم شمالاً وجنوباً وشرقاً في موجات متلاحقة من الهجرات البشرية بدأت باحتلال ما سمي «العالم الجديد» في الأميركيتين وأستراليا ثم في موجات من الاحتلال الاستيطاني لعل أشهرها جنوب أفريقيا، ومع اقتسام العالم بين القوى الاستعمارية الكبرى أصبح هناك نموذج متكامل يتخلص به الغرب من مشكلاته بتصديرها خارج حدوده: بدءاً من التخلص من العناصر البشرية غير المرغوب فيها «المجرمون - الهيجونوت الفرنسيون - أعضاء الجماعات اليهودية إلخ...»، مروراً بخطف الأفارقة لتسيير آلة الرأسمالية، والسيطرة على مصادر المواد الخام لضمان تدفقها بأسعار رخيصة، وانتهاء بالسيطرة على الأسواق لضمان تصريف منتجاته، وهذا النموذج يواجه الآن مأزقاً عميقاً لأنه ناتج من سمة أساسية في نمط الحياة الغربي. فالمجتمعات الغربية على أعتاب القرن العشرين ليست المجتمعات الغربية التي أدارت «آلة الترانسفير» الضخمة، وأهم التغيرات التي اعترتها أنها مازالت مجتمعات فتية اقتصادياً وعسكرياً ولكنها هرمة سكانياً، وقد جاءت حال الاحتجاجات التي اجتاحت فرنسا في مايو ٢٠٠٣م كأول استحقاقات هذه الشيخوخة إذ كانت هذه المظاهرات مؤشراً قوياً على خلل عميق في بنية المجتمع الفرنسي، لم تكن تأثيراته السلبية في نظام الضمان الاجتماعي سوى مؤشرات لتداعيات أخرى محتملة، فنمط الحياة الغربي يواجه مأزقاً عميقاً لأنه ناتج من سمة أساسية في نمط الحياة الغربي.

أجراس الإنذار

وقد كان السبب المباشر للاحتجاجات نظام جديد للمعاشات سيجبر المواطنين على العمل لسنوات أطول قبل أن يتمكنوا من التقاعد. حيث تريد الحكومة الفرنسية من موظفيها، الذين يشكلون نحو ربع القوى العاملة في فرنسا أن يعملوا لفترة إضافية تمتد إلى سنتين ونصف السنة لكي يحق لهم الحصول على معاش كامل، ويهدف النظام الجديد إلى مواجهة العجز المالي في نظام معاشات التقاعد الفرنسي حالياً، وينتظر أن يبلغ نحو خمسين مليار يورو بحلول العام ٢٠٢٠م، وقد حذر رئيس الوزراء «جان بيير رافران» في خطاب وجهه للشعب الفرنسي من انخفاض المعاشات الحالية إلى النصف خلال عشرين عاماً، إذا لم يتم اتخاذ إجراءات فاعلة لمواجهة مشكلة شيخوخة

السكان.(١).

وكانت منظمة الأمم المتحدة قد أطلقت تحذيراً للدول الأوروبية واليابان في نهاية القرن الماضي، إذ أعلنت أن عليها الاقتداء بنموذج أميركا الشمالية وأستراليا لتشجيع الهجرة على نطاق واسع بهدف حل مشكلة شعوبهما الآيلة إلى الأفول والهرم، وحسب دائرة «السكان» بالأمم المتحدة، فإن «تغييراً كبيراً يحصل حالياً في الجغرافيا السياسية». وهو «لن يحصل خلال ٢٠٠ عام، وإنما يحصل حالياً»، وأطلقت دائرة السكان على هذه التغيرات «النظام العالمي الجديد للسكان»، وأظهرت التوقعات التي نشرتها الأمم المتحدة أن عدد سكان الأرض الذي بلغ ستة مليارات نسمة سيصل إلى ٨,٩ مليار نسمة في العام ٢٠٥٠م.

وفي الوقت نفسه، سيواصل تعداد السكان في أغلبية الدول المتقدمة تراجعه وبطريقة خطرة جداً في بعض هذه الدول، وسيتراجع تعداد السكان في ألمانيا، الدولة الأكثر اكتظاظاً بالسكان بين دول الاتحادالأوروبي الخمس عشرة، من ٨٢,٢ مليون نسمة إلى ٧٢,١ مليون، وفي إيطاليا من ٥٧,٣ مليون نسمة إلى ٤١,٢ مليون، واليابان من ١٢٦,٥ مليون نسمة إلى ١٠٤,٩ ملايين، أما في بريطانيا فسيتراجع تعداد السكان من ٥٨,٧ مليون نسمة إلى ٥٦,٧ مليون، فيما ستشهد فرنسا ارتفاعاً طفيفاً في تعداد السكان من ٥٨,٩ ملايين نسمة إلى ٥٩,٩ مليون، وسيتقدم سكان هذه الدول بالسن وهو ما سيلقي ثقلاً إضافياً على أنظمة الضمان الاجتماعي التي يأتي مصدر تمويلها بشكل أساسي من السكان العاملين لصالح المتقاعدين، في ألمانيا يعمل نحو ٤,٥ من الأشخاص المؤهلين للعمل من أجل متقاعد واحد، وفي العام ٢٠٥٠م سيصبح هذا المعدل لشخصين عاملين لكل متقاعد.

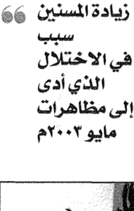
وتشير توقعات مماثلة إلى أن هذه الحال تنطبق أيضاً على أغلبية الدول الأوروبية، في حين يحتمل أن تزيد نسبة الأشخاص الذين تتخطى أعمارهم ٦٥ عاماً في اليابان من ١٥٪ حالياً إلى ٣٢٪ العام ٢٠٥٠م، وفي المقابل، فإن الولايات المتحدة التي يبلغ فيها معدل الأشخاص العاملين ثلاثة للمتقاعد الواحد، تتوقع ارتفاع تعداد سكانها من ٢٧٦,٢ مليون نسمة إلى ٣٤٩,٣ مليون بفضل التدفق المستمر للمهاجرين، وفي حال أرادت ألمانيا مثلاً المحافظة على نسبة سكانها الحالية، فعليها قبول ١٨ مليون مهاجر في أراضيها في السنوات الخمسين المقبلة.

وسيكون من الضروري وجود نحو ٢٥ مليون مهاجر للحفاظ على استقرار تعداد الأشخاص العاملين، علماً بأن المهاجرين من الجيل الأول سيحالون هم أيضاً إلى التقاعد، وأن استقبال مهاجرين جدداً وأكثر شباباً سيكون بالتالي ضرورياً، لكن إذا أرادت ألمانيا الإبقاء على المعدل الحالي للأشخاص العاملين فستكون بحاجة إلى ١٨ مليون مهاجر!!(٢)

ثمن التقدم

وما يواجهه الغرب الآن أحد ثمرات نمط الحياة الغربية الذي غذى في أبناء هذه المجتمعات النزوع الفردي على نحو متطرف، وتبنى علم الاجتماع الغربي مقولات معادية للكيانات الوسيطة بين الفرد والدولة واعتبارها أشكالاً متخلفة للتنظيم الاجتماعي، كالأسرة الممتدة التي اختفت تماماً وحلت محلها الأسرة النووية التي تتكون من جيل واحد وتنحل دون أن تمتد. ومن السنن الكونية التي لا تتبدل أن إعلاء قيمة اللذة في مجتمع تشكل الفردية أهم قيمة يؤدي حتماً للعزوف عن الزواج لتختفي الأسرة النووية نفسها، وهو ما حدث بالفعل، فحسب دراسة لمكتب الإحصاء الأوروبي العام ٢٠٠٢م، فإن عدد الزيجات انخفض بنسبة ١٥٪ في الاتحاد الأوروبي في العقد الأخير - ما عدا في الدنمارك حيث استقرت نسبة الزيجات بـ٦,٦ لكل ألف شخص - في الوقت الذي ارتفع فيه معدل الطلاق بشكل كبير وكانت أعلاها العام ٢٠٠١م في بلجيكا، وكانت ٢ - ٩ بين كل ألف.

وحلت أشكال الارتباط غير الشرعي محل الزواج وأصبح الإنجاب ينظر إليه كقيد على الحياة الفردية والقدرة على الاستزادة من المتع الحسية، وحسب التقرير الأوروبي نفسه، فإن معدل المواليد خارج إطار الزواج وصل إلى ٥٥٪ في السويد، وإلى ما يزيد على ٤٠٪ في الدنمارك وفرنسا وفنلندا والمملكة المتحدة.




المجتمعات الغربية تدفع فاتورة التقدم الزائف!

عزلة البيوت السويسرية

وفي واحدة من أكثر المجتمعات تمتعاً بالرفاهية الاقتصادية تثمر الأزمة ثماراً مختلفة، وتكفي قراءة سريعة في الأرقام التي نشرها المكتب الفيدرالي السويسري للإحصاء سبتمبر ٢٠٠٣م للشعور بالخوف من ظاهرة تفكك الأسرة التي تنتشر في المجتمع السويسري، فرغم أن الخلل الديموغرافي لم تكن له تأثيرات اقتصادية مباشرة شأن فرنسا وألمانيا، فقد تبين من خلال الدراسة التي أجراها المكتب استناداً لنتائج تعداد سكان الكونفدرالية لعام ٢٠٠٠م، أن حجم الأسرة يتقلص

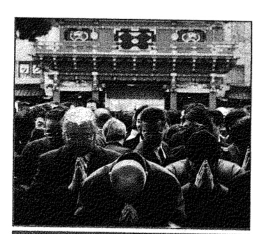
باستمرار، وأن عدد الوحدات السكانية التي يقطنها شخص بمفرده قد ارتفع من ١٤,٢٪ العام ١٩٦٠م إلى ٣٦٪ حالياً في سويسرا.

أما الأسرة المكوَّنة من فردين، فلا يتجاوز مجموعها ١,٩٧ مليون شخص، حيث تمثل فقط ٢٨,٢٪ من مجموع السكان، وتأتي بعدها العائلات المؤلفة من أربعة أشخاص ٢٣,٥٪، ومن ثلاثة أشخاص ١٧,٣٥٪، ولا تمثل العائلات المكونة من خمسة أشخاص أو أكثر سوى ١٥٪ من مجموع الوحدات السكانية الخاصة.

وتشير الدراسة إلى أن عدد الوحدات السكانية التي يقطنها أزواج من دون أطفال قد ارتفع بين عامي ١٩٩٠م و٢٠٠٠م بنسبة ١٢,٥٪ ليصل إلى ٨٥٠ ألف شخص، أما الأسر المكونة من زوجين وطفل أو أكثر، فقد انخفضت بنسبة ٢,٣٪، حيث لا يتجاوز إجماليها ٨٩٨ ألف فرد، وبينما ينخفض تعداد المتزوجين ارتفعت حالات الطلاق، أما الأشخاص الذين يفضلون العيش مع رفيق الحياة من دون عقد الزواج فقد ارتفع تعدادهم بنسبة ٢٨,٦٪، ويلحظ منجزو الدراسة أن ظاهرة الأسر النووية تنتشر بصفة خاصة في الكانتونات الحضرية، ففي كانتون «بازل المدينة»، على سبيل المثال، ٥٠٪ من الوحدات السكنية لا يقطنها سوى شخص واحد.

مجتمعات لا تجدد نفسها

وقد وصلت الأزمة إلى حد عجز بعض المجتمعات الغربية عن تجديد نفسها سكانياً بعد أن أصبح معدل المواليد فيها يقل كثيراً عن معدل الوفيات، ما يعني أنها انتقلت من حال الثبات السكاني إلى حال التناقص المطرد، فأعلى معدل نمو سكاني طبيعي تم تسجيله كان في أيرلندا ٣,٧ مولود من كل ألف، وتليها فرنسا بـ٢,٤ مولود في مقابل ألمانيا والسويد واليونان التي كانت معدلات النمو بهم سلبية، حيث تراجعت في ألمانيا إلى -١,١، والسويد إلى -٠,٣، واليونان -١,٠ في المئة، وذلك لتراجع معدل تدفق المهاجرين بشكل سلبي، بل إن المعدل السنوي للزيادة المسجلة في دول الاتحاد كلها في بداية العام ٢٠٠٢م يصل إلى ٠,٤٪، ترجع ثلاثة أرباعها إلى الهجرة، والباقي (٣٧٥ ألف شخص) إلى النمو السكاني الطبيعي!! بينما الهند مثلاً تتزايد بمتوسط ١٦ مليون نسمة سنوياً، وهو يؤكد دور الهجرة في إحداث توازن ديموغرافي في أوروبا، ومما ضاعف الأزمة أن المجتمعات الغربية تكن احتقاراً ملموساً للعمل اليدوي وهو ما جعله في حاجة دائمة للمهاجرين ليملأوا فراغاً دائماً في قاعدة هرم العمل.



تزيد نسبة الأشخاص الذين تتخطى أعمارهم ٦٥ عاماً في اليابان من ١٥٪ حالياً إلى ٣٢٪ العام ٢٠٥٠م

> **ما يواجه الغرب الآن إحدى ثمرات نمط الحياة الذي غذى في أبناء المجتمعات النزوع الفردي على نحو متطرف**

على هذا النحو، تضافرت هذه العوامل لتخلق وضعاً شاذاً كانت نتائجه تزداد تراكماً، وقف الغرب أمامه عاجزاً، فهناك دائماً أيد عاملة تتدفق من الجنوب للعمل في المهن الدنيا وطوابير من المواطنين الغربيين يعانون البطالة، ولم يكن الوافدون مجرد قوة عمل محايدة، بل جاؤوا يحملون أدياناً وثقافات ولغات مغايرة كرَّست الإحساس بأن الغرب يكاد يفقد سماته المميزة ويصبح هجيناً، كما أنه كرَّس المخاوف من استمرار ازدياد الفجوة السكانية ومردوداتها المختلفة، وهو ما ساعد بدور كبير في ظهور التيارات المتطرفة المعادية للأجانب كالنازيين الجدد وغيرهم، ولعل من الإحصاءات التي تعكس هذه الحقيقة بوضوح أن نصف مواليد ألمانيا في النصف الثاني من التسعينيات كانوا من الأتراك!!.

الحل قيمي لا تقني

وقد كان من بين الاستحقاقات الحتمية لنمط الحياة الغربي أن يختل التوازن بين نسبة الشباب ونسبة العجائز، وقد كان مما ساعد على عجز الغرب عن وقف مسار التداعيات أن خيار التحديث بالنسبة للغرب لا رجعة فيه أياً كان ثمنه، كما أن التقنية شديدة التقدم التي مكنته من الحفاظ على أمنه القومي بمعناه العسكري المحضن دون الحاجة إلى تغيير نمط التطور السكاني أو إعادة النظر بالقيم الفردية الحاكمة للنموذج، هذه التقنية هي نفسها التي رفعت متوسط عمر الإنسان وزادت نسبة المسنين في المجتمع، وقد أغراه سحر التقنية بأن يتصور أن بإمكانها أن تحل له مشكلة اختلال التوازن بين نسبة الشباب والمسنين في المجتمع وهو ما لم يحدث، وهذا العجز عن إدراك الفوارق الجوهرية بين المادي والإنساني هو أحد أخطر عورات الفكر التحديثي العلماني الرأسمالي الترشيدي العقلاني الذي يتأسس على فكرة مسبقة مفادها أن الطبيعة قادرة بذاتها على الحفاظ على التوازنات الكونية.

وقد تلت هذه المظاهرات الفرنسية موجة من الحر الشديد ضربت الكثير من الدول الغربية - وبخاصة فرنسا - من زوايا مختلفة وهي تصلح لأن تكون نموذجاً للكيفية التي تؤثر بها الأفكار المسبقة والأفكار الأيديولوجية في رؤية الإنسان لمشكلاته ومن ثم تصوراته لحلها، وقد ركز كثير من الكتّاب والمحللين في قراءتهم للأزمة على البعدين السياسي، متمثلاً في درجة الكفاءة التي تتمتع بها الحكومة الفرنسية ومدى مسؤوليتها عن كثرة تعداد الضحايا، والبعد الثاني اقتصادي تقني إجرائي متصل بدرجة انتشار أجهزة التكييف ومدى كفاءة نظام الرعاية الصحية، وفي حقيقة الأمر، فإن النسبة الكبيرة من المسنين تدعو لقراءة الأزمة في سياق مختلف بوصفها أزمة الحضارة الغربية ونمط الحياة الذي اختار الإنسان الغربي أن يعيش وفقاً له، ولنأخذ فرنسا نموذجاً.

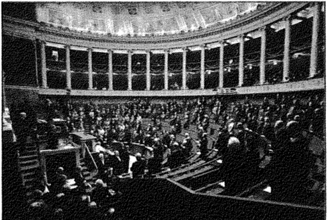
المسنون يدفعون الثمن

بعد أن كانت زيادة المسنين سبباً في الاختلال الذي أدى لمظاهرات مايو ٢٠٠٣م تغير موقعهم في موجة الحر، فأصبحوا ضحية هذا الاختلال الأكثر عمقاً في بنية المجتمع الفرنسي، فهم قبل أن يكونوا عبئاً على موازنات الضمان الاجتماعي، كانوا عبئاً على أبنائهم وأحفادهم الذين تركوهم للوحدة وانطلقوا في غابة المنافسة واللذة غير عابئين بهذه الشريحة من المجتمع التي تقوم العلاقة بها في المقام الأول على التراحم والرفق لا على الحقوق والواجبات التعاقدية الصارمة، ويعتقد أن نحو ١٠ آلاف من الناس، معظمهم من المسنين قضوا بسبب موجة الحر تلك وحدثت ضجة سياسية بشأن من يجب أن يحمل المسؤولية عن عدد الموتى، ولعل من العبارات الكاشفة عن الطبيعة الحقيقية للمشكلة ما جاء على لسان رئيس بلدية العاصمة الفرنسية من أن: «العديد ممن توفي بسبب موجة الحر كانوا يعيشون حياة عزلة، وقد يكون من المتعذر التعرف إلى ذويهم»، وأضاف: «ربما ليس لهم أقارب يهتمون بدفنهم»!!.

وبتأثر القناعات والأفكار المسبقة اتجه التفكير إلى مزيد من تعظيم كفاءة النظام دون تفكير في الحاجات الإنسانية لهؤلاء المسنين، وعليه فكرت الحكومة في إلغاء عطلة عامة بهدف تمويل مزيد من الرعاية الصحية للمسنين!!، وفي الإطار نفسه، تعهد القادة السياسيون الفرنسيون بتطوير خطة طويلة المدى لحماية المسنين الذين كانوا الضحايا الرئيسين لموجة الحر، دون أن يفكر أحد في إذابة جليد العزلة الذي يحيط بحياة هؤلاء المسنين.

من السياسي إلى الحضاري

غير أن شيئاً ما هزّ الضمير الفرنسي ونقل الحوار حول الأزمة من البعد السياسي المباشر إلى البعد الحضاري وهو ما تمحورت حوله قراءتي لمظاهرات مايو ٢٠٠٣م في مقالي المشار إليه في البيان قبل أن تأتي موجة الحر كلحظة كاشفة، وما هزّ الضمير الفرنسي كان وجود مئات الجثث التي لم يطالب بها ذووها ودفن أعداد أخرى دون شواهد، وحسب وصف الدكتور «أحمد القديدي»(٤)، فإن الملف نظر إليه بوصفه أكبر وأعمق من الملف السياسي، إنه ملف حضاري هذا الذي فتحته مأساة هلاك ثلاثة عشر ألف مسن ومسنة على كامل التراب الفرنسي خلال أسبوعين، (٤ - ١٩ أغسطس)، مأساة مروعة دقت بيد قوية على أبواب المجتمع الفرنسي الرأسمالي الذي يتمتع بأفضل الأنظمة الصحية والاجتماعية في الاتحاد الأوروبي وربما في العالم.


خيار التحديث في الغرب... لا رجعة عنه.

والمأساة تحوَّلت إلى جدل حضاري وسياسي وفلسفي وأخلاقي يشارك فيه هذه الأيام تقريباً كل رجال - ونساء - السياسة والفكر والجامعة والجمعيات والأطباء والفلاسفة وبالطبع الإعلاميين. وحسب وصف «القديدي»، فإن الأزمة كانت عامة في فرنسا لكن المسنين والمسنات الذين يعيشون بلا سند وبلا أولاد وبلا مرافق لم يتحملوا هذه الصدمة، فأصابهم جفاف الماء الضروري لحاجة الجسم وارتفعت درجة حرارتهم وهلك عدد منهم إما في بيوتهم أو في دور المسنين، وفي غضون أيام قلائل تساقط هؤلاء الضحايا في باريس وحدها حيث مات ثلاثة آلاف نسمة، وكما حضر البعد الحضاري في مستواه الاجتماعي حضر البعد الثقافي للنمط العمراني السائد كمفرد من مفردات نمط الحياة الغربي، ففرنسا مهيأة جغرافياً بأنظمتها ومعمارها وتجهيزاتها لموجات البرد والثلج وليست مهيأة لموجات الحر.

المثير فيما نقله «القديدي» أن الجامعيين والمفكرين وقادة الرأي دانوا ما سموه «الفردانية» التي تعزل الفرد عن المجموعة، وبخاصة إذا لم يعد «صالحاً» للإنتاج مثل المسنين، كما دانوا التفكك الأسري الذي يجعل الآباء والأجداد يعانون الوحدة القاتلة بعيداً عن اليد الرحيمة للأبناء، وامتد الحوار إلى ضرورة إعادة النظر في تنظيم الحياة على أساس احترام الطبيعة ونواميس الكون، وتحول النقاش إلى دعوة شاملة لإعادة النظر وفي طليعتها حقن رصيد من العاطفة الإنسانية في العلاقات الأسرية وإعادة صياغة المجتمع الفرنسي برؤية القلب لا برؤية العقل وحده.

ومن بين أكثر التفاصيل دلالة أن افتتاحية صحيفة يمينية «لوفيغارو» ضربت المثل بالأسرة الإسلامية المتماسكة التي يمثل فيها الجد المسن قمة الحكمة!!. فهل يتحول منظور الرؤية الغربي ليكون أكثر شمولاً وعمقاً من المنظور المادي الإجرائي المحض قبل أن يواجه هزات أخرى أكبر حجماً، يسببها نمط الحياة الغربي؟ ■

•• الهوامش ••

١ - استحقاقات الشيخوخة تهز فرنسا - مقال - ممدوح الشيخ - جريدة البيان الإماراتية ٢١/٥/٢٠٠٣م.

٢ - الأمم المتحدة توصي أوروبا واليابان بفتح باب الهجرة لشعوبها - تقرير - الشرق الأوسط اللندنية - ١/٨/٢٠٠٠م.

٣ - العزلة تلف ثلث البيوت السويسرية - تقرير - وكالة الأنباء السويسرية - سويس انفو - ٥/٩/٢٠٠٣م.

٤ - فرنسا تحول ضحايا الحرارة إلى ملف حضاري - الدكتور أحمد القديدي - جريدة الوطن العمانية ٩/٩/٢٠٠٣م.

البابا يشدد على إقرار القيم المسيحية

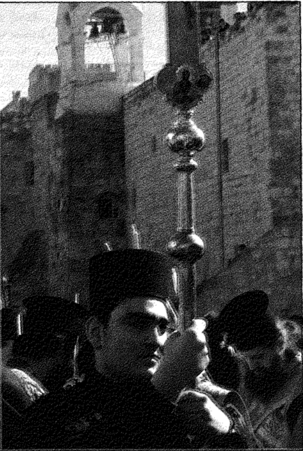


رشح عن الفاتيكان «الدولة الروحية للديانة المسيحية» أن البابا «يوحنا بولس الثاني» «شدد مرة جديدة على وجوب إقرار القيم المسيحية في الدستور الجديد الذي تجري مناقشته خلال قمة بروكسيل»، فقال: «من الواجب في وقت تتجه دول أوروبا نحو حدود جديدة، إعلان جوهر المسيحية في شكل دائم، وأكد مجدداً واجب السياسيين في القيام بخيارات شجاعة، لحماية الحياة بوساطة إجراءات تشريعية مناسبة تدعم العائلة، وتكافح الطلاق، والإجهاض» (الرأي العام ١٣/١٢/٢٠٠٣م).

> يتذمر الغرب ويعترف بأنه ضاع بسبب إشاعة الفاحشة ومن ثم تتكرر صيحاته بين وقت وآخر للعودة للأصول الأخلاقية

بقلم:
د.أحمد عبدالعزيز المزيني

الأمين العام لجماعة أنصار الشورى



نداء البابا لأتباعه نداء له دلالاته



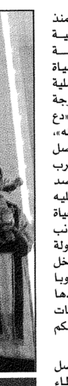
وأود أن أؤكد ابتداء وانتهاء أننا معشر المسلمين لسنا ضد هذا التوجه الرشيد، ودعم النظام الأسري، ومكافحة الطلاق، ومقاومة الإجهاض، يعدّ من القيم الدينية السامية الراسخة التي أقرتها الشرائع والديانات السماوية.

الخبر في حد ذاته ليس جديداً، فليست هذه هي المرة الأولى التي يطلق فيها البابا هذه الدعوة من معقل دولة الفاتيكان، المركز الروحي للديانة المسيحية، فهو يغتنم كل فرصة سانحة للتأكيد على ذلك. لكن الجديد في الخبر مناشدة السياسيين بوجوب «لاحظ كلمة وجوب» إعلان جوهر المسيحية في شكل دائم والقيام بخيارات شجاعة «لاحظ أيضاً عبارة: خيارات شجاعة». غير أن الأكثر جدة وأهمية بالغة في الخبر مطالبة السياسيين بوجوب إقرار القيم المسيحية في الدستور الأوروبي الجديد.

معنى ذلك بكل بساطة أن الدساتير الأوروبية المعمول بها حالياً لا تتضمن شيئاً مما دعا إليه البابا في ندائه هذا، وتلك حقيقة ثابتة لا

تحتاج إلى دليل يؤكدها، فمنذ أخذ المجتمعات الأوروبية بمبادئ الديموقراطية وتطبيقاتها العملية في الحياة السياسية وغيرها، جرت عملية «فصل للدين عن الدولة» بدرجة كبيرة واسعة، تحت مقولة: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وكان من تداعيات ذلك الفصل قيام دولة علمانية في الغرب المسيحي، تنحّي بإصرار وترصد الدين المسيحي بما يشتمل عليه من قيم روحية عن مجمل الحياة فيها، واكتفى الغرب إلى جانب وجود دول علمانية بوجود «دولة دينية» هي دولة الفاتيكان داخل دولة إيطاليا وداخل أوروبا والعالم المسيحي، ليكون بيدها «تمثيل» جميع المرجعيات الدينية، بعيداً عن أنظمة الحكم والدساتير والقوانين.

ولعل من تداعيات ذلك الفصل - وهو الأكثر خطورة - إعطاء حرية مطلقة للفرد بلا حدود ولا قيود، والإيمان بأن الغاية تبرر الوسيلة حتى لو كانت الوسيلة فاسدة، ومباركة الزواج المثلي الذي أقرته بعض الدساتير في الغرب، وشراء الأصوات في الانتخابات ودفع مبالغ باهظة للدعايات الانتخابية، والسماح للمرأة أن تكون خليلة للرجل لا حليلة، وإباحة ما حرَّم الله من أدب



البابا: اندثار القيم المسيحية أدى إلى انتشار مختلف الأمراض العصرية المستعصية



الكنيسة ومحاولات العودة للجذور

الحداثة والخلاعة وإشاعة الفاحشة باسم الحرية، وهي أمور بدأ الغرب قبل نداء البابا الأخير يتذمر منها ويعترف بين وقت وآخر بأنه في ضياع بسببها.

لم يكن نداء - البابا - في تقديري - مجرد نداء عابرة تذروه الرياح، بل كان نداء له دلالاته وأبعاده، فهو يعبر عن أزمة حقيقية تعيشها المجتمعات الأوروبية لها أخطارها على مختلف الأصعدة الاجتماعية التي يدركها البابا، وغيره ممن يلحظون التدهور والانحلال الأخلاقي والقيمي في نسق الحياة، في غياب «تشريعات مناسبة» غيبتها الدساتير العلمانية، ووأدتها الديموقراطية، وحجبتها عملية فصل الدين عن الدولة، وكأن البابا في ندائه ينعي ويشيّع - بسبب موات القيم المسيحية - المجتمعات الأوروبية، حيث أدى مواتها إلى انتشار مختلف الأمراض العصرية المستعصية من: تشويه الحياة - تفكك الأسرة - انتشار الطلاق - الإجهاض، وغيرها.

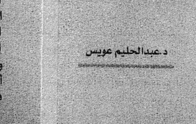
هذه الأمور تعنينا جميعاً، لأن العدوى بدأت تستشري في بلادنا، وبدأت تصيبنا كما أصابت المجتمعات الغربية، وأوشكنا أن نصبح مع الغرب في مسار واحد من الأخذ بالعلمانية والديموقراطية، وتنحية الدين جانباً، ونعمل على فصله فصلاً تعسفياً عن مجمل حياتنا.

أليست دساتيرنا هي «الحال مع الدستور الكويتي» يتضمن مادتين متناقضتين، الأولى تأخذ بالإسلام، والثانية بالنظام الديموقراطي، الذي هو في حقيقته فرز علماني، وأحد معطياته.

كلمة أخيرة: ماذا يقول العلمانيون ودعاة الديموقراطية في ديارنا - شرقاً وغرباً - بعد أن سمعوا نداء البابا، وهو يناشد السياسيين وهم بصدد إقرار دستور أوروبي، ويتجهون نحو رسم «حدود جديدة» لأوروبا تعيد للحياة فيها صبغتها الدينية وقداستها التي فقدتها بعد عصر العلمانية، للأسف الشديد مازال العلمانيون عندنا يكابرون، ومازالوا يسعون إلى بذر سموم العلمانية من جديد، ولا يكفيهم ما أصاب حياتنا من تشوّه، وتفكك أسري، وانتشار ظاهرة الطلاق، والإجهاض السري والعلني، وشراء الأصوات، وانتشار أدب الحداثة والخلاعة وإشاعة الفاحشة باسم الحرية بلا حدود، وهي من مخلفات الغزو العلماني على يد أبنائنا من دعاة العلمانية ■

حضارة ليست للبيع

> الحضارة الإسلامية المثلى صهرت الجوانب الوجدانية والروحية والعقلية والفردية والاجتماعية في بوتقة واحدة



د. عبدالحليم عويس

إن تاريخنا الإسلامي هو أفضل تاريخ عرفته الأرض.. عبر مساحة التاريخ المدوّن!!

وهذه الحقيقة تتجلى عندما ننظر إليها في سياق بشريته، (فهو تاريخ بشر)... وعندما ننظر إليه بالجملة، لا بالوقوف المتربص الحاقد عند نقطة معينة.

ففي حياة كل إنسان - عظيماً أو عادياً - هفوات.

والتاريخ هو حياة مجموع البشر أو الناس الأحياء، وليس رصداً لتاريخ أوهام أسطورية... بل هو تاريخ ناس واقعيين ... عاشوا على الأرض، وكانت لهم أشواق روحية، وغرائز بشرية!!

وعندما ننظر بهذا التقويم الموضوعي، فسنجد أن عصر الرسالة والراشدين (١ - ٤١هـ)، هو أفضل عصور التاريخ البشري على الإطلاق، ولا يساويه إلا حياة الأنبياء عليهم السلام، وقد تقترب منهم حياة حواريي الأنبياء من الدرجة الأولى.

ولم يحظ أي نبي بهذا الجمع العظيم الذي صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينيه... وكان القمة المثلى للحضارة الإسلامية!.

فلما جاء الأمويون (٤١ - ١٣٢هـ)، لم ينقطع هذا التاريخ لأن عام (٤١هـ) لا يعني موت كل الصحابة، فبقي عصر الأمويين يرشح بهؤلاء العظماء، وانحصر الخلل في بعض النواحي القومية والسياسية، وكانت الحياة الدينية والاجتماعية في القمة... بل في هذا العصر تمت أعظم الفتوحات التي قام بها الشعب المسلم تحت قيادة بني أمية عن رضا وطواعية.

فلما جاء العباسيون (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ)، مضت الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والتشريعية، بقيادة الشعب المسلم في مجراها الطبيعي.

فنهرُ الحضارة الدافق لا يخضع للتحولات السياسية بقيام دولة أو سقوط أخرى.

وقد وقع العباسيون في خطأين: أولهما: حركة الترجمة إلى العربية من دون ضوابط كافية، ومن دون حركة ترجمة مضادة تنشر العقيدة الإسلامية في العالم... وثانيهما: إشغال الأمة بفتنة خلق القرآن، واستعمال العنف والقسوة، وترك الحبل على الغارب للمعتزلة المنهزمين أمام المقولات الفلسفية!!.

لكن العباسيين نشروا الحضارة الإسلامية، وامتدت في عهدهم حركة سلمية دعوية لنشر الإسلام! إذ إن فتوحات بني أمية العسكرية والسياسية لم تعن دخول الناس في الإسلام فوراً،



فالإسلام لا يؤمن بالإكراه، فكان العصر العباسي هو الذي نشر الإسلام بوساطة الأمة الداعية، لا الدولة الراعية.

ثم إن الحكومة العباسية وقفت - بصرامة - ضد الحركات الباطنية كالبرامكة، والخرَّمية، وحسبها أنها صمدت في وجه المد الفاطمي الذي نجح في الاستيلاء على المغرب ومصر.. كما أنها استوعبت السيطرة الشيعية البويهية على الحكم، بحيث بقيت السيطرة البويهية سيطرة سياسية، لا باطنية!!.

وجاء الزنكيون، والأيوبيون، والمماليك.. ثم جاء العثمانيون، الذين عاشوا خمسة قرون حتى سقطوا سنة ١٩٢٤م، فكان للجميع بعض السلبيات، لكنهم قدموا للإسلام أعظم الخدمات، وصدوا عنه أشنع الغارات!!.

ومازال الإسلام - بفضل هؤلاء الأسلاف - موجوداً إلى الآن، يصارع المحن، ويمتص المؤامرات الخبيثة، ويفلت بالمسلمين «تحت رايته الخفاقة» من مرحلة الاستعمار العسكري والسياسي الأوروبي إلى مواجهة الغزو الفكري الصليبي والصهيوني، ثم إلى مرحلة الصحوة الإسلامية، وما تواجهه، الآن من صعوبات ومؤامرات عالمية.

لكن الإسلام يمتد إلى كل قارات الأرض بفضل الأمة الداعية، وينتصر حتى مع الهزائم السياسية والعسكرية، كما انتصر أيام التتار... وسيشق المسلمون طريقهم بإذن الله، وستخفق راية الإسلام - مهما كانت السحب داكنة - فالإسلام هو الحل الوحيد للبشرية.. وليس للمسلمين وحدهم، وهو قدر الله الغالب، والأمل الوحيد الذي لا أمل في إنقاذ البشرية من دونه!.

هذا التاريخ الصامد... وهذ الإسلام الفاتح.. وهذه الحضارة المثلى التي صهرت الجوانب الوجدانية، والعقلية، والروحية، والفردية، والاجتماعية، في بوتقة واحدة، وحققت للإنسان إنسانيته، فكانت مشرق النور، روحاً وعقلاً لكل الدنيا لأكثر من عشرة قرون.

هذا التاريخ، وهذه الحضارة، هل يجوز أن نبيعهما رخيصين في عصور تصطنع الأمم فيها لنفسها تاريخاً، وتتوهم لنفسها حضارة!!.

وهل يجوز أن يبقيا مطعناً لسهام أصحاب النحل الباطلة والنزعات الشاذة، والمحنطين في كهوف أحداث معينة، لا يريدون أن يتحولوا عنها ليمدوا الطرف، ويوسعوا الصدر، ويتعاملوا مع البشرية بالمقياس الملائم للطاقة البشرية.

ومم سننطلق؟

وبم سنمضي في مجالات صراع الأمم، وحوار الحضارات؟

إن أسلافنا هم أجدادنا، ولا نستطيع أن ننسلخ عنهم إلا إذا كنا قد قررنا أن نفقد هويتنا... فالاسم وحده لا يدل على صاحبه، ولا يعتمد في سجلات التاريخ!!.

وإن حضارتنا هي قسماتنا الحضارية التي نتميز بها ونحن نصنع حضارتنا المعاصرة التكنولوجية والإنسانية... فهي التي تدل علينا، وتؤكد أننا شريحة خاصة من البشر، ولسنا عبيداً تابعين، قد ضاعت ملامحهم، فهم قرود أو كالقرود.

وكما أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً هم - بعد إمام الدعوة، ورسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم، قدوتنا وعظماؤنا، فكذلك ننظر إلى من جاء بعدهم.. فهم دونهم، لكنهم أزكى منا، وقدوتنا... فهم من خير القرون، ومن الصحابة والتابعين، ومن الأسلاف المجتهدين، مصيبين كانوا أو مخطئين.. وكذلك نربي الأمة على الانتماء لحضارتها وصنَّاعها والاعتزاز بهم، دون أن نقدسهم أو نرتفع بهم إلى درجة العصمة... فلا عصمة لأحد بعد رسول الله، خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

والويل لأمة تتربص بتاريخها أو تشوهه أو تكبِّر لحظات الضعف فيه، أو تمضي في طريقها من دون معالم تستلهمها من حضارتها.

إنها - عندئذ - أمة ضائعة، تائهة، قد ضلت الطريق!!

إن تاريخنا، وحضارتنا، ليسا للبيع، وإن مؤرخينا ومفكرينا المنتمين الواعين بسنن الله في التقدم، يجب أن يجندوا أنفسهم للذود عن هذا التاريخ، وهذه الحضارة، وأن يحسنوا - كذلك - توظيفهما للانبعاث الحضاري العصري المنشود ▪

«الحكومة العباسية وقفت بصرامة ضد البرامكة والخرمية وفي وجه المد الفاطمي»

الحوار الحضاري في سياق العولمة

> في الحلقة السابقة تناول الكاتب مفهوم ثقافة التعايش الحضاري وتساءل عن مدى جدية الحديث عن الحوار بين الحضارات في ظل هيمنة الخطاب العلني والسري للعولمة التي تقوم على الاستعلاء، وتستكمل الوعي في هذه الحلقة بقية التساؤلات التي يطرحها الكاتب حول حوار الحضارات



بقلم:
عبد العزيز انميرات

أستاذ الفكر والعلوم الإنسانية. كلية الآداب، سايس. فاس. المغرب



جدلية الغالب والمغلوب

إن طبيعة السياق التاريخي الذي أفرزت فيه أطروحات حوار الحضارات أو صدامها، يمنحنا إمكان رؤية الأشياء في صورتها الحقيقية بدل القبول بما يقدم لنا من صور تقوم على فلسفة التنميط والمغالطة.

فعلى الرغم من أن هذه الأطروحات، التي ملأت الساحة الثقافية والفكرية الراهنة بشكل لافت للغاية من خلال الكتابات المتعددة والندوات الدولية المتتالية، هي في ظاهرها أطروحات ثقافية، فإنها في عمقها تحمل أهدافاً سياسية وتعبِّر عن رؤى استراتيجية لدى العديد من الأميركيين على وجه الخصوص، ولذلك لا ينبغي فصلها عن الإطار السياسي العام الذي يحكم الفلسفة الغربية، وإن كانت تقوم على خيارات ثقافية؛ وقد أجاد محمد صادق فضل الله حينما قال: «لم تكن دعوة «هنتنغتون». وهو العالم السياسي البارز. إلى محاصرة الحضارات الأخرى بمختلف أشكال القوة، إلا التعبير الصادق عن روح النسق الأميركي الجديد ذي العضلات الإسبرطية المشدودة. وهو هنا أكثر مباشرة ووضوحاً من «فوكوياما» الذي كثيراً ما لم تسعفه قفازاته المبرقشة والمرقعة بدفع فكري. تاريخي، فلم يخف دورانه حول ثابت اليقين التكنولوجي بكل تمامياته التي لا تسعى لإقامة ستار حديدي خفي في مجال الأفكار والأفعال عند الآخرين فقط، بل للإطاحة بها من الأساس. فهو يتحدث عن انتصار مميز لليبرالية، ويقول: «إن انتصار الغرب لا يتضح قبل الإنهاك الكامل لبدائله وبدائل ليبراليته».(٤)

حوار الحضارات وضرورة تحديد المفاهيم

نحن، مع أطروحات حوار الحضارات أو صدامها، أمام قاموس من المصطلحات والمفاهيم التي لا ينبغي أن ينسينا فعل الدهشة، جراء بروزها الثقافي، وضعنا الحالي في خارطة الثقافات الكونية من جهة، وراهن هبوطنا الحضاري وتخلفنا في مقابل تقدم هذا الذي يدعونا للحوار الحضاري - الثقافي، من جهة أخرى.

فمصطلحات هذه الأطروحات ومفاهيمها تضعنا وجهاً لوجه أمام مجال يفجر التساؤلات، وينتج الاختلافات على جميع المستويات، ليس بين الأجناس والأعراق وفهوم الأمم والشعوب فقط، ولكن بين أبناء الأمة الواحدة. تساؤلات تحفر بعمق في تاريخ تكون العلاقات الحضارية بين الشعوب منذ أول لقاء ثقافي بين منظومتين حضاريتين في التاريخ.

وتزداد حرقة الأسئلة، ويتواصل بؤس الاختلافات كلما تم تداول مصطلحات هذه الأطروحات ومفاهيمها باستعمال قاموس ما زالت مفرداته تبحث - بدورها - عن موقع في خريطة الثقافة السجالية المعاصرة، ومنها على وجه الخصوص - مصطلح العولمة الذي يلخص دخول التاريخ البشري برمته، بل الكوني بعامة، في سياق تاريخي أكثر تعقيداً وتشابكا وخطورة في الآن نفسه، ليس من الناحية الاقتصادية فقط، ولكن على جميع الواجهات والمناحي المتصلة بوجود الإنسان وحياته ومعارفه ورؤاه وخياراته، بل أحاسيسه كذلك: الشيء الذي يجعلنا، ونحن نقارب قضية حوار الحضارات من داخل الاشتغال بسؤال العولمة، أمام تركيبة حضارية - ثقافية جديدة ومعقدة تنذر بالخطر المقبل ما لم يتدارك القابضون بزمام الأمور الدولية أنفسهم، ويتخلوا عن فكرة ترويض المجتمعات والثقافات بالأساليب التي يروا أنها تناسب اختياراتهم وأهدافهم الاستراتيجية البعيدة المدى؛ وقد صدق صاحبا كتاب (فخ العولمة) حينما قالا: «إن العولمة لا تؤدي بالضرورة إلى صراعات عسكرية، إلا أنها يمكن أن تؤدي إلى ذلك إذا ما عجز المرء عن تحقيق الترويض الاجتماعي لقوى الاقتصاد المعولم الهائجة».(٥)

فهل ستكون العولمة أداة تدمير للحضارات والثقافات البشرية العريقة ما دام نموذجها يأخذ بخطة توحيد القارات وإلغاء الحدود والحواجز؟ وهل ستكون - إلى جانب ذلك - أحد أشكال محاصرة الثقافات الرافضة للتذويب وإعادة الصياغة؟ أم أنها ستسهل عملية التعايش والحوار، ما دامت في صيغتها الإعلامية والثقافية تعمل على نشر الثقافة العالمية، وإشاعة المعلومات وتحرير استقبالها وإرسالها، بمساهمة من التطور العام للوسائل المعلوماتية الرقمية الدقيقة التي تجعل معرفة العالم برمته لا يتجاوز مجرد لمسة زر من أزرار لوحة مفاتيح الحاسب الشخصي؟

إن المتتبع لعلاقة العولمة بخطابات حوار الحضارات والثقافات، على علم بكون الثقافة في أحد أشكالها سلطة تمارس وظيفتها بشكل غير مرئي لا ينتبه إليها إلا ذوو الإبصار الثقافي العميق، أولئك الذين ينظرون إليها من خلال فعلها في المجتمع، بناء أو هدماً؛ ولذلك تم التركيز عليها لإعادة النهوض الحضاري لأي أمة من الأمم، من زاوية مدركة لأهمية العامل الثقافي في التغيير والبناء.

إننا على علم بحجم المعاناة التي ستتعرض لها الأمم والشعوب المستضعفة، ومنها الشعوب العربية الإسلامية جراء العولمة الثقافية على وجه الخصوص، التي لن تفسح المجال أمام الشعوب كي تعيد إنتاج وعيها بما يسمح لها بالحفاظ على خصوصية الذات، بقدر ما ستكون معيقا جديدا أمام التنمية الثقافية؛ إذ الواقع الراهن يشهد أننا أمة تستهلك - بشكل خطير - ثقافة الغير بموازاة مع الخضوع السياسي لإملاءات الغرب.

وتزداد الوضعية تعقيداً إذا ما استحضرنا - هاهنا - وضع الثقافة المحلية التي تعيش ليس فقط حالات التخلف والهبوط والركود الذي يسلب المرء حقه في الامتناع، وإنما، كذلك، حالات الارتهان والتشتت والتمزق الداخلي؛ الشيء الذي لا يسمح بوجود قوة ثقافية تكون في مستوى فعل المجابهة الثقافية والحضارية المطلوبة، أو حتى على أقل تقدير، في مستوى الممانعة، تمارس - من خلاله - حق الدفاع عن الأصل الذي ما أن يضيع حتى يندثر الباقي، وهذا ما تسعى إليه، بالضبط، الثقافة الاستعمارية ذات المنزع التدميري، تلك التي تعيش على إيقاع العنف الرمزي ضد الثقافات الأصيلة والعريقة التي ما زالت تستعصي على التذويب.

من هنا نكون أمام ضرورة تحديد المصطلحات والمفاهيم التي تعج بها خطابات الدعوة إلى الحوار. ونحن نسعى جاهدين إلى مقاربة قضية الحوار الحضاري - الثقافي؛ إذ معروف أن ثمة اختلافاً واضحاً بيننا وبين الغير بخصوص الكثير من المفاهيم والمصطلحات العقدية والفلسفية والثقافية، على الرغم من سعي الإيديولوجية الثقافية الغربية - منذ القديم - إلى فرض نمطها وأسلوبها ومفاهيمها علينا، إما بشكل مباشر أو عن طريق من تتلمذوا على أيدي الأساتذة الغربيين من مثقفي هذه الأمة؛ الذين أصيب طرف كبير منهم بداء الإمعة الثقافية التي سلخت وعيهم عن الأصول والثوابت، وقطعت أوصالهم الفكرية، وجعلتهم مجرد مقلدين وناقلين ومروجين للبضاعة الثقافية الغربية بشكل فظ.

وعليه، يكون تحديد مفهوم حوار الحضارات والثقافات شرط البدء، ومقدمة أساسية بالنسبة لنا نحن الذين ننتمي إلى مدار البلدان المتخلفة والمستضعفة، حتى لا يكون حوارنا مع الغير من قبيل حوار الطرشان؛ وحتى لا يفرض علينا هذا الغرب نموذجه في منهج الحوار ومفاهيمه وقضاياه وأهدافه، كما يفرض علينا الكثير من اختياراته السياسية والاقتصادية والإيديولوجية.

فحوار الحضارات بالمفهوم الغربي، ذي المنزع الليبرالي الجديد، يدفع بالكلام باتجاه القبول بفكرة الحضارة العالمية الواحدة، أو وحدة الثقافات، غير أنه من غير الممكن تحقيق هذا الطموح لما لمفهومي التعددية والاختلاف من حضور في نوعية العلاقات بين الشعوب والأمم منذ القدم، كما أنه «لن يكون هناك للحضارة العالمية معنى إذا لم تأخذ بعين الاعتبار التعبير الحر للثقافات واحترامها المتبادل، وتعبيرها عن حاجات ورغبات الكوكب بأسره، ومن هنا قد يتحول مفهوم حوار الحضارات إلى مجرد مفهوم «ثقوفي»، إذا لم يكن بعداً حاسماً من أبعاد نظام اقتصادي



هل ستكون العولمة أداة تدمير لثقافتنا؟

- سياسي - ثقافي جديد يشكل قاعدة عالمية لتلبية تلك الحاجات والرغبات التي هي في صميم وظائف الحضارة أو الثقافة. بمعناها الأنثروبولوجي الذي يضم الجوانب المادية والمعنوية في كل واحد. إن حضارة عالمية لابد أن تقوم على تعددية الثقافات واختلافها. فالاختلاف ما بين الثقافات ليس تفاوتا»(٦).

فهل يحق لنا أن نتحاور في ظل هذا السياق الفلسفي الناظم للثقافة الغربية، التي وإن كانت معاصرة لنا، فإنها لا تزال تختزن في داخلها خلاصة الرؤية العامة لثقافة الاستعلاء والتميز وعقلية التهمة والإدانة والتنميط؟. إذ كلما أحس المرء بأنه أرقى من غيره كان ذلك عائقاً أمام تواصله مع الآخر، «وذاك - كما يقول «منذر عياشي» - فإنه لا يقيم حواراً، ولا يحفظ جواراً، ويكون مصدر خطر دائماً».(٧) وتلك إحدى نتائج التعالي بالاستعلاء والشعور بالعظمة التي من نتائجها السيئة احتقار الآخر وفرض السلطة عليه قسراً. يقول ملخصاً هذا الضرب من العلاقة: «فالمخلوق هو من لا يمكنه أن يتعالى إلا إذا استعلى أولاً على مكونات خلقه وتمرد؛ وحينئذ، فإنه لا يؤكد ذاته بذاته، أي بوصفه مخلوقاً، ولكنه يؤكد ذاته بأن يستعلي عليهم، وهذا يفقده حريته الجبلية واستغناءه، ويجعله على الدوام محتاجاً إلى من سواه لكي يعلو عليه طغياناً وكبراً. ولقد أشارت الحضارات التقليدية إلى هذا الأمر، وصرح به القرآن الكريم في مواضع كثيرة، كان كلامه فيها عن فرعون فرداً، وإلى بني إسرائيل جماعة، من أبرزها وأجلاها».(٨)

الحوار في سياق عولمة الرأسمال الرمزي للشعوب

وحتى لا يقال، في سياق الكلام عن العولمة في إطار حوار الحضارات والثقافات، إننا نصدر، في موقفنا هذا، من رؤية المؤامرة، فإن رؤيتنا شبيهة بالكثير من الرؤى الفكرية العربية التي تنظر إلى القضية - أساس الكلام - من زاوية تحليلية نقدية، لا تعيش على إيقاع التقليد أو الدهشة التي يولدها كل إنتاج غربي جديد. يقول «عبد الإله بلقزيز» معبراً عن وجهة نظر نشاركه في الكثير منها: «ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة - ومن ظاهرة - الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافات عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدعي مسوّقو فكرة العولمة الثقافية، بل إنها - بالتعريف - فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة (...) ليست العولمة - في مفهومنا - سوى السيطرة الثقافية على سائر الثقافات، بوساطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال، وهي الترويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون، وحققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسخ بثقافات جنوبية عديدة».(٩)

من هنا يتبين بوضوح كيف أن كثيراً من مساعي الطامعين تتجه صوب بؤرة الرأسمال الرمزي الذي تتمتع به كل أمة على حدة، لتعمل على تغيير شكله ولونه واتجاهه، وفصله - من تم - عن أصوله وأرضية تشكله، بما يكفي لإحداث فجوة عميقة يتم من خلالها فصل الرأس عن الجسد من جهة، وتمرير خطاب ثقافي محدد يكون بمقدوره فعل ما لم تستطعه آله الحرب وأداة الاستعمار المباشر من جهة أخرى، ولذلك تتم إعادة تشكيل هذا الرأسمال الرمزي من خلال قنوات اللغة والإعلام والتربية والتعليم والتربية والسلوك الاجتماعي والإشارات والرموز والأنماط المتعددة للاستهلاك والأذواق، وهكذا؛ وما اللجوء إلى هذه الوسيلة، من جملة وسائل إعادة التشكيل، إلا لفشل المحاولات المتكررة لاختراق الشعوب الأكثر تشبثا بأصول ثقافاتها.


يجب أن نأخذ من العولمة ما يفيدنا في مشروعنا النهضوي.

فما حيلة الاستعماريين الجدد أمام عصيان ثقافات هذه الشعوب؟ وكيف يحققون مشروعهم وهم يعرفون تمام المعرفة أن لا سبيل إلى اختراق الحصن إلا من خلال إعادة بناء الرأسمال الرمزي الثقافي، بناء يتهاوى بفعله جدار الممانعة الضامن للبقاء.

حوار الذات قبل الحوار مع الآخر

وبعد؛ فهل يحق لنا أن ندعي - بعد الذي سلف - قدرة أمتنا على دخول معركة حوار الحضارات والثقافات التي تدعو إليها الكثير من المؤسسات الثقافية تارة والدينية تارة أخرى، المحلية تارة والغربية تارة أخرى؟

وهل بإمكاننا - فعلاً - محاورة الآخر، الذي نعرف مسبقاً أنه يتحرك من داخل ثقافة الاستعلاء والتمركز حول الذات؟

وهل من الأوليات الدعوة إلى حوار الثقافات والحضارات وجسد الأمة معتل ومريض ومنهك، وحضارتنا تعيش على إيقاع هبوط خطير لا يفسح المجال حتى للحلم بُعد أفضل؟

إنها جزء من أسئلة كثيرة تفرزها كل محاولة لفهم مجريات الأحداث ووضع الذات في السياق العام لأطروحات التعاطي مع القضايا التي تربطنا - بهذا الشكل أو ذاك - بالآخر الذي أصبحنا شغله الشاغل مع بداية الألفية الميلادية الثالثة؛ الشيء الذي يفرض علينا ضرورة التعامل معه بكثير من الحذر. فعلى الرغم من رغبتنا في التقدم والنهوض من جديد حتى نستنتج العلم النافع، والعلم النافع ينتج العمل الصالح، والعمل الصالح ينتج الحال الصالح أو الحياة الطيبة (...).

وبما أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكذلك لن يتجدد أمر الدين حتى يتجدد فهم الدين، ولن يتجدد فهم الدين حتى يهتدي في منهج الفهم للتي هي أقوم. وما أشق ذلك في الأمة اليوم، لكثرة الموانع وقلة الأسباب. فكم من ترسبات منهجية فاسدة أفرزتها وراكمتها قرون الضعف والانحطاط في الأمة لا تزال مستمرة التأثير، وكم من مقذوفات منهجية مدمرة صبها الغرب صبا على رؤوس نابتة الأمة، أو نفثها في روعها، فهي فاعلة فيها بالريح؟

يتبين - إذاً - أن حوار الحضارات والثقافات، وإن كانت الكثير من المؤسسات الإسلامية والعربية قد دعت إليه، أو تبنت خياره، لهذا السبب أو ذاك، لا نزال، من وجهة نظرنا، غير مؤهلين - حالياً - للدخول في متاهاته، والإقبال على خوض غمار سجال تحكمه قيم ورؤى وفلسفات تقوم على التضاد بدل التنوع. فليس بمقدورنا

محاورة الآخر قبل إنجاز حوار داخلي بين مختلف مكونات المجتمع الإسلامي، لتتحد أعضاء الجسم ويتكون لدينا وعي نقدي سجالي يكون على مستوى عال من الإبصار الثقافي، لأننا سنحاور خصما تاريخيا عنيدا قبل أن يكون جاراً حضارياً، خصماً يملك ثروة معلوماتية وتقنية هائلة، ويتحكم في الكثير من سياسات بلداننا. فكيف يحاور المغلوب الغالب؟

فكفانا جرياً وراء ما تنتجه الآلة الفكرية والثقافية الغربية، وكفانا من العيش على وتيرة تقليده في كل شيء، وليكن لدينا وعي نقدي يتأسس على فعل الممانعة ونحن نتحدث مع الآخر عن قضايا التعايش؛ إذ تقتضي المرحلة، بدل الهرولة إلى طاولة «الحوار الحضاري» مع الغرب؛ التي إن لم يكن فيها المتحاور معنا متمكناً وراسخاً في العلم، أدخلنا في سلسلة التراجعات التي تمس المبادئ والقيم والمنطلقات، أقول: فالمرحلة تقتضي العمل على فهم الذات أولاً، وتحديد أوليات المرحلة بمنهج يستبصر الآفاق من داخل فهم مكونات السنن الحضارية والتاريخية، ولن يتأتى لنا هذا المطلب ما لم نقم بتجديد المنهج ذاته. يقول الدكتور «الشاهد البوشيخي» ملخصاً هذا الضرب من الفهم: « عبثاً نحاول إصلاح الحال قبل إصلاح العمل، وعبثا نحاول إصلاح العمل قبل تجديد الفهم، وعبثاً نحاول تجديد الفهم قبل تجديد المنهج، وإن تدبراً يسيراً لأول ما نزل من الهدى - هدى الله جل وعلا - يرشد إلى أن قراءة بمنهج معين، لتحصيل فهم معين، هي أول الطريق وشرط البدء؛ إنها القراءة باسم الله (...) فالمنهج الراشد ينتج العلم النافع، والعلم النافع ينتج العمل الصالح، والعمل الصالح ينتج الحال الصالح أو الحياة الطيبة (...)

وبما أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها، فكذلك لن يتجدد أمر الدين حتى يتجدد فهم الدين، ولن يتجدد فهم الدين حتى يهتدى في منهج الفهم للتي هي أقوم. وما أشق ذلك في الأمة اليوم، لكثرة الموانع وقلة الأسباب. فكم من ترسبات منهجية فاسدة أفرزتها وراكمتها قرون الضعف والانحطاط في الأمة لا تزال مستمرة التأثير، وكم من مقذوفات منهجية مدمرة صبها الغرب صبا على رؤوس نابتة الأمة، أو نفثها في روعها، فهي فاعلة فيها فعل السحر، وليس في الواقع - للأسف - اتجاه عام، أو شبه عام، إلى صنع كواسح الركام أو الألغام، ولا اتجاه جاد، أو شبه جاد إلى تصنيع ما يخلص العباد من سحرة فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد».(١٠)

إن المرحلة الراهنة تقتضي، قبل فتح ملف الحوار الحضاري - الثقافي مع الآخر، أن نكون في مستوى المرحلة التي نعيشها - للأسف - على هامش التقدم الغربي، من جهة؛ وأن نكون في مستوى الحوار بما يجعلنا لا نقبع في دائرة الهبوط الحضاري الذي يعيق كل إجراء يهدف إلى إخراجنا من مرحلة الضعف الغثائية الثقافية إلى مرحلة العزة النفسية والقوة التي لا تعني البغي والجبروت والتسلط، بقدر ما تعني المناعة والحضور الملموس في عالم لا يعترف إلا بالأقوياء على جميع المستويات.

إنه حوار الذات قبل الحوار مع الآخر؛ حوار يكسبنا الوحدة والتعايش فيما بيننا أولاً؛ إذ كيف ندعو إلى التعايش مع الآخر وذاتنا تشكو حال الانقسام والتجزئة، سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

أنحاور بعقلية المغتربين في هذه الأمة الذين لا يضرهم فعل الإلحاق بالغرب المعاصر مهما كانت النتائج؟ أم نحاور بعقلية الذي يغلق على نفسه في عالمه الخاص به خوفاً على هويته من الذوبان؟ أم نحاور بعقلية الذين لا يزالون يفتشون عن الصياغة الجديدة لأسئلة النهضة داخل ركام كتابات السابقين من هذه الأمة التي أريد لأبنائها أن يفقدوا الذاكرة الثقافية والتاريخية بما يكفي لتأزيم الهوية وإحداث القطيعة بين ماضيهم وحاضرهم حتى لا تستقيم الرؤية باتجاه المستقبل.

فقبل الحوار مع الآخر لا بد من الحوار مع الذات، وهذا يتطلب - فيما يتطلب - الجرأة في التحليل و النقد الذاتي بما يكفي لصياغة الإنسان صياغة تأصيلية وتأسيسية في الآن نفسه: تأصيلية بتمتين رباطه بأصوله الثابتة حتى لا تهوي قدماه في أوحال التبعية والانبهار بالغرب الثقافي؛ وتأسيسية، حتى يكون في مستوى العصر لا على هامشه.

ويضاف إلى ما سبق، ضرورة تحديد مفهوم الحوار ومدلوله وأهدافه وأشخاصه؛ بل لا بد من تحديد صيغه ومحاوره الكبرى والصغرى حتى لا نضيع أوقاتنا في تداول القضايا الهامشية أو الخلافية التي لن تنفعنا لا في الآجل ولا العاجل بقدر ما ستتسبب في إدخالنا - مرة أخرى - في دوامة الأسئلة المزيفة التي يقذفها الغرب إلينا - من حين لآخر - حتى لا ننشغل بالأسئلة الحقيقية؛ وخصوصاً أننا أمام ثقافة لا تزال تختزن في داخل قواميسها مفاهيم الحروب الصليبية وصيحات الحذر من العالم الإسلامي الذي لا ينبغي - في نظر الكثير من الساسة الغربيين - أن يبرح مكان التخلف والهبوط الحضاري مهماً كلف ذلك من ثمن؛ ولذلك - وكما يقول الحسين عصمة» - «ليس اللجوء إلى خيار المواجهة مجرد اختيار بل هو ضرورة لا بديل عنها إلى تكريس التبعية وإعادة إنتاج التخلف بكل أشكاله. وإذا كانت رياح العولمة، في ظل ما يسمى بالنظام الدولي الجديد، قد هبت بكل عنف وجبروت حتى بات الكثيرون يعتقدون أن لا فائدة في التصدي لها، بل لا محيد عن الاستسلام لها والمضي في ركابها، فإنها لا تحمل في طريقها كل المستسلمين لها؛ كما أنها لا تهب كيفما وحيثما اتفق.

وإذا كان بعض من أصحاب الرأي وذوي القرار يعتقدون ألا فرصة للانفلات من قبضة التخلف إلا بالانخراط التام في دواليب النظام العالمي المعاصر، اقتصادياً وثقافياً، معتبرين أن التنمية في إطار التبعية طريق لا مناص منه، معتقدين بأن البلدان التي تمكنت من اللحاق بكوكبة الدول المتقدمة إنما تأتى لها ذلك من خلال ارتباطها البنيوي الوثيق بهذه الدول؛ فإنهم لا يأخذون بعين الاعتبار خصوصية العالم الإسلامي والعربي بالنسبة للغرب. فالنموذج الحضاري الإسلامي كان دائماً المنافس الشديد للنموذج الغربي، بل إن هذه المنافسة كثيراً ما وصلت إلى التصادم؛ وهذا ما جعل الغرب يقف موقفا حذراً من أي محاولة نهضوية تستهدف الخروج من دائرة التخلف، بل ولا يتردد في التصدي لها حتى ولو كانت في دائرة التبعية للغرب وعن طريق التتلمذ على يديه».(١١)

•• الهوامش ••

٤ - محمد صادق فضل الله: «نظرات في الحضارة والتفاعل الحضاري - مجلة المنطلق الجديد» - ع: ٢ - ٢٠٠١ - ص :٦٤.

٥ - هانس يتر و هارالد شومان: فخ العولمة - ص: ٣٨ - سلسلة عالم المعرفة - العدد: ٢٣٨ - الكويت - ١٩٩٨م.

٦ - محمد جمال باروت: «ما بعد المركزية الأوربية: من التفاوت إلى الاختلاف» - مجلة الآداب - ع: ٣ - ٤ - ٢٠٠٠ - ص: ٣٤.

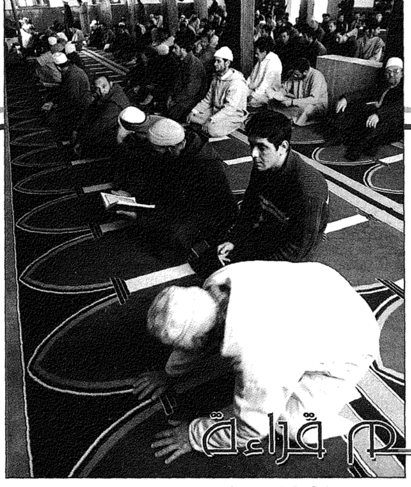
٧ - منذر عياشي: «نقد المدنيات الحديثة: الوحدة المبدئية وتهجية الحرف الناقص» - المرجع نفسه - ص: ٣٩.

٨ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٩ - عبد الإله بلقزيز: العولة والممانعة - ص - ص: ٦١ - ٦٣ - سلسلة المعرفة للجميع - الرباط - ع ٤ - ١٩٩٩م.

١٠ - الشاهد البوشيخي: «نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية» - جريدة المحجة - المغربية - عدد ١٤٣ - ٢٠٠١ - ص: ١٦.

١١ - الحسين عصمة: «العالم الإسلامي وتحديات العولمة» - مجلة الكلمة - عدد ١٩ - السنة الخامسة - ١٩٩٨ - ص: ٨٢ - ٨٣.



حكم قراءة القرآن بالألحان

في الحلقة الماضية تناول الكاتب فضل تحسين الصوت بالقرآن وآراء العلماء حول حكم قراءة القرآن بالألحان وتستكمل «الوعي الإسلامي» في هذه الحلقة بقية الأدلة التي يطرحها الكاتب من خلال السنة النبوية

2-2

بقلم:
أ.د. عبدالفتاح محمود إدريس

أستاذ العلوم الشرعية في جامعتي الأزهر والإمارات والجامعة الأميركية المفتوحة

ثانياً: السنة النبوية المطهرة

١ - روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكبائر والفسق، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية، والنوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»(٢٤).

وجه الاستدلال به:

أمر رسول الله ﷺ بقراءة القرآن الكريم، وفقاً لطريقة العرب في تحسين أصواتهم به، وحذر من اتباع أهل الفسق في طرائقهم المتبعة في قراءته، من مراعاة الأنغام والتطريب المستفاد من الموسيقا، وذلك لحرمة إخضاع ألفاظ القرآن الكريم للنغمات الموسيقية وإيقاعاتها، وقد ذم هؤلاء الذين يرجعون بالقرآن الكريم ويتغنون به، بأن آياته لم تترك أثراً في نفوسهم وقلوبهم التي فتنت بذلك الترجيع، وأن من أعجب بهذا التطريب والتلحين شأنه في هذا شأن من يرجع بالقرآن الكريم.

٢ - روي عن عبس الغفاري: «أن رسول الله ﷺ ذكر أشراط الساعة، وذكر أشياء، منها: أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم غناء»(٢٥).

وجه الاستدلال به:

أخبر رسول الله ﷺ أن من أشراط الساعة، أن يتغنى بالقرآن الكريم حتى إن الجماعة من الناس لتقدم فرداً منهم، لا يتوافر له من الحفظ وجودة الترتيل والفضل ما توافر لأحدهم، وما ذلك إلا ليسمعهم تغنيه بالقرآن الكريم، وأن سماعهم لغنائه به هو مقصدهم من تقديمه في القراءة عليهم، وعد هذا من أشراط الساعة دليل على أنه موضع إنكار الشارع، فكان هذا دليلاً على أن التطريب بالقرآن والتغني به على أوزان الألحان أمر منكر.

٣ - روى عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: «كانت قراءة رسول الله ﷺ المد، ليس فيه ترجيع»(٢٦).

وجه الدلالة منه:

بيَّن هذا الحديث كيفية قراءة رسول الله ﷺ، وأنه كان يمد الحروف التي تستحق المد «وهي الألف، والواو، والياء»، ولا يرجع بالقرآن ترجيع الغناء، بمعنى أنه لا يردد صوته في حلقه بالقراءة كقراءة أصحاب الألحان، فدل

> ذم الرسول الذين يتغنون بالقرآن لأن مثل هذه القراءة لن تترك الأثر المطلوب في نفوس السامعين

هذا على أن الترجيع والتطريب بالقراءة لا يجوز.

ثالثاً: قول الصحابي:

روي «أن زياد النهدي جاء إلى أنس رضي الله عنه مع القراء، فقيل له: اقرأ، فرفع زياد صوته بالقراءة وطرب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه - وكان على وجهه خرقة سوداء - وقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون، وكان أنس إذا رأى شيئاً ينكره رفع الخرقة عن وجهه»(٢٧).

وجه الدلالة منه:

أنكر أنس رضي الله عنه على زياد تطريبه بالقراءة، وبيَّن له أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يكونوا يفعلونه في قراءتهم للقرآن الكريم، وهذا منهم لا يكون إلا عن توقيف، لأنه لا مدخل للرأي فيه.

رابعاً: المعقول

١ - إن الترجيع والتطريب بالقراءة يتضمن همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، وترجيع الألف الواحدة ألفات، والواو واوات، والياء ياءات، فيؤدي هذا إلى زيادة في القرآن الكريم، وهو غير جائز(٢٨).

اعترض على الاستدلال بهذا الوجه:

قال ابن القيم: إن القراءة بالتطريب والألحان لا تتضمن زيادة في الحروف، وذلك لأنها لا تخرج الكلام عن وضعه، ولا تحول بين السامع وبين فهمه، ولو كانت متضمنة لزيادة الحروف لأخرجت الكلمة عن موضعها، وحالت بين السامع وبين فهمها، ولم يدر المقصود بها والواقع بخلاف ذلك(٢٩).

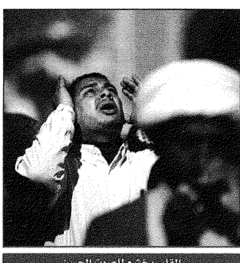
٢ - إنه لا حد لما يجوز من الترجيع والتطريب وما لا يجوز، فإن حد بحد معين كان تحكماً في كتاب الله تعالى ودينه، وإن لم يحد بحد أفضى إلى أن يطلق لفاعله ترديد الأصوات وكثرة الترجيعات، والتنوع في أصناف الإيقاعات والألحان المشبهة للغناء، كما يفعل أهل الغناء وكثير من القراء، مما يتضمن تغيير كتاب الله تعالى والتغني به، على نحو ألحان الشعر والغناء، اجتراء على الله تعالى وكتابه، وتلاعباً بقراءة القرآن الكريم، وركوناً إلى تزيين الشيطان، ولا يجيز ذلك أحد من علماء الإسلام، والتطريب والتلحين ذريعة مفضية إلى هذا إفضاء قريباً، فالمنع منه كالمنع من الذرائع الموصلة إلى الحرم(٣٠).

٣ - إن قراءة القرآن الكريم بالألحان خروج عمَّا ينبغي اتباعه عند قراءته أو سماعه، من الخشوع والتفهم والتدبر لآياته(٣١).

٤ - إن قراءة القرآن بالألحان تشبه بفعل أهل الفسوق حال فسقهم من تغنيهم، ولهذا فقد كره التطريب في الأذان(٣٥).

استدل أصحاب الاتجاه الثاني على جواز قراءة القرآن الكريم بالألحان، بما يلي:

أولاً: السنَّة النبوية المطهرة



القلب يخشع للصوت الحسن

١ - روي عن ابن أبي مليكة أن عبدالله بن أبي يزيد قال: «مر بنا أبولبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فإذا رجل رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟، قال: يحسنه ما استطاع»(٣٣).

وجه الدلالة منه:

بيَّن رسول الله ﷺ أن من قرأ القرآن الكريم فلم يتغن بقراءته، فهو خارج عن طريقة المسلمين في قراءتهم لآياته، والمراد «بالتغني» تحسين الصوت والترجيع بقراءته، والتغني بما شاء من الأصوات واللحون - كما قال الشافعي وغيره(٣٤) - ويؤيد هذا المعنى قول ابن أبي مليكة السابق: «إذا لم يكن حسن الصوت يحسنه ما استطاع».

اعترض على الاستدلال بهذا:

قال بعض المخالفين: نمنع أن يكون المراد «بالتغني بالقرآن» «حسن الصوت والترجيع بقراءته، وإنما يُراد به معنى آخر، إلا أنهم اختلفوا في بيان المراد منه على أقوال، منها ما يلي:

قال سفيان بن عيينة: «إن المراد بالتغني بالقرآن: أي يستغني به عن غيره»(٣٥).

أجيب عن قول سفيان بما يلي:

أ - قال الشافعي: «نحن أعلم بهذا من ابن عيينة، لو أراد الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن لما قال: «من لم يتغن بالقرآن»، علمنا أنه أراد به التغني»(٣٦).

ب - قال الطبري: «إن قول سفيان بن عيينة مردود عليه بما روي من قول رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»، إذ لو كان المراد «بالتغني بالقرآن»، كما قال ابن عيينة، لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى، والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء، الذي هو حسن الصوت»(٣٧).

ج - قال عمر بن أبي شيبة: «ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة هذا، فقال: ما يصنع ابن عيينة شيئاً، فقد روي أنه كانت لداود عليه السلام معزفة يتغنى عليها، يبكي ويبكي، وقال ابن عباس: إنه كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً يكون فيهن، ويقرأ قراءة يطرب منها الجموع»(٣٨).

بيَّن أبوعبيد القاسم بن سلام معنى «التغني بالقرآن»، فقال: «يستغني به، إذ لو كان من الغناء بالصوت لكان اللفظ: من لم يغن بالقرآن ليس من النبي ﷺ»(٣٩).

أجيب عن قول أبي عبيد بما يلي:

أ - قال ابن قدامة: «إن حمل التغني على الاستغناء لا يصح، لأن معنى «أذن» في قوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»: أي استمع، وإنما يستمع للقراءة، وقوله في الحديث: «يجهر به»، الجهر صفة القراءة لا صفة الاستغناء»(٤٠).

ب - قال الغزالي: «إن تفسير التغني: بالترنم وترديد الألحان، هو أقرب عند أهل اللغة»(٤١).

قال ابن رشد الجد: معنى «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»: ليس منا من لم يلتذ بسماع قراءة القرآن، لرقة قلبه وشوقه إلى ما عند ربه، كما يلتذ أهل الغواني بسماع غوانيهم»(٤٢).

تأول بعض العلماء معنى «التغني بالقرآن» بتأويلات أخرى، إذ قيل: إن المراد به: يستغني به عن أخبار الأمم الماضية والكتب المتقدمة، وقيل: إن معناه التشاغل به والتغني، أو هو من الاستغناء الذي

> الترجيع والتطريب يتضمن همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس بممدود فيؤدي هذا إلى زيادة في القرآن وهو غير جائز

هو ضد الفقر، وقيل: إن معنى الحديث: من لم يغنه القرآن ولم ينفعه في إيمانه، ولم يصدق بما جاء فيه من وعد ووعيد فليس منا(٤٣).

يجاب عن هذه الأقوال بما أجيب به من قبل، على تأويل سفيان بن عيينة وأبي عبيد للتغني بالقرآن في الحديث.

٢ ـ روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»، وفي رواية أخرى: «ما آذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الترنم بالقرآن».

وجه الاستدلال به:

أخبر رسول الله ﷺ أن الله تعالى لا يستمع لشيء، كاستماعه لنبي حسن الصوت إذا قرأ القرآن حسن صوته بقراءته، فرجع في قراءته وتغنى بما شاء الله له من الأصوات واللحون، إذ الترنم ـ كما جاء في الرواية الثانية ـ لا يكون إلا بالصوت إذا حسَّنه المترنم وطرب به، والقراءة على هذا النحو سبب لإكرام القارئ وإجزال المثوبة له، فكانت مرغباً فيها من قبل الشارع.

اعترض على الاستدلال بهذا الحديث بما اعترض به على الحديث السابق، وأجيب عن هذه الاعتراضات بما أجيب به عليها من قبل.

٣ ـ روي عن عبدالله بن مغفل قال: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح، قراءة لينة يقرأ ويرجع»(٤٤)، وفي رواية أخرى عن شعبة عن معاوية

> قراءة القرآن بالألحان مع عدم مراعاة أحكام التلاوة التي تخرج الكلمات عن وضعها غير جائزة



التطريب والتلحين أمر راجع إلى كيفية الأداء.

بن قرة عن عبدالله بن مغفل، بيَّن فيها كيفية ترجيع رسول الله ﷺ بالقراءة، قال شعبة: «ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي عن النبي ﷺ، فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ آ ثلاث مرات»(٤٥).

وجه الاستدلال به حكى عبدالله بن مغفل كيفية قراءة رسول الله ﷺ، وأنه كان يقرأ قراءة لينة يردد صوته في حلقه بها، كقراءة أصحاب الألحان، إذ ردد حرف الألف ثلاث مرات، بأن قال: آ آ آ بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثلاث مرات ـ كما قال السندي(٤٦) ـ وهذا واضح الدلالة على جواز الترجيع في القراءة، فإن قراءته بهذه الكيفية هي غاية الترجيع كما يقولون.

اعترض على الاستدلال به من وجوه:

أن هذا الترجيع إنما صدر عنه ﷺ، لأنه كان راكباً فجعلت الناقة تحركه، فحصل به الترجيع(٤٧).

أجيب عن هذا الوجه:

أن هذا الترجيع منه ﷺ كان اختياراً، لا اضطراراً لهز الناقة له، فإن هذا الترجيع لو كان لأجل هز الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبدالله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً للتأسي به، وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول: كان يرجع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً(٤٨).

إن الترجيع إنما هو نتيجة إشباع المد في موضعه، فقد كان رسول الله ﷺ حسن الصوت، إذا قرأ مد ووقف على الحروف(٤٩).

إن الترجيع هو تحسين التلاوة، لا ترجيع الغناء، لأن القراءة بترجيع الغناء ينافي الخشوع، الذي هو المقصود من التلاوة(٥٠).

٤ ـ روى أبوبردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود، فقال أبوموسى: أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً».

وجه الاستدلال به:

استمع رسول الله ﷺ إلى قراءة أبي موسى، ثم امتدحه بقوله: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»، وقد كان داود عليه السلام يسبح الله تعالى ويترنم له بزبوره على آلات الطرب، حتى إن الطير لتحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى، كما قال سبحانه: (والطير محشورة كل له أواب) ص:١٩، فإذا كان أبوموسى قد امتدح بذلك، فإن معناه أنه كان يترنم في قراءته كترنم أصحاب الألحان، وأنه لو كان يعلم أن رسول الله ﷺ كان يستمع إلى قراءته، لزيَّن صوته بها وحسَّنه مع هذا الترنم والتغني، ويؤيد أن أبا موسى كان يتغنى ويترنم بالقراءة، قول عمر رضي الله عنه: «من استطاع أن يغني بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل»(٥١).

ثانياً: آثار الصحابة

١ ـ روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري: «ذكرنا ربنا، فيقرأ أبوموسى ويتلاحن»، وقال عمر رضي الله عنه مرة: «من استطاع أن يغني بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل»، وقال لعقبة بن عامر وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن: «أعرض عليَّ سورة كذا، فقرأ عليه فبكى عمر، وقال: ما كنت أظن أنها نزلت»(٥٢).

وجه الدلالة منه:

إن أبا موسى كان يتغنى بقراءة القرآن، وقد سمعه رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه ذلك، وكذلك سمعه عمر رضي الله عنه وهو يتغنى ويتلاحن بها، وكان قلبه يخشع للصوت الحسن بالقرآن، إذ بكى من سماع صوت عقبة بن عامر وهو يقرأ عليه سورة من كتاب الله تعالى، ليقول بعد تدبُّر آياتها وتأثره بها: «ما كنت أظن أنها نزلت».

٢ ـ روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، أنهما أجازا قراءة القرآن بالألحان، وهما لا يفعلانه إلا عن توقيف، لأن هذا لا مجال للرأي فيه(٥٣).

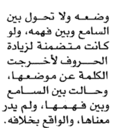
ثالثاً: المعقول:

١ ـ إن تزيين القرآن وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته، أوقع في النفوس وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، ففيه تنفيذ لفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، فهو بمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام، لتكون الطبيعة أدعى لقبوله، وبمنزلة ما يوضع في الدواء من مواد تجعله مستساغاً إلى موضع الداء.

٢ ـ إنه لابد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه، فقد عوضت عن السفاح بالنكاح، وعن المقامرة بالمراهنة في السباق والنضال، وعن السماع الشيطاني بالسماع القرآني.

٣ ـ إن قراءة القرآن بالتطريب والألحان لا تتضمن مفسدة راجحة أو خالصة، فإنها لا تخرج الكلام عن





قراءة السلف الصالح للقرآن أبعد ما تكون عن الألحان.

وضعه ولا تحول بين السامع وبين فهمه، ولو كانت متضمنة لزيادة الحروف لأخرجت الكلمة عن موضعها، وحالت بين السامع وبين فهمها، ولم يدر معناها، والواقع بخلافه.

٤ ـ إن التطريب والتلحين أمر راجع إلى كيفية الأداء، فتارة يكون سليقة وطبيعة، وتارة يكون تكلفاً، وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته، بل هي صفات لصوت المؤدي بمنزلة تفخيمه وترقيقه وإمالته، وبمنزلة أنواع المد في القرآن، إلا أن تلك الكيفيات متعلقة بالأحرف، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات، والآثار في كيفيات الألحان والتطريب لا يمكن نقلها بخلاف كيفيات أداء الحروف، فلهذا نقلت هذه بألفاظها ولم يمكن نقل تلك، بل نقل منها ما أمكن نقله: كترجيع النبي ﷺ بالقراءة في سورة الفتح، والتطريب والتلحين راجع إلى أمرين: مد وترجيع، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يمد صوته بالقراءة «يمد الرحمن ويمد الرحيم»، وثبت عنه الترجيع كما تقدم(٥٤).

٥ ـ إن القلب يخشع للصوت الحسن كما يخضع للوجه الحسن، وما تتأثر به القلوب في التقوى أعظم في الأجر.

د ـ إن قراءة القرآن بالألحان يكسب السامع الخشوع والاتعاظ والخشية، ويزيده إيماناً وغبطة بالقرآن الكريم.

٧ ـ إن للصوت الحسن أثراً عظيماً في النفوس، فإن كان المنطق رخيماً رقيق الحواشي أوسع الأذن سماعاً، والنفس ميلا وقبولاً وإن كان منغماً(٥٥).

الرأي الراجح

الذي تركن النفس إليه من هذين الاتجاهين ـ بعد استعراض أدلتهما، وما اعترض به على بعضها، وما أجيب به عن بعض هذه الاعتراضات ـ أن التطريب بقراءة القرآن إن كان مما يقتضيه تحسين الصوت بالقرآن، ولم يكن صادراً عن تكلف أو تصنع، وروعي في القراءة أحكام التلاوة، ولم يترتب على هذا التطريب إخراج الكلم عن مواضعه، أو تغيير الكلمات، أو جعل الحركات حروفاً، أو ما شابه ذلك، فإنه لا كراهة فيه، وأما إذا كان عن تكلف وتصنع وتأنق واتباع لقواعد ألحان الموسيقا، وكان هذا هو الشغل الشاغل للقارئ، بحيث أغفل في سبيل مراعاة الألحان أحكام التلاوة، فإن هذا يكره إتيانه وسماعه.

ولهذا فإني أقول كما قال ابن القيم: إن التطريب والتغني بقراءة القرآن على وجهين، أحدهما: ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين، بحيث إذا خلي القارئ وطبعه واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبوموسى الأشعري لرسول الله ﷺ: «لو علمت أنك تسمع لحبَّرته لك تحبيراً»، ومن هاجه الطرب والشوق لا يملك من دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله لموافقته الطبع، فهو مطبوع لا متطبع، وهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه، وهو التغني المحمود الذي يتأثر به السامع والتالي، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة من قال بجواز القراءة بالألحان.

الوجه الثاني: ما كان من التطريب صناعة ولا يحصل إلا بتكلف وتمرن، كما تتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان المركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة، لا تحصل إلا بالتكلف والتعلم، فهذه هي التي كرهها السلف وذموها ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة القائلين بالكراهة تحمل على هذا الوجه(٥٦).

والمتتبع لأحوال السلف رضوان الله تعالى عليهم، يعلم أنهم أبعد ما يكون عن القراءة بالألحان والتطريب بالقرآن وفقاً لقواعد الموسيقا، وأنهم أتقى لله من أن يقرأوا بها، وإنما كانت قراءتهم بالتحزين والتطريب من غير تكلف ولا تصنع، ومثل هذا تقتضيه الطباع السليمة، ولم ينه عنه رسول الله ﷺ، بل أرشد وندب إليه، وأخبر أن الله سبحانه يجزل المثوبة لمن يحسِّن صوته بالقراءة على هذا النحو، فقد روى فضالة بن عبيد الأنصاري عنه ﷺ أنه قال: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» ■

•• الهوامش ••

٢٤ ـ أخرجه الطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة في مصنفه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن عبدالبر في التمهيد، وقال ابن عبدالبر فيه: حديث مشهور روي عن عبس الغفاري، كما ذكره صاحب البيان والتعريف، وقال: أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة عن عبس الغفاري (المعجم الكبير ٣٥/١٨، مصنف ابن أبي شيبة ٥٢٩/٧، التمهيد ١٤٧/٨، البيان والتعريف ٢/٢).

٢٥ ـ أخرجه الطبراني في الأوسط وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: في سنده من لم أعرفه (المعجم الأوسط ٨٦/٥، مجمع الزوائد ١٦٩/٧).

٢٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٦٦/١٠.

٢٧ ـ زاد المعاد ١٣٧/١.

٢٨ ـ المصدر السابق ١٣٦/١.

٢٩ ـ المصدر السابق ١٣٧/١.

٣٠ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٥/٢/٣.

٣١ ـ الاختيار ٢٨٤/٤.

٣٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة، وأخرجه القضاعي وأحمد في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وأبو داود وابن ماجة والبيهقي في سننهم من حديث سعد بن أبي وقاص، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا الإسناد، وقال البيهقي: حديث مختلف في إسناده على ابن أبي مليكة، روى عنه من وجوه كثيرة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح (مسند الشهاب ٢٠٦/٢، صحيح ابن حبان ١٦٥/١، المستدرك ٥٦٩/١، تلخيص الحبير ٢٠١/٤، السنن الكبرى ٢٣٠/١٠، سنن أبي داود ١٥٦/٢، مجمع الزوائد ١٧٠/٧).

٣٢ ـ عمدة القاري ٢٢٤/١٦.

٣٣ ـ السنن الكبرى ٢٣٠/١٠.

٣٤ ـ عمدة القاري ٢٢٤/١٦.

٣٥ ـ زاد المعاد ١٣٥/١.

٣٦ ـ المصدر السابق ١٣٦/١.

٣٧ ـ المغني ٤٧/١٢، ٤٨.

٣٨ ـ المصدر السابق.

٣٩ ـ إحياء علوم الدين ١١٨/٣.

٤٠ ـ المقدمات الممهدات ٤٦٣/٣.

٤١ ـ عمدة القاري ٢٢٤/١٦.

٤٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٥/٣.

٤٣ ـ المصدر السابق ٢٠٧/٤.

٤٤ ـ حاشية السندي على صحيح البخاري ٢٣٥/٣.

٤٥ ـ عمدة القاري ٢٠/١٦.

٤٦ ـ زاد المعاد ١٣٤/١.

٤٧ ـ عمدة القاري ٢٠/١٦.

٤٨ ـ المصدر السابق ٢٤١/١٦.

٤٩ ـ عمدة القاري ٢٢٤/١٦.

٥٠ ـ المصدر السابق.

٥١ ـ المصدر السابق.

٥٢ ـ يراجع في وجوه المعقول السابقة زاد المعاد ١٣٦/١.

٥٣ ـ التاج والإكليل ٦٢/٢.

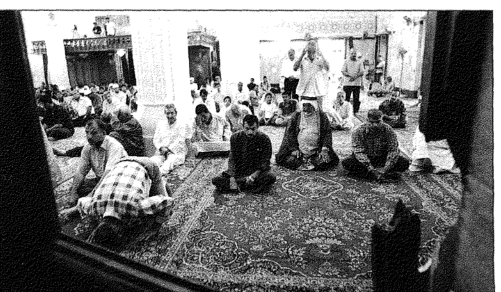
٥٤ ـ زاد المعاد ١٣٧/١.

الداعية
بين الابتلاء والتمحيص والفتنة

الداعية المسلم حامل رسالة الله إلى الناس كافة، حامل أشرف رسالة، يقوم بأكرم مهمة، ويمضي على أعز نهج، على صراط مستقيم مشرق بالحق، جلي الدرب، قوي الثقة بالله، وحسبه شرفاً أنه يقوم بتكليف من الله سبحانه وتعالى، وتكليف لكل مسلم قادر، لا يعذر إلا من عذره الله، وحسبه كذلك أنه يحمل دعوة ورسالة هي حاجة كل إنسان، وهي حاجة البشرية كلها على مدى العصور والأجيال، إنها دعوة الناس إلى الله ورسوله، إلى الإيمان والتوحيد، دعوة وبلاغ وبناء، وتعهُّد وتدريب وإعداد.

"مصير الإنسان إما إلى جنة وإما إلى نار ولا يغادر الإنسان الحياة الدنيا إلا وقد قامت الحجة له أو عليه فالدار الآخرة هي الهدف الأكبر والأسمى للمؤمن"

بقلم:
د.عدنان علي رضا النحوي



ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

والداعية أول ما يدعو نفسه، من خلال التذكير المستمر، والمحاسبة الدائمة، ومجاهدة النفس حتى تستقيم على أمر الله، والشعائر والدعاء وتلاوة كتاب الله وتدارس منهاجه وتدبره، ثم الدعوة إلى الله ورسوله، دعوة الناس وتعهدهم حتى يستقيموا على أمر الله وينجوا من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة. هذه كلها تكاليف ربانية.

وحين يبلّغ الداعية رسالة ربه إلى الناس استجابة لأمر الله، ووفاء بالأمانة التي يحملها، والخلافة التي جُعِلَتْ له، والعبادة التي أُمِرَ بها، فإن عليه أن يتعهد مَن يدعوه كما أمر الله، والدعوة والتعهد رفقة ومصاحبة ولقاء. إنها مدرسة تقوم على منهاج الله، تنطلق من مدرسة النبوة الخاتمة، لتظل ممتدة مع الدهر كله، إنها دعوة وبلاغ، وتعهد وبناء، وتدريب على الممارسة الإيمانية وإعداد، حتى تتدافع أجيال الإيمان تملأ العصور لتنقذ الناس وتخرجهم من الظلمات إلى النور، إلى مسيرة على الصراط المستقيم ممتد إلى الهدف الأكبر

والأسمى لكل مؤمن صادق - الجنة والدار الآخرة ورضوان الله - على صراط مستقيم يجمع المؤمنين.

الدعوة إذن: بلاغ وتذكير، ومصاحبة ولقاء، وتربية وتعهد وبناء، وأهداف ربانية، تكليف من الله سبحانه وتعالى، مضت بها سنة النبوة الخاتمة ومدرستها الخالدة، وسيرة الصحابة والأئمة الأعلام.

وقضت سنَّة الله سبحانه وتعالى أن تكون الدنيا دار ابتلاء وتمحيص للناس بعامة وللمؤمنين بخاصة.

وأن يكون المؤمن أشد بلوى، والمؤمن الداعية الصادق أشد ابتلاء وتمحيصاً، حتى يظل الصف المؤمن نقياً من المنافقين والضعفاء، وحتى يحمي الله المؤمنين من الفتنة وأبوابها، وحتى ترتفع درجة المؤمن بذلك عند ربه.

(ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) العنكبوت:١٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد» (رواه الشيخان والترمذي).

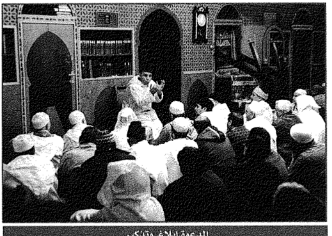
وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنهما قال: «قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح يشتد البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما له خطيئة» (رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم)(١)

والآيات والأحاديث كثيرة حول ذلك، لتؤكد وتذكر وتوقظ القلوب، حتى تعي قلوب المؤمنين ما هم مقبلون عليه.

ولا يزال الابتلاء يمضي ويشتد، ليكون من حكمته تمحيص المؤمنين، وكشف ما في صدور العالمين، حتى يكون ذلك حجة لهم أو عليهم يوم القيامة: (إن يمسسكم قَرحٌ فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران:١٤٠، ١٤١.

إنه الابتلاء والتمحيص الذي يمضي على سنن لله ثابتة، وقضاء نافذ، وقدر غالب، وحكمة بالغة، فما كان الله ليذر المؤمنين على ما هم عليه، حتى يميز الخبيث من الطيب، والقوي من الضعيف، وحتى يعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، (الم. أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت:١ - ٣.

الداعية أول ما يدعو نفسه من خلال التذكير المستمر والمحاسبة الدائمة ومجاهدة النفس


الدعوة ابلاغ وتذكير.

حكمة لله بالغة، حتى يرى الناس يوم القيامة أن الحق لله، وأن كل إنسان يُعرض عليه كتابه فيقرؤه بنفسه: (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) الإسراء:١٤.

هناك مصير الإنسان، إما إلى جنة وإما إلى نار، ولا يغادر الإنسان الحياة الدنيا إلا وقد قامت الحجة له أو عليه، فالدار الآخرة هي الهدف الأكبر والأسمى للمؤمن، ولا يبلغ الإنسان الجنة إلا إذا صدق إيمانه وعمله وبذله في الحياة الدنيا، وجهاده وصبره على الابتلاء، ومضيُّه على الصراط المستقيم، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آل عمران:١٤٢.

وكذلك: (أم حسبتم أن تُتركُوا ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) التوبة:١٦.

وكذلك: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) البقرة:٢١٤.

وكذلك: (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنُجِّي من نشاء ولا يُردُّ بأسُنا عن القوم المجرمين) يوسف:١١٠.

وأثناء الابتلاء يوسوس الشيطان ما يشاء في النفوس، ليزين الوهن والخوف والفتنة والانحراف، فأما الضعفاء فقد يقعون في شرَك الشيطان، وأما المتقون الأقوياء فيعصمهم الله برحمته، فيثبتون ويصبرون ويمضون على صراط مستقيم إلى الهدف الأكبر والأسمى - الجنة - واستمع إلى هذه الآيات الكريمة التي تدخل أغوار النفس، وتكشف ما يدور بها.

(وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم

بما يكتمون. الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) آل عمران:١٦٦ ـ ١٦٨.

واستمع كذلك إلى هذه الآيات الكريمة وهي تذكر وتعظ: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) آل عمران: ١٧٣ـ١٧٥.

نعم! (... فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)! فقل أيها المؤمن عند الابتلاء: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

نعم، (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)... تذكير من عند الله حتى لا يخاف المؤمن عند الابتلاء، ولا يخشى إلا الله، ولا يجعل للشيطان إلى نفسه سبيلاً، وليذكر الله: (ألا بذكر

أثناء الابتلاء يوسوس الشيطان ما يشاء في النفوس، ليزين الوهن والخوف والفتنة والانحراف

الله تطمئن القلوب) وليطمئن فإنه على حق، وإنه لا يرتكب إثماً ولا جريمة، إنما يقوم بعمل صالح تحتاجه الأمة والبشرية كلها، وإنه ليحمل أشرف رسالة، ويقوم بأكرم دعوة، تصلح ولا تفسد، تعين ولا تؤذي، إنك أيها الداعية إن صدقت الله كنت موضع احترام الجميع، وتقدير العدو والصديق، إنك تعطي الناس حياة بعد موت، ونوراً بعد ظلام: (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُيِّن للكافرين ما كانوا يعملون) الأنعام:١٢٢.

(ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) الحج:١١.

وكذلك: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

وقد يحدث أن تُضعف الزوجة والأولاد عزيمة



العلماء مسؤولون عن ترشيد مسيرة الدعوة.

الرجل المؤمن، ومن أجل ذلك جاء قوله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم. فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون. إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم. عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) التغابن:١٤ ـ ١٨.

حقيقة يمر بها المؤمنون في جميع العصور، ومروا بها أيام النبوة الخاتمة، فنزل بها القرآن الكريم ليعلم المؤمنين قواعد الإيمان ونهج التوحيد، ولتكون عظة ماضية مع الدهر كله.

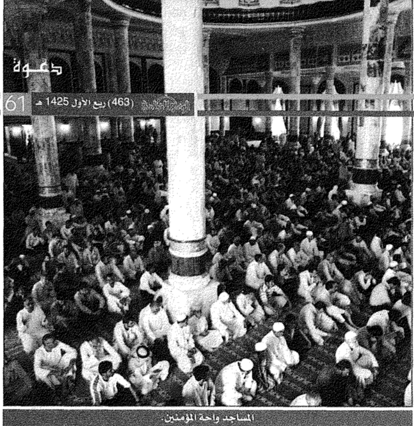
نعم! (فاتقوا الله ما استطعتم)، في أزواجكم وأولادكم وأموالكم، ولكن: (واسمعوا وأطيعوا): أمر الله ورسوله، فإنكم على عهد مع الله لا يحل نقضه أبداً: (وأنفقوا خيراً لأنفسكم).

والداعية أجدر من يتذكر عهده مع الله الذي أقامه في الدنيا، عهداً نابعاً من العهد مع الله في بنوده ومبناه ومعناه. وتذكر العهد والوفاء به يبعث في نفس المؤمن الطمأنينة والسكينة، والمضي على صراط مستقيم، ويرفع من نفس المؤمن الخوف والفزع والهلع، حين يشعر أنه في حمى الله وملجأ إلى الله. فالوفاء بالعهد والأمانة محور حياة المؤمن، وأساس صدقه وصلاحه، حتى لا يكون من المنافقين ولا المفسدين.

(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) النحل:٩١ ـ ٩٢.

فإذا انطلق الداعية المسلم يدعو الناس إلى الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، وإلى أخطر قضية في حياة كل إنسان، على نهج محدد جلي، فإنه يكون قد بدأ بالقضية الحق، ومضى على صراط مستقيم بيَّنه الله وفصَّله وأمر عباده المؤمنين أن يتبعوه ولا ينحرفوا عنه، ولا يتوقفوا ولا يتراجعوا، فيكسب الداعية بصدقه وبذله ووفائه النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، ويمضي إلى الجنة بإذن الله وعفوه ورحمته.

ليست القضية قضية تلاوة لكتاب الله أو حفظه


المساجد واحة المؤمنين.

أو دراسة السنَّة، أو حركات السجود والركوع، أو الجوع الناتج من مظاهر الصيام، أو غير ذلك! إن الأمر أعمق من هذا، إنه أمر تقوم عليه تلاوة منهاج الله وتدبره، وتقوم عليه الشعائر، وتصدق به الصلاة والصيام، إنه أمر يقوم عليه كل عمل ابن آدم فيُقْبَلُ عند الله إن صح هذا الأمر، ولا يُقبل إن لم يصح.

إن هذا الأمر هو الحقيقة التي تستقر في أعماق النفس المؤمنة، إنه الصفاء والصدق والوعي في الإيمان والتوحيد، إنها الفطرة السليمة، والقلب الطاهر، القلب الذي يشعر بالعبودية الكاملة لله رب العالمين، بالولاء الأول له، والعهد الأول معه، والحب الأكبر لله ولرسوله فيقبل على الآخرة بشوق صادق، ويأخذ زاده الطاهر من الدنيا في رحلته هذه، زاداً طاهراً من عمل طاهر، وجهاد طاهر، ماض على صراط مستقيم، صراط مستقيم يجمع المتقين، وينفي المنافقين المفسدين الذين لن تنفعهم مظاهر صلاتهم وصيامهم وقد خانوا وكذبوا وخدعوا.

ومهما طال أمرهم في الدنيا، فإن مردهم إلى الله، لا يفلتون أبداً من عقابه. وإن الله ليملي للظالم حتى يأخذه أخذاً أليماً. والشرك أشد أنواع الظلم، والنفاق أشد أنواع الشرك وأبعده فساداً، حتى كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار.

وأشد أنواع النفاق هو طلب الدنيا تحت شعار الإسلام، وإخفاء ذلك في الصدور، وإشعار الناس أنه يطلب الآخرة كذباً ومكراً.

ومن أخطر مطالب الدنيا: الجاه والسمعة، والنساء، والمال. فتكاد تكون هذه أهم منافذ الشيطان إلى الإنسان، إلى قلبه وفكره، حتى يُفتن، ولذلك جعل الإسلام ميزاناً يُكشف به المناقون، ميزاناً دقيقاً يكشف به ظاهر المنافقين، وأما باطنهم فلا يعلمه إلا الله، ليذيقهم العذاب الأنكى والأشد في الدرك الأسفل من النار.

فعن ابن عمر رضي الله عنه عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار» (رواه الترمذي وابن ماجه)(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه» (رواه مسلم)(٣).

> قضت سنَّة الله سبحانه أن تكون الدنيا دار ابتلاء وتمحيص للناس بعامة وللمؤمنين بخاصة

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركت بعد في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء» (رواه مسلم)(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به» (رواه مسلم)(٥).

وفي كتاب الله وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة من آيات وأحاديث تكشف أبواب الفتن ومسالك النفاق ودروب الشيطان ليحذرها المؤمن لا ليقع فيها.

لقد كان بين المؤمنين أيام الرسول صلى الله عليه وسلم منافقون، يسعون لدفع المؤمنين إلى الانحراف عن الصراط المستقيم، فرد الله كيدهم في نحورهم وأخزاهم، وقد عرف المؤمنون أساليبهم ومكائدهم، فحذروا منهم أشدَّ الحذر، حتى صار المنافق يعرف بسمات النفاق ولو لم يعرف اسمه: (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) محمد: ٣٠.

فكيف حالنا اليوم؟! وقد اختل الميزان بأيدي الناس، واضطربت المكاييل، وامتدت الفتن بكل أشكالها: حب السمعة والجاه، وطلب المركز ذي السلطة والنفوذ، والجري اللاهث وراء المال ووراء النساء.

لابد أن يصدق الميزان اليوم بأيدي المؤمنين، حتى لا تصب جهودهم في ساحة المنافقين أو أعداء الله وهم لا يشعرون. وقد يكتشفون ذلك بعد عشرات السنين، وفوات الفرصة ووقوع البلاء وغلبة الأعداء!.

فَلْنُغَيِّرْ ما بأنفسنا كلنا أيها المسلمون حتى ننجو من الفتنة والابتلاء، وحتى يغير الله حالنا إلى النصرة والعزة والتمكين ■

●● الهوامش ●●

١ ـ الفتح الرباني: أحمد: ١٢٧/١٩، الترمذي: ٢٣٩٨/٥٦/٣٧، النسائي: في الكبرى الطب، ابن ماجه: الفتن ـ باب الصبر على البلاء.
٢ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته: (ط:٣) (رقم: ٦٣٨٢، ٦٣٨٣).
٣ ـ المصدر السابق: (رقم: ٤٢٩٢).
٤ ـ مسلم: ٢٧٤/٢٦/٤٨.
٥ ـ مسلم: ٢٩٨٦/٥/٥٣.

«المحمول» وسيلة تفاخر لا وسيلة اتصال!!



الحاجة إلى المحمول تنشأ بعد شرائه، وكثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية وراءها الهاتف المحمول

خدمة مركز الإعلام العربي . القاهرة

أصبح المجتمع المصري والعربي سوقاً استهلاكية كبيرة لمنتجات الغرب، والمشكلة أن معظم السلع التي يتهافت عليها الجميع سلعاً هامشية وكمالية، بل تكاد تكون غير ذات قيمة، ومثال ذلك الهاتف النقال «المحمول» الذي ما إن ظهر في الأسواق حتى أصبح في يد الجميع بدءاً من رجال الأعمال حتى أبسط موظف، وبعد أن أصبح «المحمول» في يد الجميع خلق وجوده الحاجة إليه، بحيث لا يمكن لمن يستخدمه الاستغناء عنه، وظهرت الشركات التي تستفيد من وراء ذلك، فهناك شركات لخدمات «المحمول»، وأخرى تتصل بها تسمعك أحلى الأغاني، وثالثة تتصل بها لتشترك في المسابقات، وكلها في النهاية استنزاف لأموال الناس، وتلاعب بنزعاتهم الاستهلاكية وحبهم للتقليد والمحاكاة.

لقد أصبح «المحمول» موضة أكثر منه حاجة ضرورية، وصار دليلاً على غياب الرقابة الاقتصادية على النفس إن صح التعبير.

«حاملو المحمول» يقولون:

عبد الله إبراهيم أحمد - ١٩ سنة - أعتقد أن «المحمول» مهم جداً في كثير من الأحيان، ومع أنه مظهر من مظاهر الرفاه بين الشباب وخصوصاً، أنه مكلف ماديًا بشكل مستمر إلا أنني تمر بي مواقف كثيرة أحس فيها بأهمية وجوده معي، وخصوصاً تلك المواقف التي تتصل فيها أمي بي لأمر عاجل، أو لطلب شيء مهم، وأعتقد أن ترشيد الاستخدام هو المطلوب، وليس المنع التام، وكل شخص أدرى بظروفه.

الدكتور حسين يوسف - ٥٠ سنة - بحكم طبيعة عملي، وجدت أن الهاتف «المحمول» مهم، ولذا اشتريته، ومع مرور الوقت اتضح إلي أن وجوده سبب لي إزعاجًا كثيرًا، وأصبح الاتصال بي عن طريقه لا ينتهي، لذا لجأت إلى إغلاقه في كثير من الأحيان.

داليا إمام - ٢٥ سنة: كان «المحمول» بالنسبة لي في فترة من الفترات شيئًا كماليًا، ورغم رفضي لاقتنائه، فقد وجدت أن أهميته تكمن في استخدامه بطريقة مفيدة ونافعة، ولا أجد صعوبة في الاستغناء عنه، وبخاصة أنه أهدي إليَّ ولم أشتره بنفسي.

لمياء صلاح - ٢٣ سنة: سبب اقتنائي «للمحمول» هو عدم وجود هاتف في المنزل، ونظرًا لطبيعة عملي كمسئولة إعلانات، فإنني أحتاج إلى تأكيد مواعيدي أو إلغائها، وكذلك استقبال مكالمات العملاء وخلافه، ما جعله عندي أمرًا مهمًا وليس ترفًا أو تقليدًا.

شيرين رياض - ٢٨ سنة: قمت بشراء الهاتف «المحمول» في بداية الأمر، لأنه كان منتشرًا بين الطالبات، وكان وسيلة للتفاخر، وينظر للمستوى الاجتماعي من نوع الجهاز الذي يحمله الشخص، ومن ثمَّ قررت شراء «المحمول»؛ لأن كل فرد في الأسرة يمتلك الجهاز الخاص به، حتى نستطيع أن يكلم بعضنا بعضاً في أي وقت، ومع ذلك لا أشعر أن «المحمول» له أهمية في جميع الأوقات، ولا أرى أن يأخذ كل هذا القدر من الاهتمام.

استنزاف للماديات

ويحدثنا د. أحمد المجدوب - أستاذ الاجتماع والخبير في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - عن ظاهرة انتشار «المحمول» بين فئة الشباب من طلبة الجامعة والثانوي، بل حتى السن الأصغر فيقول: إن الأمر ناشئ عن ميل المصريين المتزايد نحو التفاخر والمنافسة غير السوية بين الأسر مع بعضها بعضاً؛ لأنه في أغلب الأحوال لا يوجد أي مبرر لحيازته، ثم إن ظروف المجتمع المصري الراهنة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لا ترى مبررًا لهذا الانتشار، والمجتمعات الغربية التي أنتجت «المحمول» تستعمله في أضيق الحدود، ثم إنها شعوب تخلصت من هذا التفاخر الكاذب، وكثير من الأسر في مصر تشتري «المحمول» لأبنائها؛ لأنهم ليسوا أقل من أبناء الجيران مكانة، أو باقي أفراد العائلة، ومن هنا يجب أن نربي أبناءنا على التفكير في واقع الحياة بمنطق وعقل، والثقة في الذات؛ لأن الشباب هو أكثر الفئات العمرية ميلاً للمحاكاة والتقليد.

كما أن الهاتف «المحمول» سبب مشكلات اجتماعية في الأسرة الواحدة بسبب ملاحقة الزوجات لأزواجهن باستمرار وتتبع حركاتهم عن طريقه.

والأهم من ذلك كله أن بعض الأسر لا تسمح دخولاتها بعبء فواتير «المحمول» المتكرر كل أربعة أشهر «كارت للشحن».

أما د. عبدالصبور شاهين - الداعية الإسلامي والأستاذ في كلية دار العلوم جامعة القاهرة - فقد لفت انتباهه شراء «المحمول» للأطفال ما يعد مزيداً من الإسراف والترف، لا لزوم له، كما أنه قد يكون دافعًا أو مساعدًا على الانحراف والفساد، فهو وسيلة تجعل الشاب يتصل بأطراف كثيرة قد توصله بفتيات بالنسبة للولد أو بشباب بالنسبة للمراهق، كما يستطيع المفسدون الوصول إليه بعيدًا عن رقابة الأهل، وهو في هذه الحال قد يكون وسيلة للضياع، ومن ناحية أخرى فإن أغلبية المصريين يعانون من أزمات اقتصادية طاحنة لا ينجو منها إلا قليل من الناس، و«المحمول» يستنزف الماديات، وهو في هذه الحال مضيعة للأسر الفقيرة جميعًا، والإسراف مذموم في ديننا، فالله تعالى يقول: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا) الإسراء: ٢٧.

مستخدمو المحمول: العبرة بالاستخدام الوظيفي للجهاز وخصوصاً في إنجاز مهام العمل

وحول أهمية تربية حس الاقتناء الوظيفي عند الأبناء تقول سمية الألفي - المدرسة في قسم أصول التربية كلية البنات: إن أي جهاز تكنولوجي له إيجابياته وسلبياته، و«المحمول» مع الشباب سلبياته أكثر من إيجابياته، ولا يجب أن يسير الشباب وراء الموضة، بل بالإحساس بقيمة المادة حتى لو كان الشخص قادرًا على الاقتناء، و«المحمول» مكلف ماديًا، فيجب أن نعوِّد الأبناء على ترتيب الأولويات وشراء الضرورات، والموازنة بين منافع الجهاز وتكلفته، فهو مهم لرجال الأعمال، والأطباء وغيرهم، ممن يسبب تأخر العثور عليهم مشكلة، أما الشباب فيحملونه الآن لإرسال الرسائل أو سماع الأغنيات، وللمباهاة.

وتوجه نظر الأسر إلى ضرورة تنشئة الأبناء على الاستقلالية وعدم التقليد الأعمى، وذلك عبر القدوة الحسنة والتحذير من عاقبة الإسراف ■

امنعوا التدخين في البيوت!



في كثير من البلدان توجد قوانين لحماية الهواء من التلوث، ويشير عدد من الدراسات الطبية الحديثة إلى أن نسبة التلوث داخل الكثير من الأماكن المغلقة، مثل المنازل والمصانع ومكاتب العمل، تعدُّ خرقاً واضحاً لقوانين حماية الهواء من التلوث! والسبب التدخين!.

"يجب التحذير من التدخين السلبي الذي يحدث في الأماكن المغلقة والذي يؤذي غير المدخن أكثر من المدخن"

بقلم:
د.عبدالرحمن
عبداللطيف النمر





التدخين سم بطيء قاتل!!

وباء التدخين

ظاهرة التدخين تجذب انتباه أوساط البحث الطبي منذ سنوات، لأسباب عدة:

أولاً: يعتبر التدخين أحد أهم الأخطار الإرادية «الاختيارية» التي يُوقعها الإنسان على صحته.

ثانياً: عادة التدخين ليست إشباعاً لأي حاجة طبيعية للإنسان، بل على العكس تماماً، فإن عادة التدخين مناقضة للطبيعة! وهي بذلك تعتبر سلوكاً محيِّراً صعب الفهم.

ثالثاً: بالرغم من وجود رابطة قوية بين التدخين وقائمة طويلة من الأمراض، يتصدرها سرطان الرئة، فإن ذلك لا يشكل رادعاً كافياً للمدخنين للإقلاع عن هذه العادة!. الأمر الذي يزيد من صعوبة فهم ذلك السلوك البشري الغريب.

ورابعاً: فإن عادة التدخين تنتشر بصورة وبائية بين معظم شباب اليوم، دون تأثير يُذكر لكل صيحات التحذير من أضرار التدخين!.

على أن الجديد في الدراسات الطبية الحديثة عن التدخين هو التركيز على ما يسمَّى «التدخين السلبي» (أو التدخين اللاإرادي أو التدخين غير الاختياري» Passive smoking، والمقصود يعتبر التدخين السلبي هو استنشاق شخص غير مدخن للدخان المتصاعد من سيجارة شخص مدخن، وفرصة حدوث ذلك تكون في الأماكن المغلقة، مثل البيوت ومكاتب العمل والمواصلات ودور

السينما والمطاعم والمقاهي، وما شابه ذلك.

ونظراً لأن عادة التدخين تنتشر بصورة وبائية، فمعنى ذلك أن عدد ضحايا التدخين السلبي في تزايد مستمر، وإذا كانت أضرار التدخين الاختياري معروفة وثابتة بالدليل العلمي، فهل للتدخين السلبي أضرار؟! وما الأضرار هذه؟!

هذا السؤال عن أضرار التدخين السلبي كان صُلب دراسات عدة أجريت أخيراً في الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان واستراليا، وقد بلغت الدراسات في مجموعها أربع عشرة دراسة، بعضها شمل أكثر من مئة وأربعين ألف شخص. كما سيلي بيانه، ونشرت هذه الدراسات في عدد من الدوريات الطبية المعروفة، مثل «الجريدة الطبية البريطانية» وجريدة «المدارس العام» و«الجريدة الأميركية للصحة العامة»، وفيما يلي عرض لأهم نتائج الدراسات المذكورة.

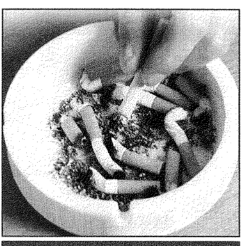
سموم الدخان

أكثر الدراسات عن التدخين إثارة للذعر تأتي من «وحدة أبحاث الإدمان» التابعة لمعهد الطب النفسي في «لندن»، إذ قامت الوحدة المذكورة بدراسة ميدانية لمعرفة تأثير التدخين السلبي على الأطفال، كما قامت بدراسة كيمياء الدخان المتصاعد من سيجارة مشتعلة. أجريت هذه الدراسة الميدانية على خمسمئة وتسعة وستين طفلاً تتراوح أعمارهم بين (١١ - ١٦) سنة، والقاسم المشترك بين هؤلاء الأطفال أنهم مدخنون سلبيون نتيجة تدخين أحد الوالدين أو كليهما.

قامت الدراسة على أساس تحديد نسبة مادة «كوتينين» Catinine في لعاب الأطفال، ومقارنتها بنسبة المادة نفسها في لعاب الأب المدخن أو الأم المدخنة، ومادة «كوتينين» هي الناتج الرئيس من عملية التحول الكيمياوي التي تحدث لمادة «النيكوتين» nicotine في الجسم، وتوجد مادة «كوتينين» عادة في لعاب الشخص المدخن مدة تصل إلى أربع ساعات بعد تدخين سيجارة واحدة، وهي مميزة لنيكوتين التبغ، أو بمعنى أنها لا تنتج في الجسم إلا نتيجة دخول النيكوتين إلى الجسم من طريق تدخين التبغ.

نتيجة لهذه الدراسة، اتضح أن نسبة مادة «كوتينين» في لعاب الأطفال تراوحت بين نصف إلى واحد في المئة (٠,٥ - ١٪) من

> خطر التيار الجانبي للدخان أكثر من خطر التيار الرئيس الذي يستنشقه المدخن



الدخان المتصاعد من السجائر وباء خطير!!

نسبتها عند الآباء المدخنين، وهذه النسبة تناظر - تقريباً - تدخين ثمانين ٨٠ سيجارة في العام.

وقد يبدو من هذه النتائج أن خطر التدخين السلبي على الأطفال ضئيل بحيث يمكن تجاهله، لكن حتى لا يتسرع أحد إلى هذا الاستنتاج، فإن الجانب الآخر من الدراسة، وهو التحليل الكيمياوي للدخان المتصاعد من السجائر، يثير الفزع بحق، بل يدعو إلى كثير من التروي قبل أن يشعل أحد الوالدين سيجارة في حال وجود أطفاله إلى جواره.

الدخان الذي يستنشقه المدخن من سيجارته المشتعلة يسمَّى التيار الرئيس للدخان، بينما يسمَّى الدخان المتصاعد من الطرف المشتعل للسيجارة الذي يتوزع في أرجاء مكان وجود الشخص المدخن، يسمى التيار الجانبي للدخان.

ومن هذا التحليل الكيمياوي لهذين التيارين، اتضح أن التيار الجانبي للدخان يحتوي ضعف ما يحتويه التيار الرئيس من مادة النيكوتين ومن غاز أول أكسيد الكربون «غاز أول أكسيد الكربون» car-bon monoxide غاز سام للأحياء عند تركيز منخفض، واستنشاق المقادير الضئيلة من هذا الغاز نتيجة التدخين هو السبب في الشعور بالفتور والتراخي والإصابة بالصداع والشعور بثقل الرأس، إذ يتحد الغاز مع صبغ «هيموجلوبين الدم» في خلايا الدم الحمراء، فيمنع الصبغ من أداء وظيفته وهي «نقل غاز الأكسجين إلى خلايا الجسم»، ويترتب على نقص الأكسجين العلامات المذكورة.

أما مادة «بنزو - بيرين» benzo byrene - فتركيزها في التيار الجانبي للدخان ثلاثة أضعاف تركيزها في التيار الرئيس، بينما يصل تركيز مادة «تولوين» To-luene في التيار الجانبي إلى ستة أضعاف تركيزها في التيار الرئيس للدخان، وكلتاهما من المواد عالية السُّمِّيَّة في الدخان.

وتتوالى نتائج التحليل الكيمياوي للدخان فتذكر أن المادة المسببة للسرطان في الدخان، وهي «ثنائي ميثيل نيتروسامين» Dimethyl nitro-samine يرتفع تركيزها في التيار الجانبي للدخان إلى خمسين ضعف لتركيزها في التيار الرئيس!.

والواضح من هذه النتائج أن التدخين السلبي سُم زُعاف، وإذا كان المدخن يقتل نفسه مرة، فإن المكرَه على استنشاق الدخان «أي المدخن السلبي» يُقتل خمسين مرة!.

أمراض الجهاز التنفسي

«المعهد القومي لأبحاث وعلوم صحة البيئة في الولايات المتحدة، أجرى من جانبه دراسات مستفيضة عدة على التدخين السلبي، وتبيَّن أن أهم الدراسات الصادرة عن المعهد المذكور في حقل التدخين، دراستان: إحداهما أجريت على ستة عشر ألف طفل من أسر يدخن فيها أحد الوالدين، بهدف معرفة أثر التدخين السلبي على الجهاز التنفسي، أما الدراسة الثانية: فقد أجريت على البالغين «الوالدين» في أسر الأطفال موضع الدراسة الأولى، بهدف معرفة مدى خطر التعرض للإصابة بأنواع السرطان المختلفة، وقد نشرت نتائج الدراستين في «الجريدة الأميركية للصحة العامة».

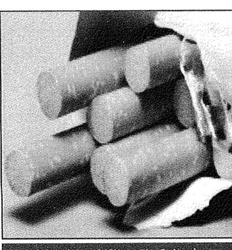
اتضح من الدراسة أن جميع الأطفال من الأسر المدخنة الذين شملتهم الدراسة أصيبوا في وقت ما من حياتهم بواحد من أمراض الجهاز التنفسي التالية: التهاب القصبة الهوائية، الربو الشعبي «الأزمة»، عدوى الجهاز التنفسي، كما أظهرت اختبارات وظيفة الرئتين عند هؤلاء الأطفال تدهوراً ملحوظاً قياساً إلى أطفال الأسر غير المدخنة، وقد تردد الأطفال موضع الدراسة، وجميعهم دون الحادية عشرة من العمر، على طبيب الأسرة طلباً للعلاج من السعال «الكحة» أكثر من مرة واحدة في شتاء أي عام - حسبما ظهر من تاريخهم الطبي.

ومن أستراليا، جاءت دراسة مشابهة تعضد هذه النتائج، فعند تعريض المصابين بالربو الشعبي «الأزمة» لاستنشاق دخان السجائر لمدة ساعة من الزمن، أصيبوا جميعاً بنوبة حادة! وسبب ذلك أن الدخان يحث إنتاج مادة الـ«هستامين» histamine التي تؤدي إلى انقباض العضلات اللاإرادية في القصبة الهوائية، فيضيق مجرى التنفس، وبذا تحدث «الأزمة»، وقد ظل مستوى مادة الـ«هستامين» عالياً بعد مرور أربع ساعات على التعرض لاستنشاق الدخان!.

خطر السرطان

في الجانب الآخر من دراسة «المعهد القومي لأبحاث وعلوم صحة البيئة» في الولايات المتحدة، والمتعلق بالبحث عن علاقة بين التدخين السلبي وبين خطر الإصابة بالسرطان، ظهر ما يلي:

تزيد نسبة خطر الإصابة بسرطان المخ بمقدار ٢,٣ وبسرطان الدم بمقدار ٢,٤ وعند النساء، تزيد نسبة خطر الإصابة بسرطان الثدي بمقدار ٣,٢ وبسرطان عنق الرحم بمقدار ٣,٤، أما خطر الإصابة بباقي أنواع السرطان في مناطق الجسم المختلفة فيزيد بمقدار ١,٥، «وجميع النسب المذكورة ناتجة من المقارنة بين المدخن السلبي وبين غير المدخن السلبي أو الاختياري».



أين الحكومات من انتشار هذا الوباء؟

> **على الحكومات أن تقيّم المشروعات البديلة عند إغلاق مصانع الدخان حتى تستوعب آلاف العمال العاملين فيها**

من جهة أخرى، أجرى «المركز القومي لأبحاث السرطان في «طوكيو» اليابان دراسة موسعة شملت (١٤٢,٨٥٧) امرأة، بعضهن زوجات لرجال مدخنين، وبعضهن زوجات لرجال غير مدخنين، واتضح من هذه الدراسة أن خطر الإصابة بسرطان الرئة يزيد ضعفين عند زوجات الرجال المدخنين عنه عند زوجات الرجال غير المدخنين!.

وهناك خمس دراسات أخرى، أجريت كذلك في اليابان، بهدف معرفة العلاقة بين التدخين السلبي وبين احتمال الإصابة بسرطان الرئة، وفي ثلاث من تلك الدراسات الخمس كانت النتائج موافقة للدراسة الموسعة التي قام بها «المركز القومي لأبحاث السرطان» في «طوكيو».

وتجري في الوقت الحالي دراسة جديدة لكشف العلاقة بين التدخين السلبي وأمراض القلب، تقوم بها كلية الطب - جامعة كاليفورنيا «الولايات المتحدة».

ما الحل؟

«الوكالة الأميركية لحماية البيئة» ترى أن تلويث الهواء بدخان التبغ لا يقل خطراً عن تلويث الهواء بالمواد المشعة والأبخرة السامة، وتذهب تقديرات هذه الوكالة إلى أن مئة شخص من بين كل مليون نسمة يموتون كل عام نتيجة التدخين السلبي.

من ناحية ثانية، تذهب تقديرات «وحدة أبحاث الإدمان» التابعة لمعهد الطب النفسي في لندن، إلى أن (١٠٠,٠٠٠) شخص يذهبون ضحية إدمان تدخين التبغ كل عام، بينما يلقى ألف شخص آخرين حتفهم كل عام نتيجة للتدخين السلبي!.

وبغض النظر عن هذه الآراء والإحصاءات، فإن نتائج الدراسات المتعددة لا تترك مجالاً لأدنى شك في أن التدخين السلبي لا يقل خطراً وضرراً عن التدخين الاختياري، إن لم يكن أكثر منه. وطبيعي والحال كذلك أن يطرح السؤال التالي: ما الحل؟!

ليس هناك أي أمل في أن تغلق مصانع التبغ أبوابها وتسرِّح عمالها وتكف عن إنتاج سُمّ للبيع! فلا تزال شركات صناعة التبغ الجهة الوحيدة التي تحاول بكل صلافة ودون دليل علمي التقليل من أهمية الدراسات الطبية الكثيرة التي أظهرت بجلاء أخطار التدخين.

وكذلك فليس هناك أمل في أن تتصدى الحكومات لهذا الوباء، بأكثر من إفساح الصدر للنقد الموجَّه إليها بسبب موقفها المتراخي في قضية التدخين! فمع اضطراد معدلات البطالة لن تفكر أي حكومة في إغلاق مصانع التبغ، وإضافة آلاف جديدة من العمال إلى قائمة العاطلين عن العمل، فضلاً عن ذلك، فإن الضرائب التي تدفعها شركات صناعة التبغ كل عام تقدر بآلاف الملايين، تجعل من السهل تماماً غض الطرف عن أضرار التدخين!.

من ناحية ثالثة، فإن كثيرين تحوَّلوا إلى مدمنين، وعلى الرغم من كراهيتهم الشديدة للدخان والتدخين، إلا أنهم يجدون في الإقلاع عن عادة التدخين صعوبة بالغة. دَعْ جانباً المدخنين الذين يتلذذون باستنشاق السُّم، ويضربون صفحاً عن كل صيحات التنبيه والتحذير.

لم يبق إذاً إلا انتشال غير المدخنين من أماكن وجود الدخان، ويتحقق ذلك بتخصيص أماكن لغير المدخنين في كل مكان: في المصانع ومكاتب العمل، في وسائل المواصلات وأماكن الترفيه، وحتى في البيوت!.

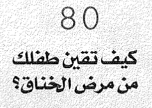
لن يكون في وُسْع المدخن بعد اليوم أن يقول «أنا حُر»!، إذ يأتي إليه الجواب الفوري: «أنت حر فيما لا يضر»! ونرجو أن يأتي اليوم الذي تطبق فيه قوانين حماية البيئة من التلوث على جميع الأماكن المغلقة ونرجو أن يكون غير بعيد ■



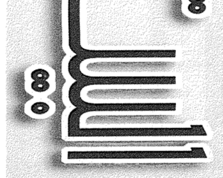
الوعي الإسلامي











إقرأ لهؤلاء

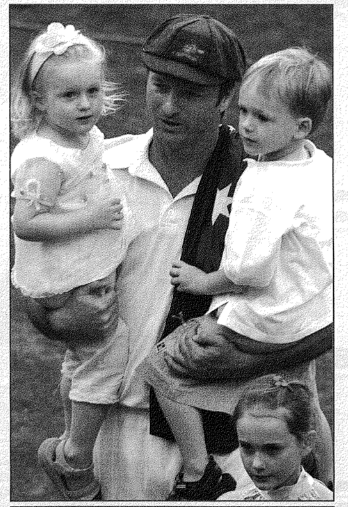
- صفية أحميد الزايد • د. محمد نجيب عوضين المغربي
- المداني عدادي • أسامة أحمد البدر
- نبيلة عبدالعزيز حويحي • د. محمد مصطفى السمري

مداخل وأسرار التعامل مع الأطفال

> يجب دائماً على الأهل إعطاء المثل الجيد للطفل، ولا يتوقع الأهل أن يتصرف أطفالهم في شكل جيد إذا لم يفعلوا هم ذلك، أي في وجهه طوال الوقت أو عدم احترام الآخرين

بقلم:
صفية أحميد الزايد

يشير علماء نفس الطفولة إلى أسرار عدة أو مداخل يمكن اتباعها مع الأطفال لمساعدتهم من دون أن يعلموا، الشيء الذي ينمِّي لديهم روح المسؤولية منذ صغرهم ويقوِّي شخصياتهم ويبنيها بناء



يجب عدم التفريق في المحبة بين الأطفال

سيكولوجياً سوياً.

ومن هذه المداخل التي يجب التركيز عليها عند التعامل مع الأطفال:

١ ـ التفكير دائماً بإيجابية مع الطفل في كل ما يفعل، وتشجيعه عندما يحسن الأداء، وإعطائه ثقة بالنفس إلى أقصى الحدود، لأن ذلك ينعكس إيجاباً على تصرفاته ويجعله يتصرف تلقائياً بطريقة جيدة.

٢ ـ التنويه وتوجيه العبارات الجيدة وتكرارها قدر المستطاع أمامه، عندما يقوم بعمل جيد أو ينفذ ما يطلب منه على أكمل وجه.

٣ ـ تقديم التفسيرات المقنعة قبل إنزال القصاص بالطفل لأي ذنب اقترفه ومهما كان حجمه ونتائجه، ويجب إخباره عن سبب «الزعل» منه، لأن ذلك يغيِّر من تصرفاته ويجعله يفكر ملياً قبل إعادة الكرة ولو كان عمره صغيراً.

٤ ـ يجب جعل الطفل مميزاً، لأن كل طفل يجب أن يكون مميزاً لدى أهله، حتى إذا قام بتصرفات خاطئة يجب إحاطته بالحنان المطلوب، ويمكن تمضية ما بين ١٠ ـ ١٥ دقيقة معه والتحدث إليه عن أمور مختلفة وسؤاله عما فعله خلال النهار والاستماع في

شكل جيد وإبداء الاهتمام اللازم.

٥ ـ يجب دائماً على الأهل إعطاء المثل الجيد للطفل، ولا يتوقع الأهل أن يتصرف أطفالهم في شكل جيد إذا لم يفعلوا هم ذلك، أي في وجهه طوال الوقت أو عدم احترام الآخرين، لذلك يجب أن تكونوا المثال الصالح أمامه، لأن الطفل في النهاية مقلد جيد لأهله في كل ما يفعلونه، وإلى أقصى الحدود.

ويقدم علماء النفس خمسة محاذير أو ملاحظات يجب على الأهل الابتعاد عنها في تعاملهم مع أطفالهم وتتلخص فيما يلي:



الأطفال أمانة في أعناق الأهل

١ ـ يجب على الأهل الاقتناع بأن ضرب الطفل لا يجدي نفعاً بأي شكل من الأشكال، لأنه يمكن أن يعطي نتيجة في اللحظة نفسها، لكن بعد ذلك سيعاود الطفل تكرار ما فعله.

٢ ـ يجب عدم مقارنة الطفل بغيره من الأطفال، وبخاصة تصرفات أشقائه أو شقيقاته الذين يكبرونه في وجه خاص، لأن ذلك يجعله يتصرف في شكل خاطئ وسيئ، ويفقده قوة شخصيته بل يجعله مقلداً سيئاً إلى أقصى الحدود، ما يجعله يحس بالنقص أيضاً.

٣ ـ عند تنبيه الطفل، يجب اعتماد الكلمات الجيدة، وخصوصاً عند انتقاده نتيجة تصرفه في شكل غير لائق، واختيار العبارات المناسبة التي لا تجرح شعوره كأن نقول له: «أنت سيئ جداً وأنت كذا وأنت كذا...»، بل يجب توضيح الأمور له في شكل مبسَّط: «أنا زعلانة منك لأنك قمت بهذا أو...».

٤ ـ يجب الابتعاد عن القصاص القاسي، مع أننا في بعض الأوقات نحتاج إلى تأديب الطفل، لكن يجب الاعتراف بأن «القصاص الزائد عن اللزوم» لا ينفع، لأن ذلك يحمل الطفل على إخفاء ما فعله من خطأ عن أهله أو حتى عن أيٍّ كان، وإذا نجح في ذلك يتمادى في الخطأ في المستقبل، لذلك يجب أن يكون العقاب مقنعاً ومقبولاً.

«القصاص الزائد على اللزوم يحمل الطفل على إخفاء ما فعله»

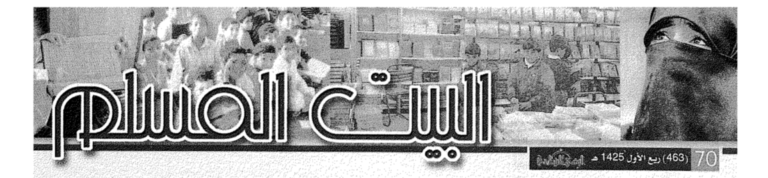
٥ ـ يجب الأخذ بالحسبان دائماً أن تصرف الطفل السيئ ليس خطأه أو خطأ أهله في الوقت نفسه، لأن ذلك شيء طبيعي، وكل الأطفال وقعوا في الخطأ من دون استثناء، لذلك يجب على الأهل عدم لوم أنفسهم إذا ما تصرف طفلهم في شكل سيء في أحد الأيام.

ويجب ألا يكونوا سلبيين في التعامل مع هذا الوضع، بل عليهم دائماً التفكير بإيجابية، والوصول دائماً إلى الحل المقنع في التعامل معه مهما بلغت درجة السوء في تصرفاته ■

المصادر

١ ـ علم نفس الطفولة والمراهقة ـ الدكتور محمد حسين أحمد ـ دار الحداثة ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م.

٢ ـ التعامل مع الأطفال ـ صحيفة المستقبل ـ بيروت ـ السبت ٣٠ أغسطس ـ ٢٠٠٣م.



مظاهر إنصاف الإسلام للمرأة في الميراث


اتقوا الله في النساء

"تركيز المستشرقين الغربيين والعلمانيين انصب على مجموعة من المزاعم بأن الإسلام لم ينصف المرأة"

بقلم:
.محمد نجيب عوضين المغربي


أستاذ الفقه في جامعتي الكويت والقاهرة

تتردد بين الحين والحين.. مزاعم الأدعياء.. وصيحات المهللين، باتهام الإسلام اتهامات زائفة متعجلة، تنقصها الدراسة والتأني والفهم لمجرد المعاني القريبة للتشريع والحكمة منه.

وقد انصب تركيز المستشرقين الغربيين من ناحية، والعلمانيين من ناحية أخرى على مجموعة من المزاعم التي ما فتئوا يرددونها ومن بينها أن الإسلام لم ينصف المرأة في الميراث ولم يسوِّ بينها وبين الرجل.

والحقيقة إن هذه المزاعم بالرغم من ضحالتها وإظهارها للسطحية في الحكم على القضايا الشرعية ركز عليها المستشرقون دون علم كاف بتفاصيلها، وقبل الإلمام بجوانبها.

وبالرغم من أن هناك الكثير من العلماء تعددت ردودهم على هذه المزاعم إلا أن ترديد هذه المزاعم مازال قائماً في ظلم وجهل مفضوحين.

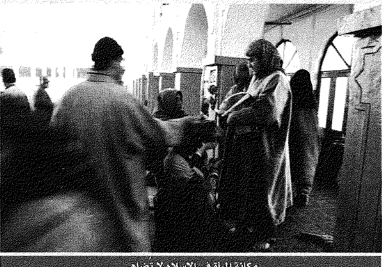
وفي هذه السطور نبيِّن أهم مظاهر إنصاف الإسلام للمرأة في مجال الميراث بخاصة.

أولاً: جاءت بعثة النبي، صلى الله عليه وسلم، والعرب في الجاهلية يحرمون النساء من الميراث مثلهم مثل الأطفال والشيوخ من الرجال غير القادرين على حمل السلاح، فجاء الإسلام وكان من أهم الآيات التي نزلت لتنبه المسلمين لسفه نظام الميراث الجاهلي وتوجيه نظرهم إلى ضرورة الاهتمام بمكانة المرأة في الإسلام واستحقاقها لميراثها مثل الرجل، فكانت آية الميراث العامة قبل نزول آيات أحكام الميراث الثلاث في سورة النساء في الآية ٧... جاء قوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً)، وكانت هذه أول آية تنص على توريث النساء، قبل أن تحدد الفروض المقدرة في الميراث للرجال والنساء.

وقد ترك الناس لبعض الوقت حتى تتهيأ نفوسهم لتقبل الأحكام التي ستنزل في هذا الشأن.

ثانياً: نلاحظ في الآية رقم (١١) من سورة النساء في قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).

وهذه الآية حددت ميراث فروع الميت وهم أبناؤه وأبناء أبنائه وإن نزلوا وبناته الصلبيات وبنات الابن»، وتتحدث هذه الآية عن حال من حالات إرث هذه الفروع وهو الإرث بالتعصيب، وهي واحدة من حالات تعصيب الإناث بالذكور من الدرجة نفسها، ويرث فيها الذكر ضعف نصيب الأنثى... نجد التعبير القرآني الكريم المستهدف بالدرجة الأولى إلى تكريم المرأة، وإبعاد أي فرصة لامتهانها، ويتضح ذلك من قوله تعالى: (للذكر مثل حظ الأنثيين)، أي الرجل له نصيب يساوي نصيب اثنتين من النساء، ولم يقل للأنثى نصف نصيب الرجل مع أن النتيجة في المقدار واحدة، لأن



مكانة المرأة في الإسلام لا تضاهى

> العرب في الجاهلية حرموا النساء والأطفال والشيوخ غير القادرين على حمل السلاح من الميراث

اعتبار الأنثى لها نصف نصيب فيه تقليل وتهوين لشأنها.. بل لها نصيب كامل أي حظ مستقل قائم بذاته، سهم واضح وللرجل ضعفه، حتى لا يُقال المرأة نصف»... فأي بلاغة في التعبير الهادف من لدن العليم الخبير الذي يغلق الباب على كل من يبحث عن الطعون والمزاعم.

ثالثاً: تكريم جديد للمرأة في أحكام وآيات الميراث

فهؤلاء أصحاب الفروض الذين جعل المولى عز وجل وقدر لهم نصيباً مفروضاً يأخذونه قبل غيرهم من العصبات.. وهؤلاء عددهم اثنا عشر صاحب فرض، عشرة من أقارب الدم والنسب إضافة إلى الزوجين، وهم الأب والجد والأم والجدة من الأصول والبنت وبنت الابن من الفروع، والأخت لأم والأخ لأم، والأخت الشقيقة والأخت لأب والزوج والزوجة».

وبالنظر إليهم نجد أن من بينهم ثمانية من النساء وأربعة فقط من الرجال، أليس هذا ضماناً وتحوطاً لنصيب المرأة يجعلها من أصحاب الفروض المقدرة؟، ولم يكن هذا العدد من الرجال، وهؤلاء النساء هم (الأم - الجدة - البنت - بنت الا...... - الأخت لأم - والأخت الشقيقة، والأخت لأب، والزوجة».

رابعاً: «من باب تكريم المرأة أيضاً من الميراث أنها اختصت بأكبر فرض يعطى في الميراث وهو فرض الثلثين، فهو يمنح للبنتين ولبنتي الابن وللأختين الشقيقتين وللأختين لأب»، وهو فرض كبير يستغرق معظم التركة كما ترى.

خامساً: الإسلام عندما جعل في حالات محدودة جداً ميراث الأنثى مع الذكر من درجتها نفسها بنظام التعصيب بالغير للذكر مثل حظ الأنثيين، كما راعى أنه ألقى على عاتق هذا الذكر أعباء والتزامات لغيره ولنفسه ألا تكفيها أبداً هذه الزيادة المحدودة في نصيبه... فالابن عندما يحصل على ضعف نصيب البنت فهو ملزم بتزويج نفسه، والإنفاق على زوجته وأولاده - والأصول الكبار - وعلى البنت لو عادت لمنزل الأسرة مطلقة أو توفي عنها زوجها، بينما البنت يزوجها أخوها بعد أبيها... وتنتقل

تبعة نفقاتها لزوجها.

أما الذكر بما له من قوامة «وبما أنفقوا من أموالهم» وجب عليه ذلك، فالإسلام حينما جعل نصيب المرأة أقل من نصيب الذكر في هذه الحالات كان في منتهى العدل والحكمة - ولو فعل غير ذلك لطبق المساواة الظالمة - معاذ الله - فهو لا يطبق إلا المساواة العادلة، فالعدل أن يُزاد من يكلف بهذه الأعباء - لا أن يعطى ما لا تبعة عليه ولا تكاليف، ولو خيّرت الأنثى أن تأخذ نصيب الرجل مع تحميلها أعباءه وتبعاته ما قبلت.

سادساً: لماذا أغفل هؤلاء الزاعمون وربما جهلوا ولم يعلموا أنه باستعراض حالات ميراث المرأة مع الرجل باستثناء كونها عصبة مع الذكر في ميراث البنات مع الأبناء والأخوات مع الأخوة يأخذ ضعف نصيبها، نجد أن أحوالها لا تخرج عن حالات ثلاث في كل حال عشرات التطبيقات.

أولاً: حالات تتساوى فيها المرأة مع الذكر في ميراثه على قدم المساواة معه مثل ميراث الأخت لأم، مع الأخ لأم، ترث مثل أخيها تماماً لقوله تعالى في الآية ١٢ من سورة النساء: (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث).

ومثل نصيب الأم والأب، فالذكر لا يعصبها بل يساويها كثير كما لو مات عن ابن، وأب، وأم.

فللأب السدس، وللأم مثله السدس، والباقي للابن، وكذا الجد مع الجدة في بعض الحالات.

ثانياً: حالات كثيرة ترث فيها الأنثى أضعاف نصيب الذكر:

كما لو مات عن: بنتين، ١٠ أخوة ذكور أشقاء.

للبنتين ثلثا التركة لكل واحدة ثلثها.

وللعشرة أخوة الثلث الباقي يقسم إلى عشرة أجزاء لكل أخ جزء منه أي عشر الثلث.

> **الإسلام منح الرجل الضعف في الميراث لتحمله أعباء وتبعات وتكاليف الزوجة والأخت والأم**

ثالثاً: حالات تحجب فيها الأنثى رجالاً أشداء فلا يرثون بسببها:

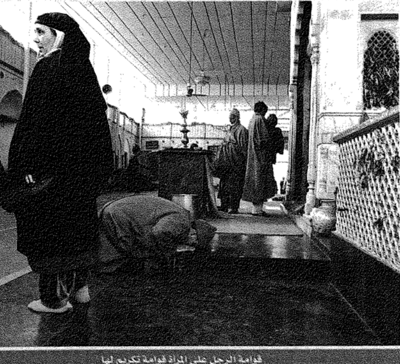
١ - الفرع الوارث المؤنث يحجب الأخ لأم الذكر.

٢ - الأخت الشقيقة إذا صارت عصبة مع غيرها تحجب سبعة من الرجال باعتبارها أصبحت في قوة الأخ الشقيق، فهي تحجب الأخ لأب، ابن الأخ الشقيق وابن الأخ لأب، والعم الشقيق والعم لأب، وابن العم الشقيق وابن العم لأب.

٣ - الأخت لأب: عندما تكون عصبة مع غيرها من الفرع الوارث المؤنث وغياب الأخت الشقيقة تحجب ستة من الرجال.. ابن الأخ الشقيق وابن الأخ لأب، والعم الشقيق، والعم لأب، وابن العم الشقيق وابن العم لأب.

سابعاً: كرَّم الإسلام الرجال بسبب الأنثى في الميراث، فقد فرض الله للإخوة لأم نصيباً مفروضاً في الميراث بالرغم من كونهم من ذوي الأرحام - والأصل أنه لا ميراث لهم من وجود أصحاب الفروض أو العصبات، فجعلهم يرثون تكريماً لأمهم... واستثناهم من أن يحجبوا بها لأنها واسطتهم للميت، وهو ما قرره علماء الفرائض، أن كل من يدلي للميت بواسطة لا يرث في وجود هذه الواسطة إلا الأخوة لأم فإنهم يرثون مع وجود واسطتهم وهي الأم».

هذا قليل من كثير من مظاهر إنصاف الإسلام للمرأة من الميراث فهل اطلع عليه هؤلاء قبل هذا الزعم الجائر... والاتهام الباطل وإلى المزيد من هذه المظاهر في مقالات مقبلة إن شاء الله ■



قوامة الرجل على المرأة قوامة تكريم لها



من وراء حجاب

شعر: المداني عدادي . المغرب

إلى كل أخت مؤمنة أبت أن تُباع في سوق نخاسة العري...

❖❖❖

تيهي حفيدة خولة تيهي

وغُضِّي الطرف أشهل في لجُج الدُّجى

لا يجرمنَّك ما ادَّعوا إفكاً

غواية حاسدٍ

قومي لهم بلسان مؤمنةٍ

وزيٍّ في الذُّرى ما أعذبهُ!

تيهي دلالاً إننا..

من غير طيفكِ في سِنَةْ

قولي لهم:

إن الجمال أمانةٌ

إن لم نَصُنْهُ بعزةٍ...

مَحَقَتهُ أيدٍ أثمةٌ

قولي لهم:

إن الضباعَ طليقةٌ...

والأسِدُ لن تَرُم الحياة بأيكة متعفنة

وتعطَّري، أختاه، بالأذكارِ

في الآصالِ

والأسحارِ

سُنَّة عابدٍ

وتبهرجي بالعلمِ

والأورادِ

والأولادِ

زينة ماجدٍ

ريحانة الإسلام بنت مُحمدٍ

قد صانك المولى، وحصَّن حظَّك

في سفرهِ القدسيِّ خلَّد ذكرك

لا تُنصتي لأبي لهب

فـأُبيُّ هذا العصر أخطر من خلف

من سار في درب التُّقاة له الشرف

ومن اقتفى

أثر الطغاة فقد تلف

أختاه من زرع الشظى،

حصد اللظى

ومن اعتلى عرش المودة والتُّقى..

أمن الأرق

عيناك من غسق، ووجهك من شفق

تالله ما في الكون أعذب من حيائك

حين يهمي فيض نور كالفلق

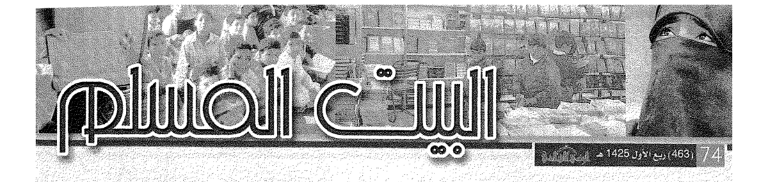
يا طالبي شِيَمَ المحاسن كلَّها،

غُوصوا لها..

فالصبُّ لا يخشى الغرق

فلِمَ الدَّنيَّة - يا تُرى -

والحسنُ في صَدَفِ المحار قد اتسق..؟!



المرأة... بين الغرب والشرق!

بقلم:
أسامة أحمد البدر
الكويت

ليس غرض هذه الدراسة تقصّي ما في بطون كتب الفقه للتعرف إلى أحكام النساء فيها، فلهذا مختصوه المعنيون به... ولا التعرض لإفرازات قوانين الغرب «وقوانيننا الوضعية بالتالي» فيما يتعلق بالمرأة.. إنما النية تنحصر في إجراء مقارنة بين مكانة المرأة من منظور الشرق «من حيث هو مستودع الرسالة السماوية الأخيرة» وبين مكانتها من منظور الغرب «من حيث هو وريث الفلسفات الأرضية المتعاقبة».. وبعد المقارنة ننظر: فإن كان ما عندهم للمرأة خيراً مما عندنا اتبعناهم شاكرين.. وإن تكن الأخرى «ولن تكون إلا كذلك» دعونا لهم - ولمن تبعهم منا - بالهداية والرشاد!.

> وفي منظورنا الديني أن المرأة - البنت - هي أمانة في يد والدها يدخل بها الجنة إذا أحسن تربيتها.. وبالطبع فالعقاب بالنار ينتظره في حال أساء تربيتها..



أسس النظرية الغربية

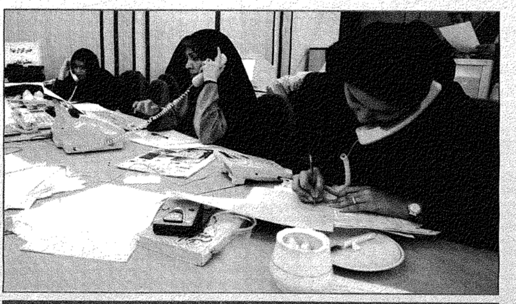
أساس نظرة الغرب إلى المرأة مستمد من مجمل تصور الغرب عن الحياة والوجود، الذي يرى أن الحياة إنما هي الحياة الدنيا وحسب.. وأن غاية ما يطلبه الإنسان في هذه الحياة التي ليس بعدها حياة هو «المتعة».. والمتعة الحسية فحسب.. والمرأة أولى أدوات هذه المتعة مع الخمر وباقي الموبقات بطبيعة الحال!.

ويرون أن السبيل لانتهاب أكبر قسط من المتعة هو المال والحرية.. ويعنون بالحرية تحديداً، حرية الفرد في التصرف في نفسه وماله بما يشاء.. بشرطين اثنين: ألا يقع تحت طائلة القانون فيما يعتبره إضراراً بالآخرين.. وأن يدفع الضرائب المفروضة عليه من أعلى.

في هذه الثلاثية: «المتعة والمال والحرية» طار الغرب ونحن نتفرج، وحلق بعيداً، وأبدع أشياء هي أقرب للخيال.. في الوقت الذي قابل ذلك عندنا - على الأغلب - البؤس والحرمان والاستبداد!.

والمرأة من هذا المنظور مساوية للرجل.. تستمتع بنفسها ومواهبها ومالها بمطلق الحرية، وبالشرطين اللذين ذكرنا آنفاً.

ولأن المتعة لا تأتي إلا بالمال.. فقد نشبت معركة حامية - ولا تزال - للبحث عن المال وجنيه.. ومن أي سبيل.. فأحلت لهم المتاجرة بكل شيء.. كل شيء.. اللهم إلا «المخدرات».. بما في ذلك المرأة نفسها.. أجل فلم يكتفوا بالتمتع بالمرأة، بل تاجروا



تؤدي عملها في كل المواقع وفق الضوابط الإسلامية

بها!.. وصارت سلعة تعتمد عليها كثير من الصناعات عنصراً أساسياً في تكوينها.. فلا تقوم صناعة السينما «والفن عموماً».. والصناعات السياحية.. والدعاية والإعلان.. والصناعات الدبلوماسية.. وحتى الجاسوسية.. هذه كلها لا تقوم إلا على المرأة كسلعة و«شيء» يشكل العنصر الأول والأهم في تكوين هذه الصناعات.. ومن هنا أتت مكانة المرأة الرفيعة!.

وطبعاً رحَّبت المرأة بهذا.. فاعتماد هذه الصناعات عليها «وعلى مواهبها الفطرية في المقام الأول» منحها المال اللازم لمتعتها «الغاية الأولى لكل فرد منهم».. ومنحها الشهرة التي تتوق إليها نفوس البشر.. لا بل منحها السطوة والقوة والنفوذ في أمثلة كثيرة، يوم صارت تمرر عبر «مواهبها» أخطر القرارات!.. وسهَّل عليها دورها الفاتن الجديد انعدام الأخلاق التي تصون... وتفكك المجتمع الأسري والمحلي - بل العالمي - الذي يعيب... والحرية المطلقة الممنوحة لها في أن تفعل ما تشاء ما دامت لا تأتي شيئاً مما يعتبره قانونهم إضراراً بالآخر.. وما دامت تدفع ضرائبها بانتظام!.

إزاء هذا انحصرت رؤية الغرب للمرأة - وبالتالي تكريمهم لها - بما تقدم للرجل من «متعة».. وبما تقدم من مردود مادي.. وهذا لا يصلح له إلا المرأة في سن معينة وبمواصفات محددة.. ووفق مقاييس صارمة.. من اجتازتها فقد فازت.. فازت بالمال والشهرة والأضواء والتكريم.. ومن خانتها مواهبها فلتشتغل بما تشاء.. ولها أن تشقى.. كما يشقى الرجل سواء بسواء - لتحصيل متعتها بالطريقة التي تشاء!.

ويبقى هذا التكريم - تكريم الغرب للمرأة - مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمعنى التجاري الذي يغلف جميع علاقات «القوم» هناك.. لذلك نراه تكريماً نسبياً ومحدوداً بشروط خاصة ولشرائح معينة كما ذكرنا.. وبسن محددة أيضاً.. ومن المهم هنا الالتفات جيداً إلى هذه النقطة بالذات.. السن.. فتكريم المرأة «إن صح أن تسميه تكريماً!» مرتبط ارتباطاً عضوياً بسن المرأة المكرَّمة!.. إذ إن هناك ما يعرف لدى الغرب بالعمر «الافتراضي» للسلعة.. تنتهي صلاحية السلعة بعده وترمى إلى المخازن الخلفية أو تصدَّر كصدقات للدول «النامية»!... والحال مع المرأة مشابه إلى حد التطابق... بمعنى أن المرأة بما أنها غدت سلعة تباع لمن يدفع أكثر.. صار لها عمر «افتراضي» يحدده الذين يدفعون... فمتى انتهى هذا العمر «الافتراضي» فقدت السلعة - المرأة - قيمتها وتكريمها، وقذف بها إلى «مخازن» الحياة الخلفية ليتسع المقام لـ«سلعة» أحدث!.. ولتبقى الأولى زرية مهملة لا تصلح لشيء... اللهم إلا أن تقضي ما تبقى من عمرها وحيدة ضائعة... لا يحسّ بوجودها أحد ولا يعترف بكرامتها قريب أو بعيد!.


الحجاب رمز فخر واعتزاز للمرأة المسلمة

المرأة عند الغرب تكرَّمت نعم... ولكن بقدر ما تستفيد من «مواهبها» في تقديم المتع للرجال... المتع الحسية فحسب، لانعدام شعورهم جميعاً بما هو أسمى من المحسوس... وتكرَّمت نعم مرة أخرى ولكن بقدر المردود المادي الذي يأتي منها... وتكرَّمت نعم مرة ثالثة، ولكن إلى حين... إلى حين ينتهي عمرها الافتراضي كما ذكرنا.

وقبل أن يبادرنا أحد «المتغربين» ليسأل: وهل حال المرأة عندنا في الشرق أفضل؟!.. نقول إن هذه الدراسة وضعت لتقول: نعم.. إن حال المرأة في الشرق أفضل.. أفضل كثيراً!... وإن البؤس الذي تضخم صوره - للأسف الشديد - وسائل الإعلام لدينا «وبخاصة السينما».. إنما هو بؤس عام يشترك فيه الرجل والمرأة على السواء.. وهو بؤس يصيب الرجل أولاً ثم تنعكس آثاره على المرأة ومن في البيت أجمعين.. وأسباب البؤس كثيرة لن ندخل في تفصيلها.. ولكنها تتعلق بوضع «شرقي» عام غير خاضع للسيطرة حتى من أكبر المهتمين بالشأن العام!.

أسس النظرية الشرقية

نستمد منظورنا الشرقي للمرأة من شريعة السماء.. ومن منظورنا تحتفظ المرأة - بنتاً كانت أو أختاً أو أماً - بمكانة رفيعة وتكرّم لاعتبارات ليس للسن وللشكل ولا «للمواهب» دخل فيها.. فالمرأة تكرَّم عندنا - ابتداء - لأنها:

- مخلوق من بني آدم.. هذه هي الشهادة الأولى التي تطالب بها المرأة عندنا لتكرَّم... كيف وقد فرض الله ذلك في الآية ٧٠ من سورة الإسراء: (ولقد كرمنا بني آدم)... هكذا على إطلاق مسمَّى «بني آدم» وشموله للرجال والنساء معاً.

- وتكرم المرأة - في منظورنا - لأنها إنسان جعله خالقه خليفته في الأرض.. كما في الآية ٣٠ من سورة البقرة: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)... وخليفة الله لا يُهان أو يُنتقص... ولا يُذل أو يُستعبد... ولا يُضحي بإنسانيته تحت أي ذريعة أو لأي سبب من الأسباب... وهذا الخليفة هو الإنسان... سواء رجلاً كان أو امرأة.

وفي منظورنا الشرقي المستمد من شريعة السماء، يكرّم الرجل المرأة - الزوجة - باعتبارها:

أولاً: قد خُلقت من «نفس»



الرجل حسب منطوق الآية(١) الكريمة في سورة النساء: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء).. وبالتالي فلا يصح أن ينشأ بينهما تفاضل أو تمايز إلا بمقدار ما يصح أن ينشأ تفاضل بين المرء و«نفسه»!!.

وتستمد المرأة ـ الزوجة تكريمها ـ ثانياً ـ باعتبار أن النساء ـ عموماً ـ «شقائق» الرجال كما جاء في الحديث الشريف.. «والشقيق صنو شقيقه لا يظلمه ولا يتعالى عليه في كل الأحوال»... وتكرَّم باعتبارها ـ ثالثاً ـ ذلك الجنس المتصف بالرقة والحساسية ورهافة الطبع.. ولصفاتها هذه توصي الشريعة بأن تراعي رقتها وحساسيتها وضعفها.. فلا تحمّل مثلما يحمّل الرجل من العنت والضنك في سبيل العيش.. بل تبقى في بيتها معززة مكرَّمة يأتيها رزقها على طبق من المودة والسكينة والرحمة.. وتدلل ويتحبب إليها وتساق إليها الهدايا من الحرير والذهب والفضة مهراً و«عربون» مودة وتقدير.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوصي «وصاياه للمؤمنين أمر» أن: «رفقاً بالقوارير» و«استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان لديكم»، أي أسيرات.. ومن ثم يوصي بأن يتقي كل رجل الله بما لديه من أسير جعله ربه بين يديه.. وفي السيرة النبوية المطهَّرة التي هي قبلة المؤمنين في كل زمان وكل مكان من روائع الأمثلة على صون المرأة ـ الزوجة ـ وحسن رعايتها وتكريمها وتنزيهها عن أن تحمل من الأعباء ما لا تطيق.. فعن عائشة أم المؤمنين روت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في بيته كان يقوم على خدمة أهله.. حتى إذا حضرت الصلاة ترك ومضى.. وفيها أيضاً أنه كان يكرِّم زائرات زوجته ويقوم على ضيافتهن.. بل يكرِّم صديقات «خديجة» أم المؤمنين حتى بعد وفاتها.. هذا ورسول الله هو أشرف الخلق... وهو النبي الداعية ورئيس الدولة.. والقائد العام للجيش.. وبعهدته ما لا يحصى من المهام.. كل هذا وغيره كثير في السنة النبوية.. وبالسنة النبوية يستهدي كل المؤمنين.. وبها يقتدون.. وباتباعها يتقربون من مولاهم ومن الجنة التي إليها يتطلعون!..

وفي منظورنا الديني أن المرأة ـ البنت ـ هي أمانة في يد والدها يدخل بها الجنة إذا أحسن تربيتها.. وبالطبع فالعقاب بالنار ينتظره في حال أساء تربيتها ـ كما ورد في الحديث الشريف من وجوه عدة أنه «من كانت له كريمتان فرباهما فأحسن تربيتهما أدخلتاه الجنة»... وماذا لدى المؤمن أكبر من الجنة حافزاً لأن يلتزم لأجلها بحسن رعاية وتربية ابنته.

ولسنا نجد حجة لسرد ما تتمتع به المرأة الأم من وصايا ديننا الحنيف.. وحسبنا أن ديننا أعطاها ما لم تنله على الزمان كله.. ففي حين خصص لها الغرب ـ وأتباعه منا ـ يوماً في السنة للاحتفال بما سموه «عيد الأم» مثله تماماً مثل «عيد الحب ـ الفلنتاين!»، جعل ديننا العظيم الجنة ـ وما أدراكم ما الجنة ـ «تحت أقدام الأمهات» كما في الحديث الصحيح... وجعل حسن صحبتها من أول أوليات الرجل المؤمن.. ولن نفيض في شرح هذا لأنه صار عند المؤمنين من البدهيات!.. وحسبنا أن نحيل المستزيد إلى أدبياتنا الإسلامية ليلمس بنفسه الكمّ الهائل من الشعر والنثر الذي حفلت به هذه الأدبيات من تمجيد المرأة ـ الأم ـ وتكريمها.. وليس ذلك كله للأب ـ الرجل! الأمر الذي يعكس حقيقة مكانة المرأة في وجدان المؤمن.. أماً وزوجة وبنتاً وأختاً.. حضوراً لا يُشترط له سن محددة.. ولا مواصفات ولا مواهب ولا مقاييس جمال أو غيره بل يتعلق بصفة واحدة.. الإنسانية!.. من اتصفت بها فهي محل تكريم الرجل المؤمن وتقديره ونكاد نقول تعظيمه أيضاً!.

وأخيراً يحلو لنا أن نكمل الحديث عن أمثلة حفاوة الشريعة بالمرأة بالحديث عن تكريمه للمرأة الجدة.. والسبب في تركيزنا على هذا المشهد بالذات ما يحفل به من بر وحنان وعاطفة جيَّاشة نحو الجدة مفقودة لدى الأقوام من غير بني الإسلام... لانعدام المنفعة التي هي «الوقود» الذي يحرِّك القوم هناك!.. وأن هذه العاطفة التي هي من بدهيات حياة الأسرة المؤمنة ما كان لها أن تتولد في نفوس الأطفال لو لم يروا أمامهم صورة حية وصادقة عن عاطفة الآباء وحفاوتهم بالجدة... ومن ثم يكون حب الأطفال لها وعاطفتهم نحوها وبرهم بها انعكاساً لما يقدمه «الكبار» أمامهم نحو الأبوين متى شاخا.. والذي هو بدوره انعكاس لما تؤكد عليه شريعتنا الفذة من البر والتراحم مع الأبوين ومع الجدة بشكل أكثر تأكيداً ويكفي أن نذكر هنا «بالعرس» الذي يشتعل في بيوتنا أياماً متتالية.. والسبب: لقد قبلت الجدة أن تزورنا ليال وأيام عدة!.. وما أكبرها من فرحة وما أحلاه من عيد!... أين منه ما نسمعه عن القوم «هنالك» في «بيوت إيواء المسنين» الذين لا يجدون لهم بيتاً رحيماً يؤويهم لدى ولد ولا ابنة!.. أو عن المسنين الذين توافيهم منيتهم دون أن يدري بهم أحد ـ لا ولد ولا ابنة ولا قريب ـ لتكون نهاية حياتهم الحافلة «بالمتعة» في مقابر الصدقة!.. بل أين منه الصورة المقابلة للمرأة هناك.. وقبل أن تبلغ سن الجدات بكثير.. حين ينتهي عمرها «الافتراضي» كما أسلفنا.. حيث يتدهور بعدها «المنحنى البياني» لتكريمها بصورة تدعو إلى الشفقة.. بعكس ما يكون لدينا، حيث يرتفع «المنحنى البياني» نفسه، ويرتفع من يوم أن ترى البنت فيه الدنيا إلى أن تغادرها وقد سار خلفها مئات ـ بل آلاف ـ الرجال يحملونها فوق الأعناق!.

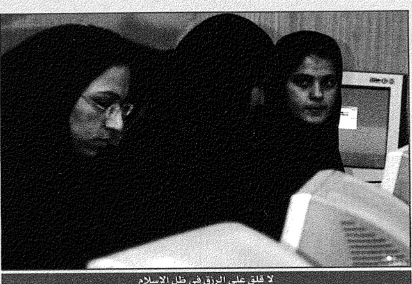

الدين أعطاها ما لم تنله في غيره



المرأة والشرف

بقي أن نجيب هنا من يراوده السؤال الأزلي: وهل واقعنا مطابق تماماً لكل هذا السمو في التشريع؟!.. إذ إنه - يتابع المتسائلون - كثيراً ما تأتي «النظرية» غاية في المثالية، بينما ينحسر التطبيق عن ربع أرباع ما يدعو إليه المثال؟!.. ونقول بكل يقين: إن واقعنا اليوم ومن أول يوم نزلت فيه شريعتنا الغراء، حافل بصور رائعة من البر والتكريم بالمرأة في مختلف مسمياتها.. نعني أماً كانت أو زوجة أو أختاً أو بنتاً... فعندنا - نحن الشرقيين - نشأ بدافع من توجيهات ديننا مفهوم «العرض» الذي لا يحس به الغربيون على الإطلاق... ونعني به حفظ المرأة «بمختلف مسمياتها التي ذكرنا» وصونها وحمايتها أن يصيبها أدنى أذى في نفسها أو مالها أو سمعتها...

هذا الشعور العام لدى الشرقيين المؤمنين يفتقده الغرب.. وهو لدى المؤمنين يكاد يصل إلى التقديس.. ويرتبط في وجدان الرجل المؤمن بعقيدته.. ويرتبط بصدق معنى رجولته هو بالتحديد.. وامتد هذا المفهوم - مفهوم الشرف - ليصل إلى حد التحريم - تحريماً معنوياً - أن يجْبُرَ المرأة ظرف من الظروف على أن تكلف بعمل يخرج بها عن طبيعتها أو لا تطيقه طبيعتها.. إذ سرعان ما يلتفت الرجال بالحدب والرعاية والمرحمة الجماعية صوب هذه الحالة قائلين بصوت واحد: «كيف؟!.. أو لم يبق في الدنيا رجال»!... إن مثل هذا الشعور نحو المرأة لا نجد له شبيهاً في أخلاقيات الأقوام الأخرى... والأهم منه هو ارتباط هذا المفهوم عندنا لا بالأخلاق وحدها، بل بما يقارب العقيدة أيضاً.


لا قلق على الرزق في ظل الإسلام

دور المرأة في الحياة

ويجدر بنا ألا ننسى الحديث عن دور المرأة التي نالت حريتها هناك في الغرب.. ودورها عندنا حيث لا تزال مثقلة بالقيود مثل «الجارية»!.. فنقول إن دور المرأة في الغرب بالمرتبة الأولى جُعل كي تسعى لإعالة نفسها ومن تعلق بها من أولاد هجرهم أبوهم بعد أن هجرها هي نفسها... وهي فعلاً قد نالت حريتها ... بل بلغت درجة من الحرية أن صار بإمكانها أن تفعل ما تشاء... وتنتقل كيف تشاء وأيضاً تستفيد من «مواهبها» بالطريقة التي تشاء وحسب السعر السائد في السوق!.

هذا بينما أعفى الشرق بشريعته الربانية الرائعة المرأة من أن تقلق على رزقها أو رزق «عيالها» أو تسعى من أجل هذا.. وأوجب - ومن اليوم الأول لوجودها الإنساني - على الرجل «أباً كان أو أخاً أو زوجاً أو حتى قريباً» أن يقوم على رعايتها وتأمين اللازم لحياتها هي ومن تعول، وذلك رأفة بضعفها الفطري الذي لا يجوز أن يكلف ما لا يستطيع.. وكذلك لهدف آخر هو تفريغها من كل ما يعيقها عن مهمتها الأساسية التي من أجلها وجدت كزوجة وكأم.. ونعني بها صناعة «البشرية»!... وبالتالي فإن دورها الفطري - المتناسق تماماً مع طبيعتها وأنوثتها - لا يتطلب ذاك «الكم» من الحرية الذي نالته «الغربية» كي تقوم بكفالة نفسها ومن تعول... فلو تشاء المرأة عندنا أطلقنا حريتها كما تشاء... في مقابل أن نسحب منها ذلك «الضمان الأزلي» بأن يأتيها رزقها رغداً من غير عنت ولا قلق ولا بذل نفس!.

القوامة للرجل

بقي أن نقول شيئاً عن: لماذا (الرجال قوَّامون على النساء) النساء:٣٤، ولماذا (وللرجال عليهن درجة) البقرة:٢٢٨، لنجد أن القوامة هنا، والدرجة الإضافية هناك فوق أنها تعني التكليف لا التشريف... فإنها أتت في مقابل «الكم» الكبير من الأعباء الملقاة على عاتق الرجل أعفت شريعتنا السمحة المرأة منه كما أسلفنا... وذلك اعترافاً من شريعتنا الرحيمة بطبيعة المرأة الرقيقة المفعمة بالعاطفة.. فلتنظر المرأة إن كانت تشتهي أن تكون لها هي «القوامة» أو تلك «الدرجة»، على الرجل على أن تقوم بكل المهام التي يؤديها الرجل عنها... ولينظر العقلاء من الرجال أي استقرار سينعم به بيت فيه «رأسان» أو «مديران» أو «قراران».. أو ليخبرنا العارفون بعلم النفس أي حال سوي سينشأ عليه أفراد الأسرة حين تصير المرأة رجلاً والرجل...! ■



قصة قصيرة

أوراق العمر!!

بقلم:
نبيلة عبدالعزيز حويحي

حين ينحني على يدي مقبلاً في حنان وعطف، أتأمله في شيء من الدهشة والفخر وشيء من الغضب... شامخ القامة، مهيب الطلعة، أقرأ في عينيه عناد أبيه واعتزازه بنفسه، ويقلب عقلي أوراق العمر... فأرى أباه ذات ليلة يلقي في وجهي بالقرار الصدمة... سوف يتزوج بأخرى، كرهت في تلك اللحظة كل شيء وامتلأ قلبي وفمي بالمرارة، وثرت في وجهه، اتهمته بالخيانة والجحود، دافعت عن موقفي بأنني لا ذنب لي أن حرمني الله من نعمة الإنجاب... ذرفت الدموع غزيرة لعله يتراجع أو يعدل عن قراره، لكنه كان عنيداً.

وتزوج زوجي بالأخرى... والحق أنه لم يقصّر في حقي، بل زادت عنايته بي وراح يبذل لي العطف والحنان... ونجح في أن يستل ما بداخلي من حنق وغيظ.

ورغم رفضي لها وإحساسي بالمهانة، فإنني كنت أتوق لرؤيتها.. أريد أن أرى تلك المرأة التي تقاسمني زوجي.

ولست أدري كيف طاوعتني نفسي فدعوتها إلى العشاء في منزلي... وجاءت، خجلة واجفة، ورحبت بها إكراماً لخاطر زوجي فانطلقت أساريرها وراحت تملأ الجو مرحاً وبهجة بحديثها العذب الرقيق.

قالت فجأة: أعرف أنك تكرهينني... ولكني أحب أن أكون صديقة وأختاً لك.

ولست أدري كيف تسللت إلى قلبي ملامحها البريئة... كيف صرنا صديقتين وأختين وأمّين، لا أسرار ولا حواجز ولا خوف ولا قلق... صافية مودتنا، عذبة لقاءاتنا، لا تطيق إحدانا فراق الأخرى حتى إنها انتقلت للعيش معي في البيت ذاته الذي أسكنه، وحين رزقها الله طفلاً أحببته ربما أكثر من حبها له... تقاسمنا مسؤوليته ورعايته.. أحسست أنه مكافأة لي ولها ولذلك الزوج الطيب.

وعندما انتقلت تلك الزوجة الوفية الودود إلى بارئها بعد الولادة بأشهر قليلة، كان حزني البالغ على فقدها يتحول إلى حنان بالغ أسبغته على طفلها المسكين... صار قرة عين لي لا أطيق له فراقاً، ولا أرد له طلباً... حتى إن أباه خشي أن يفسده التدليل الزائد عن الحد، فصار يقسو عليه ويشتد في تربيته.

❖ ❖ ❖

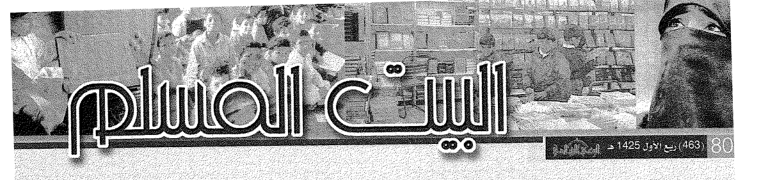
بعد رحيل أبيه.. صار ابناً وأباً وأخاً.. وكنت له بنتاً وأماً وأختاً.

الآن... تسري في جسدي رعدة شديدة كلما تخيلت حياتي من دون هذا الابن البار... ستكون جافة قاسية مملة.

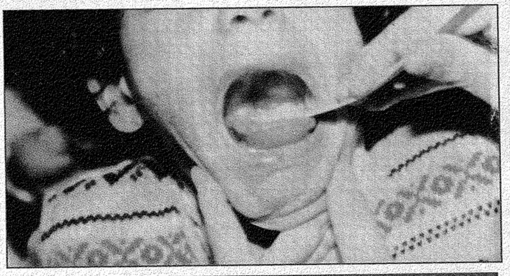


وحين جاء اليوم يزف إليَّ عزمه الزواج بإحدى زميلاته، كدت أثور في وجهه وأتهمه بالجحود كما فعلت مع أبيه من قبل... فكيف تشاركني امرأة أخرى حنانه وعطفه واهتمامه، بل من الممكن أن تشغله عن البر بأمه والعناية بها في شيخوختها... أكاد أنسى حقه الطبيعي في الاستقرار والبناء بزوجة تحبه وتعصمه من الزلل.

يوقظني من شرودي الطويل صوته الحنون الباسم يسألني عن رأيي؟ وتتردد في خلجات روحي كلمات خالقي عز وجل في الآية ٢١٦ من سورة البقرة: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) أقبل جبينه وأنا أدعو له بالتوفيق والسعادة، وأمنِّي النفس بحفدة يملأون البيت مرحاً وضحكاً وبراءة ■



كيف تقين طفلك من مرض الخناق؟


بداية الإصابة بالخناق أو «الدفتيريا» هو ظهور غشاء رمادي اللون يغطي اللوزتين.

> أطلق على هذا المرض اسم «الخناق»، نظراً لتكون غشاء رمادي اللون بالحلق، يضيِّق من اتساع الحنجرة، ويسبب لها انسداداً ميكانيكياً، قد يؤدي إلى اختناق الطفل إذا لم يسعف سريعاً

بقلم: د. محمد مصطفى السمري

الخُنَّاق أو الدفتيريا Diphtheria مرض معدٍ ووبائي خطير، يصيب الأطفال عادة تحت سن الخامسة، ولكن قد يصيب الأطفال الكبار حتى سن ١٥ سنة، والجدير ذكره أن الطفل يولد وعنده مناعة ضد الإصابة بالدفتيريا حتى سن ستة أشهر، بعد ذلك يزداد الاستعداد للإصابة بالمرض.

وهو مرض ينتج من الإصابة بعصيات الدفتيريا في أي فصل من فصول السنة، وهو يصيب معظم أجزاء الجهاز التنفسي العلوي مثل الأنف والبلعوم والحنجرة، ويمكن أن يصيب العين والجلد، ولكن أكثر أنواع الدفتيريا انتشاراً هي دفتيريا اللوزتين.

ولقد أطلق على هذا المرض اسم «الخناق»، نظراً لتكون غشاء رمادي اللون بالحلق، يضيِّق من اتساع الحنجرة، ويسبب لها انسداداً ميكانيكياً، قد يؤدي إلى اختناق الطفل إذا لم يسعف سريعاً، وقد تؤثر سموم عصيات الدفتيريا في عضلات البلعوم والحنجرة والحجاب الحاجز وعضلات ما بين الأضلع فيحدث اختناق للطفل المصاب بسبب عدم قدرته على التنفس.

طرق العدوى

وتنتقل العدوى «مباشرة» من الطفل المريض إلى السليم بوساطة الرذاذ المحمل بعصيات الدفتيريا الذي يتناثر من الفم أو الأنف أو الحلق، كما أن العدوى تحدث بطريقة «غير مباشرة» عن طريق المتعلقات الشخصية للطفل المريض وبخاصة المناشف أو المناديل أو اللعب أو الكتب أو أي شيء آخر يستخدمه الطفل المريض. وقد تنتقل العدوى عن طريق ما يطلق عليه «حامل المرض» Carrier، وهو شخص يبدو صحيحاً سليماً ورغم ذلك يكون حاملاً لميكروب بعض الأمراض ولا تظهر عليه أعراضها... ويلعب اللبن الملوَّث، والذباب، والحيوانات المنزلية، وبخاصة القطط والكلاب دوراً



مـهـمـاً في نقل ميكروبات الدفتيريا من طفل مريض إلى آخر سليم. وتنتقل العدوى كذلك عن طريق «الملامسة» كما في دفتيريا الجروح والعينين. ويكون المريض مُعدياً من بداية المرض حتى سقوط الغشاء الذي يتكون على الحلق أو اللوزتين وحتى تصبح المسحة من الحلق سلبية لعصيات أو ميكروبات الدفتيريا.

صورة المرض

بعد فترة حضانة لعصيات الدفتيريا تتراوح من ٢ ـ ٨ أيام تظهر أعراض على هيئة ألم في الحلق، وصعوبة في البلع، مع ارتفاع درجة حرارة الجسم التي ربما تصل إلى ٣٩. ويسرع نبض الطفل، ويفقد شهيته للطعام، ويقل ميله للعب، ويبدو شاحباً متعباً.

ونظراً لاستقرار ميكروب الدفتيريا في اللوزتين والغشاء المخاطي المحيط بهما، تحدث التهابات حادة للأنسجة السطحية يصاحبها خروج للبلازما وللخلايا من الأوعية الدموية التي بدورها تتمدد وتتسع، وتتجلط البلازما فوق الوزتين وفي سقف الحلق، ومن ثم يتشكل «الغشاء» المميز لمرض الدفتيريا، وهو غشاء لونه رمادي Grey حوافه مرتفعة قليلاً، يوجد على إحدى أو كلتا اللوزتين، ويكون ملتصقاً بالأنسجة التي تحته، فإذا نزع منها يترك سطحاً ينزف منه الدم، ويحتوي هذا الغشاء على كمية كبيرة من ميكروبات الدفتيريا التي تفرز سموماً بالدم ومنه تنتقل إلى أعضاء الجسم مثل القلب والجهاز العصبي مسببة بذلك هبوطاً بالقلب وتسمماً في الدم... ومن هنا جاءت خطورة هذا المرض وخطورة إهمال علاجه سريعاً.

تؤثر مضاعفات مرض الدفتريا بما فيها من سموم على أي عضو من أعضاء الجسم

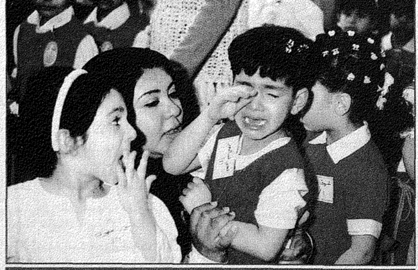
وفي الحالات الشديدة، تزداد حال الطفل خطورة وتدهوراً، وقد تضعف أو تختفي المؤشرات العصبية لديه، ويزداد القيء وشحوب الوجه، ويمتد غشاء الدفتيريا ليغطي جزءاً من آخر الفم والأنف، محدثاً إفرازاً دموياً غزيراً من الأنف والفم، كما تتضخم الغدد الليمفاوية بالرقبة، فتبدو رقبة الطفل قصيرة وغليظة أشبه ما تكون برقبة الثور Bull - Neck.

وتعد «دفتريا الحنجرة أخطر أنواع الدفتريا قاطبة نظراً لأن الغشاء يضيق من اتساع الحنجرة، ويسبب لها انسداداً ميكانيكياً، فلا يستطيع الطفل التحدث ويتكلم كالمخنوق، أو يحدث له اختناق ويظهر هذا واضحاً وخصوصاً عند الأطفال الصغار، ومن هنا قد يكون من الضروري عمل شق في القصبة الهوائية تتيح للهواء أن ينفذ منها.

مضاعفات الدفتيريا

تتنوع المضاعفات التي تسببها الدفتيريا، فقد تؤثر سموم ميكروب الدفتيريا على أي عضو من أعضاء الجسم وبخاصة القلب والأعصاب والكلى وغيرها، وأشهر مضاعفات الدفتيريا هي: الالتهاب الرئوي الشعبي، والتهاب عضلة القلب، وهو من المضاعفات الخطيرة والكثيرة والحدوث، وهو يؤدي إلى هبوط أو فشل القلب.

ومن المضاعفات الخطيرة للدفتيريا حدوث «الشلل الدفتيري» في الأسبوع الثاني أو الثالث من بدء المرض، وقد يؤثر على عضلات البلع والعين والوجه والأطراف، أو يصيب عضلات البلعوم والحنجرة والحجاب الحاجز وعضلات ما بين الأضلع، فيحدث اختناق بسبب عدم القدرة على التنفس نتيجة شلل العضلات المسؤولة عن التنفس، ومن أمثلة الشلل الدفتيري: شلل اللهاه. وفي هذه الحال يتكلم الطفل من أنفه ويرجع السوائل التي يتعاطاها عن طريق أنفه، وشلل عضلات العين، فيصاب الطفل بالحول، وشلل الأطراف، وشلل عضلات الحجاب الحاجز، وعضلات ما بين الضلوع... لذا يجب علاج


تنقل العدوى من الطفل المريض إلى السليم بوساطة الرذاذ الذي يتناثر من الفم أو الأنف أو الحلق

الطفل فوراً في المستشفى، وفي معظم الحالات لا يستمر هذا الشلل طويلاً والشفاء منه مضمون بإذن الله.

العلاج

١ - يجب الإسراع بإدخال الطفل المريض إلى المستشفى... مع تأمين الراحة التامة في الفراش مدة لا تقل عن ٣ أسابيع.

٢ - من المهم جداً إعطاء الطفل المصل المضاد للدفتيريا «وهو مصل غني بالأجسام المضادة القادرة على إبطال مفعول السم الصادر عن ميكروب الدفتيريا» بمعدل ١٠ - ١٠٠ الف وحدة حسب حال الطفل المريض.

٣ - إعطاء الطفل المضادات الحيوية المناسبة، وليكن البنسيلين في كثير من الحالات لكي يعادل تسمم الدم.

٤ - يجب الإسراع في علاج مضاعفات المرض في حال حدوثها وبخاصة الاختناق أو ضيق التنفس، وذلك في أقرب مركز إسعاف أو مستشفى، وذلك لسرعة تنظيف الممرات الهوائية التنفسية وتفادي الاختناق ونقص الأوكسجين عند الطفل.

يجب إعطاء مصل الدفتريا لكل الأطفال المخالطين للمريض

يجب الإسراع بإدخال الطفل المريض إلى المستشفى... مع تأمين الراحة التامة في الفراش

الوقاية

١ - التطعيم الإجباري لكل الأطفال «بالطعم الثلاثي» ضد الدفتيريا والسعال الديكي والتيتانوس (D.P.T) ويتم ذلك بحقنه في العضل على ثلاث جرعات «في الشهر الثاني والرابع والسادس من عمر الطفل»، ثم جرعة تنشيطية بعد ١٨ شهراً، وجرعة منشطة أخرى عند بلوغ الطفل ٦ سنوات.

٢ - يجب عزل الطفل المريض بعيداً عن إخوته في البيت أو زملائه في المدرسة.

٣ - إعطاء مصل الدفتيريا لكل المخالطين للمريض، وسرعة عرض المريض على الطبيب الاختصاصي.

٤ - يجب على الأم الاهتمام بنظافة طفلها الشخصية بكل أبعادها.

٥ - يجب على الأم نصح طفلها بعدم تناول الأغذية والأطعمة والأشربة من الباعة الجوالين.

٦ - غلي اللبن جيداً، ومقاومة الحشرات والذباب بصفة خاصة.

٧ - عدم استعمال أدوات الآخرين وبخاصة المناشف أو الفوط أو المناديل أو اللعب.

٨ - يجب تهوية فصول المدارس، وتجنب الأماكن المزدحمة والسيئة التهوية ■

أهم المراجع

١ - pediatrics / A.S. Abbassy / Faculty of Medicine / Alexandria. 1987.
٢ - Nelson Textbook of Pediatrics.
٣ - طفلك كيف تحميه من الأمراض الشائعة - د.حسين كامل بهاء الدين - مؤسسة الاهرام - القاهرة - ١٩٩٠م.
٤ - امراض الأطفال المعدية - د.محمد صالح معافي - المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس - ليبيا - الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة المجلة على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

• ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهله للكتابة.

- أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.

- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.

- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.

- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.

- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.

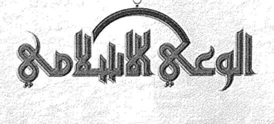
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.

- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.

- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.

- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.

- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.



برامج مفيدة

برنامج Hide Folders XP لإخفاء المجلدات

يساعد هذا البرنامج في إخفاء المجلدات بكل سهولة مع إمكان وضع كلمة مرور للحصول على المزيد من حماية المجلدات عن أعين المتطفلين.

حجم هذا البرنامج ٧٣١ كيلو بايت... رقم النسخة ٢،١، وهذا البرنامج متوافق مع win dows-xp وتوجد نسخة أخرى متوافقة مع widows 95/98 ME والبرنامج يمكن تجربته وهو كامل الوظائف والموقع الرئيس للبرنامج هو: www.tspro.net

كيفية عمل البرنامج

بعد أن تقوم بتحميل البرنامج من خلال موقعه على شبكة الإنترنت وتقوم بتنصيبه في جهازك فإنه يمكنك البدء بإخفاء المجلدات التي ترغبها من خلال الخيار ADD وهو تحديد المجلد، ومساره في جهازك ثم تقوم بإخفائه مباشرة من خلال الخيار Hipe folders VNhiDe - FolDers أو إظهاره لاحقاً من الخيار نفسه، ولوضع كلمة مرور فمن خلال الخيار PASSOWRD والتي يلزم تأكيدها وإعادة طباعتها، وبالنسبة لخيار إضافة كلمة مرور لن يظهر لديك حتى تقوم بتسجيل البرنامج والحصول على نسخة مرخصة، وإذا رغبت لاحقاً في إزالة برنامج من القائمة الرئيسة للبرنامج فمن خلال الخيار رقم REMONE.

والبرنامج يوفر أيضاً المزيد من الإعدادات التي يمكنك الوصول إليها من خلال القائمة العلوية Tools Setting ومنها التأكيد على وضع كلمة المرور عند إزالة البرنامج من جهازك من خلال Ask Password when unistall، كما يمكنك إخفاء معلومات البرنامج عند إزالته من خلال Hide uninstall in-formation كما يمكنك وضع بعض الاختصارات عند فتح وإغلاق البرنامج من خلال Hot kays.

دروس تعليمية في فن الخياطة

من خلال الموقع /http://www.sew-new.com/sewinglessons whats تعرفي على دروس تعليمية في الخياطة، فمن خلاله يمكن الوصول إلى: الدرس الأول الخاص باختيار «الباترون» pattern Selection والدرس الثاني الذي يتناول Layout & Cutting أي المخطط أو التصميم المناسب والقص. والدرس الثالث الذي يتناول Sewing & Press-ing الخياطة والكبس، ثم الدرس الرابع Waist of the skirt الخاص بالتنورة، والخصر، أما الدرس الخامس Hem-ming فهو عن الحاشية حاشية الثوب، ثم دروس في بدء عملية الخياطة، Sleeves & Side Seams الكم ولفق الجوانب، Hem & Shoulder Pads الوسادة الرقيقة للكتف والحاشية ثم Zippers الزمامات المنزلقة «بالعامية السوستة» ثم Sewing the back slit أي خياطة الشق الطولي Waistband and Lining الحزام والبطانة هذه الدروس هي التي يشملها المشروع الأول، ويوجد المشروع الثاني الذي يحتوي على دروس كثيرة أخرى، يمكن متابعتها من الموقع، ويمتاز الموقع بأنه يدعم الناحية التعليمية بالرسوم للأجزاء التي يتحدث عنها، وهي رسوم توضيحية سهلة تعبِّر عن المقصود من الجهة التعليمية.

من أجل قياس سرعة الإنترنت

http://us.ncafee.com/root/speedometer

إن كنت من المشتركين في شبكة الإنترنت، فلابد أنك تتساءل باستمرار ما إذا كانت السرعة التي وعدك مزود الخدمة بالحصول عليها هي فعلاً كما يقول، وحتى لا تستمر حيرتك عليك باستخدام هذه الأداة التي توفرها شركة «ماكافي» المتخصصة في إنتاج برمجيات لأمن الكمبيوتر، ومكافحة الفيروسات ويتم ذلك بقياس معدل سرعة انتقال حجم معين من البيانات من الإنترنت إلى جهاز الكمبيوتر خلال فترة معينة من الزمن.

إعداد: وائل عبدالرحمن



مواقع مفيدة

الأمة
http:www.Ommah.com



موقع تتنوع موضوعاته ومنها: الإعجاز القرآني والأخبار الإسلامية ومكتبة الصور والأفلام الإسلامية، والموقع مليء بالملفات الإسلامية التي تستطيع إنزالها مجاناً مثل برنامج مواقيت الصلاة وصوت الأذان وتلاوة القرآن وبرنامج لتحويل التاريخ الهجري والميلادي.

عيادة الأسنان
asnave.com

موقع صحي يعتني بكل ما يتعلق بصحة الأسنان، فيقدم قاعدة بيانات ممكنة بمجموعة كبيرة من النصائح والإرشادات الطبية والإسلامية لكيفية العناية بالأسنان واللثة وما الطريقة السليمة للمحافظة عليها.

متابعة الأخبار
Johaina.info

موقع متخصص بالتغطيات الإخبارية لأهم وأحدث ما يدور على الساحة، حيث يقدم متابعة لأبرز القضايا العربية، ويمكن متابعة الأخبار بعد التسجيل المجاني بالموقع، حيث يتم إنشاء حساب خاص لكل زائر لتغطية الأحداث التي تتهمه شخصياً.

قراءة مجلة الكمبيوتر
http://www.rainbow - Soft. Com/html/01/puboo.html

يمكنك قراءة مجلة الكمبيوتر عرب تشب وهي مجلة عربية تعني بشؤون الكمبيوتر والتكنولوجيا في الوطن العربي والعالم، وتتعرف من خلالها على: الدراسة في المنزل - ويندز ٢٠٠٠ - احفظ بياناتك على شرائط ممغنطة - الطبخ مع الكمبيوتر - مشكلات الذاكرة - أسئلة وأجوبة - برنامج رسوم للأطفال - القفل الذكي - المؤتمرات الفيدوية - أفكار مفيدة في الويندوز، وعرض لكاميرات خاصة للنت، مثل Pace Colour Video Camera PCI وأخرى Kodak Dvc323 والكاميرا ViaTV.



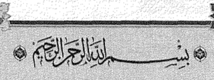
موسوعة www.55a.net



رغم تصميمها البسيط، إلا أنها زاخرة بالمحتوى، وفي أقسامها السبعة تستعرض الموسوعة الإعجاز العلمي والطبي والتاريخي والكوني وذلك الظاهر في مجالات أخرى حولنا، وذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، عبر تفسير جوانب العلم وتدعيمها بوجهة النظر القرآنية أو النبوية الواردة في السنة المطهرة.

من أخبارا لإنترنت

- اقترح الاتحاد الأوروبي توجيه ما يزيد على ثلاثين مليون جنيه استرليني لمحاولة تأمين شبكة الإنترنت أمام الأطفال.
- أنجزت الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي مشروع المكتبة الرقمية لمطبوعاتها، ويمكن لزائر شبكة المعلومات «الإنترنت» تصفح مطبوعات الأمانة العامة بيسر للإفادة منها من دون تكلفة مالية عبر موقعها الرئيس على الشبكة: w.w.w.gcc-sgorg
- قال الأمين العام للاتحاد العربي للمعلومات: إن المحتوى العربي على الشبكة العالمية للمعلومات يمثل أقل من ١٪، ولا يعبر عن توصيف العرب على الساحة الدولية على الرغم من أن نسبة عدد السكان العرب تمثل ٥٪ من عدد سكان العالم.
- تعكف سلطات الخدمة الاجتماعية في بريطانيا على إعداد قاعدة معلومات الكترونية مرنة، تتضمن أدق التفاصيل عن الحياة الشخصية والعائلية، لأي طفل في بريطانيا من لحظة ولادته وحتى بلوغه سن الثامنة عشرة ومن المتوقع أن يعلن هذا المشروع ضمن قانون الطفل الذي طرح على البرلمان البريطاني أخيراً.
- ذكرت الإحصاءات أن معدل النمو السنوي لاستخدام الإنترنت في الكويت يتراوح بين ١٥ - ١٩٪ وهي المعدلات نفسها في الدول المتقدمة.
- أصبحت ١٠٪ من العلاقات الزوجية في بريطانيا على شفير الانهيار بسبب الانترنت الذي سهل عملية التعارف بأشخاص جدد مشجعاً بذلك بعض الناس على التخلص من شركاتهم.



﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴿ وإن يكذبوك فقد كذَّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾

فاطر: ٢٤-٢٦.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وعند الله تجتمع الخصوم

حبس الحجاج رجلاً ظلماً فكتب الرجل إليه رقعة جاء فيها، قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بيِّنة، وذيلها بهذه الأبيات:

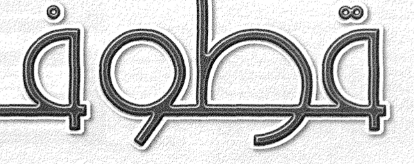
ستعلم يا نؤوم إذا التقينا
غداً عند الإله من الظلوم
أما والله إن الظلم لؤم
وما زال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس
أداموه وينقطع النعيم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم

اتدعوني باسمي

قيل: صاح أعرابي بالمأمون:
يا عبدالله يا عبدالله.
فغضب المأمون منه وقال:
أتدعوني باسمي؟
فقال الأعرابي: نحن ندعو الله باسمه، فسكت المأمون وقضى حاجته، وأنعم عليه.

فاصنع ما أحب الله

غضب عبدالملك بن مروان على رجل، فقال: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا، فلما صار بين يديه قال له: يا أمير المؤمنين، قد صنع الله ما أحببت، فاصنع ما أحب الله، فهدأ غضبه وعفا عنه، وأمر له بصلة.



إعداد:
أحمد عبدالجبار

قيام الليل من صفات المخلصين

امنع جفونك أن تذوق مناماً
وأذر الدموع على الخدود سجايا
واعلم بأنك ميت ومحاسب
يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه
فرضى بهم واختصهم خداما
قوم إذا جن الظلام عليهم
باتوا هنالك سجداً وقياماً
خمص البطون من التعفف ضمراً
لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

قل ولا تقل

قرأت عن موت فلان في صفحة الوفيات ولا تقل الوفيات، لأن جمع وفيه وفيات، وهي صفة المؤنث، أما جمع وفاة: وفيات.

أمثال عالمية

- يستحيل الوقوف في هذا العالم دون الانحناء أحياناً

«مثل ياباني».

- الكلام لا يسدد الديون

«مثل إنجليزي».

- أن تضيء شمعة صغيرة خير من أن تلعن الظلام

«مثل صيني».

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو ربية

أفقياً:

١ - من دول يوغوسلافيا السابقة.
٢ - حبوب القهوة - من الخضرة يشبه السبانخ.
٣ - مفردها واحة - مفردها جنينة - قطعة من حلي النساء.
٤ - وحدة وزن قديمة - نعم بالإنكليزية - من أشهر فنون البدويات.
٥ - فراق - للتخيير.
٦ - مدينة فلسطينية ساحلية - مصيف سوري شمال اللاذقية.
٧ - أهم مدينة في جنوب لبنان - ثلثي رمق - فعل الأمر من وَفى.
٨ - للنفي - ثلثا عون - دولة عربية - متشابهان.
٩ - من عندي - ضمير الغائبين - غالب قوت أهل الكويت والخليج.
١٠ - فاكهة لذيذة - للتعريف - غزال له قرنان متشعبان.
١١ - للنداء - أسير بلا هدف - حديدة يخبز عليها أهل الكويت الرقاق.
١٢ - متشابهات - متشابهات - اسكت «اسم فعل أمر».
١٣ - مخيم للاجئين الفلسطينيين قرب نابلس - بين اثنين.
١٤ - نظري.
١٥ - الأوطان - ضد حلو - نراه في السماء قبل الرعد.

رأسياً:

١ - أكبر منطقة زراعية جديدة في مصر - للنفي.
٢ - ثلثا ساق - للاستفتاح - من حروف الهجاء.
٣ - منطقة للاصطياف في جنوب غرب السعودية - من دون أل - واحد الفنون - للنفي - نار.
٤ - جمعها أنياب ونيوب - جالس.
٥ - من أهل السبت - تتخدع به السمكة.
٦ - نونان - قوم من سورية - متشابهات.
٧ - هاد «مبعثرة» - من الكماليات في شهر رمضان باللهجة المصرية.
٨ - نعاس أو نوم - أساس - يظهر كما يظهر الهلال.
٩ - للاستفتاح - تعامل معه.
١٠ - الماضي من يلقى - مجموعة من قطع الخبز - جدار عازل أو فاصل.
١١ - من أعضاء مجلس الأمة - اسم إنسان مشتق من اليسر.
١٢ - نضع عليه ما لا يلزمنا الآن - مدينة أميركية شهيرة - متشابهان.
١٣ - نصف عسعس - منزل الملك.
١٤ - قامة - أمور طارئة مستعجلة - عبودية.
١٥ - جروح خفيفة جداً في الجلد - نجح - حزني.

حل العدد السابق



أما آن لشبه القارة الهندية أن تتعافى من مرضها؟!

"يبدو أن الأوضاع السياسية في شبه القارة الهندية آخذة بالتطور نحو الأفضل، صحيح أن من السابق لأوانه التفاؤل كثيراً في هذا المجال، لكن المؤشرات كلها تؤكد صحة هذا الاستنتاج."

إعداد: عبدالمنعم أحمد



فقد وافقت الهند وباكستان في الآونة الأخيرة على عقد محادثات سلام رسمية حول نزاعهما المستمر منذ عقود على «كشمير»، الإقليم الجبلي الجميل الواقع في جبال «همالايا» الذي تطالب به كل منهما.

ويمكن لهذا التطور المهم جداً الآن أن يكون أساساً لسلام إقليمي تنعم به أجيال المنطقة في المستقبل.

وفي أفغانستان، أمكن تبني دستور جديد يضع هذا البلد، الذي سادته الفوضى لعقود عدة، على طريق السلام والديموقراطية، ولا شك أن الثمن الذي دفعه الأميركيون في ٢٠٠١/٩/١١م يجعلهم معنيين بإحلال الديموقراطية في أفغانستان.

ومن الواضح أن الهند دخلت للتو في ما يصفه بعض المحللين بـ«السنة الذهبية» بعد أن شهدت الكثير من التطورات المفيدة، بدءاً من الانتعاش، الذي طرأ على سوق الأسهم المالية، إلى الأمطار الموسمية الرائعة التي ساعدت المزارعين كثيراً، صحيح لا يزال هناك الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لكن تفاؤل الهنود بمستقبلهم لم يكن أبداً أكبر مما هو عليه اليوم.

أما باكستان، فإنها تتحرك الآن نحو استقرار أكبر أيضاً بعد الاتفاق الذي سيتنازل بموجبه الرئيس «برويز مشرف»، حاكم البلاد العسكري، عن منصبه كرئيس للجيش في نهاية هذه السنة، ويبدو أن «مشرف» أدرك أخيراً أن عليه أن يواجه بقوة المتطرفين الدينيين - بعضهم داخل مؤسسته العسكرية - الذين يؤيدون الإرهابيين ويوفرون لهم الملاذ الآمن.

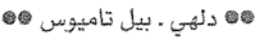
وكان «مشرف» قد نجا من محاولتي اغتيال استهدفتا حياته في الفترة الأخيرة بعد أن جدد التزامه بالبقاء حليفاً لأميركا في الحرب على الإرهاب، وتعمل «الهند وبنغلاديش» الآن لوضع حد لعقود من الصراع على الحدود راح ضحيته نحو ٢٥٠ شخصاً خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

وبالرغم من أن «بنغلاديش» لا تزال بلداً فقيراً إلا أنها بدأت تصبح لاعباً مهماً وبناء في المنطقة، إذ ستستضيف العام ٢٠٠٥م التجمع التالي لرابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي.

بل في «التيبت»، التي لا تزال منطقة غير مستقرة، حض زعيمها «الدالاي لاما»، الذي يعيش في المنفى، المسؤولين على إجراء «حوار مفيد» مع الصين التي تحكم هذا البلد.

بيد أن الأخبار السيئة المقبلة من «سريلانكا ونيبال»، تغطي الأخبار الطيبة، فانقسام حكومة «سريلانكا» بشدة على نفسها يعرِّض الهدنة مع ثوار «نمور التاميل» للخطر، ومعروف أن أكثر من ستين ألف شخص ماتوا خلال العقود الثلاثة الماضية نتيجة للصراع العرقي الدامي مع النمور، الذين يحاربون من أجل إقامة وطن منفصل عن «سريلانكا» للأقلية «التاميلية» فيها، ويثير «الماويون» في نيبال الكثير من المشكلات في البلاد لدرجة دفع البنك الدولي للتحذير أخيراً من احتمال انهيار «نيبال» كدولة.

لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن شبه القارة الهندية تحتضن أكثر من مليار و٤٠٠ مليون إنسان، تبين لنا أن كل ما يحدث فيها يمكن أن يؤثر بشكل متزايد في بقية دول العالم بما فيها الولايات المتحدة، ويكفي القول: إنه حينما يجري المواطن الأميركي مكالمة هاتفية ما للحصول على مساعدة خاصة بالكمبيوتر، يأتي الرد في أغلب الأحوال من الهند، التي تمتلك قاعدة قوية للصناعات التكنولوجية المتطورة، إن لدى شبه القارة الهندية مستقبلاً مشرقاً بالتأكيد، لذا حان الوقت لمساعدتها في تحقيق آمالها وأحلامها.


دلهي - بيل تاميوس

الشرق الأوسط 2004م آمال تتجدد

هناك الكثير من الأحداث التي يمكن أن نشهدها على حلبة الشرق الأوسط هذه السنة، فأسعار النفط عالية، و«صدام حسين» قابع وراء القضبان، وبينما يقول «معمر القذافي» إنه على استعداد لوقف برامج أسلحته غير التقليدية، ويتحدث «أرئيل شارون» حول إغلاق بعض المستوطنات، والانسحاب من بعض الأراضي في غزة والضفة الغربية.

ويبدو أن السلطات في المملكة العربية السعودية تتخذ خطوات جادة في التصدي للإرهاب، أما الإيرانيون فقد تعهدوا بفتح منشآتهم النووية أمام التفتيش الدولي.

لكن على الرغم من كل هذا، علينا ألا نسترسل في الآمال لأن التطورات المفاجئة في الشرق الأوسط غالباً ما تؤدي إلى الشعور بخيبة الأمل، لذا من الحكمة توقع القليل من الأحداث السارة فيه العام ٢٠٠٤م، ولنبدأ بالنفط.

من الواضح أن أسعار هذه المادة الحيوية ستبقى مرتفعة العام ٢٠٠٤م لأن الانتعاش الاقتصادي العالمي سيزيد الطلب على النفط، ولما كان معدل النمو الاقتصادي في الصين سيصل إلى ١٠٪ هذه السنة، فلن يتوقف بحثها عن البترول أبداً، ويعني قرار روسيا أنها ستحاكم ملك النفط «ميخائيل خودوروكوفسكي» رئيس أكبر شركة نفطية في البلاد، أن الدولة - أي الرئيس «فلاديمير بوتين» - هي التي ستقرر مدى إنتاج النفط وليس قوى السوق، ولما كان «بوتين» يسعى لزيادة عائدات النفط الروسي لأقصى درجة ممكنة، سيعمل الآن على إبقاء الأسعار مرتفعة بدلاً من إغراق السوق العالمية بالنفط الروسي، كما كان يريد «خودوكوفسكي» أن يفعل.

ويحدث هذا في وقت لن تتدفق فيه الكثير من واردات النفط من الخليج أيضاً، فإنتاج العراق سيزداد ببطء لتردد شركات النفط الدولية في الارتباط بالتزامات حقيقية ما لم يتأكد الاستقرار وتوقع الحكومة العراقية الشرعية عقوداً نفطية جديدة، كما أن الفائض الناتج من الدول المنتجة في العالم الآن، الذي يقدر بأكثر من مليون برميل بقليل في اليوم، لا يعتبر كافياً لدفع الأسعار إلى الهبوط.



بيد أن ارتفاع الأسعار وهو خير ضمان لاستمرار مشكلات الشرق الأوسط، فالثروة النفطية تستطيع إحلال الاستقرار السياسي، لكن هذا غالباً ما يكون على حساب اقتصاد السوق، إذاً لماذا التفكير ببدء عمل تجاري مادام هناك طريق أكثر سهولة للحصول على الثروة وهو زيادة سعر النفط؟

ويمكن القول أيضاً: إن العائدات النفطية الكبيرة لا تتفق والديموقراطية، فحينما تستحوذ الحكومة على السلطة، وعلى كل العائدات النفطية لا يعد بمقدور المجتمع أن يفعل إلا القليل لزيادة دوره في السلطة.

كما أن كل الأنظمة اللاديموقراطية في المنطقة - باستثناء تركيا وإسرائيل - مسؤولة عن الفساد القائم في الشرق الأوسط، وستبقى سلطوية هذا العام.

ولا شك في أن أسر «صدام» في العراق يعزز الروح المعنوية للقوات المسلحة الأميركية، وأجهزة الاستخبارات العاملة هناك، ويشجع العراقيين العاملين مع أميركا من أجل بناء عراق جديد، وستحقق أجهزة الاستخبارات المنظمة حديثاً المزيد من النجاح في التصدي للمتمردين، وسيسلم الرئيس «بوش» السلطة لحكومة عراقية، من نوع ما، قبل نوفمبر، ويسحب عدداً مهماً من الجنود الأميركيين من العراق.

وفي إسرائيل، بدأ رئيس الحكومة «أرئيل شارون» ونائبه «إيهود أولمرت» استراتيجية جديدة على أمل تخفيف الضغط الأميركي على حكومته، وزيادة أمن إسرائيل، فقد هدد القيادة الفلسطينية بأنها ما لم تدخل بمفاوضات جادة حول «خريطة الطريق» الأميركية لإحلال السلام، فستعمل إسرائيل على إيجاد حقائق جديدة على الأرض، ويعني هذا بالنسبة للفلسطينيين تعدياً على حقوقهم في إقامة دولة خاصة بهم على أراضي غزة والضفة الغربية.

لذا، من المشكوك فيه أن يستجيب عرفات بشكل إيجابي للمبادرات الإسرائيلية، ومن المشكوك فيه أيضاً أن تستطيع الولايات المتحدة ممارسة الضغط بشكل مفيد على إسرائيل أو الفلسطينيين في سنة الانتخابات الراهنة، وعلى الرغم من تعهد إيران بفتح أبوابها أمام التفتيش الدولي.

●● شيكاغو تريبيون ●●

إعداد : التحرير

الكويت: تعداد السكان زاد على ٢,٥ مليون نسمة نهاية العام ٢٠٠٣

تفيد آخر إحصاءات السكان والعمالة الصادرة عن الهيئة العامة للمعلومات المدنية إلى أن تعداد السكان الإجمالي في الكويت بلغ نحو ٢,٥٤٧ مليون نسمة في نهاية العام ٢٠٠٣م، وبزيادة تبلغ ٢,٥٪ عن مستوى نهاية العام ٢٠٠٢م، وتعتبر هذه الزيادة الموجبة والعالية هي الثالثة على التوالي منذ نهاية العام ١٩٩٨م، وكان إجمالي تعداد السكان قد حقق نمواً موجباً بلغ ٤,٨٪ في العام ٢٠٠٢م، ونمواً مماثلاً بلغ ٤,١٪ للعام ٢٠٠١م، بعد أن حقق نمواً سالباً بلغ ١,٧٪ في العام ٢٠٠٠م، ونمواً سالباً آخر بلغ ٠,٧٪ في العام ١٩٩٩م، ويعتبر حجم السكان الحالي هو الأعلى على الإطلاق.

وقد بلغ إجمالي تعداد العاملين في الكويت نحو ١,٤٦٦ مليون عامل، أو ما نسبته نحو ٥٧,٦٪ من مجموع السكان، وبينما تبلغ تلك النسبة للكويتيين نحو ٣٠,١٪ من إجمالي تعداد السكان الكويتيين، وبلغت نسبة قوة العمل الكويتية من مجموع تعداد العاملين في الكويت نحو ١٩,١٪.

إسرائيل تمتلك ٨٢ سلاحاً نووياً

جاء في كتاب صدر حديثاً، أن إسرائيل تمتلك ٨٢ سلاحاً نووياً، ويلقي الكتاب الذي يحمل عنوان «حرب رامسفيلد»، نظرة على الصراع بين وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد» ومستشارة الأمن القومي «كونليزارايس» بشأن السيطرة على الحملة العسكرية في العراق.

ويشير الكتاب الذي ألفه «روان سكرابورو» مراسل صحيفة «واشنطن تايمز» في وزارة الدفاع، إلى أن الصواريخ النووية الصينية ستزيد من ٤٠ صاروخاً إلى ٢٢٠ صاروخاً في غضون العشرين سنة المقبلة.

سكان مصر تجاوزوا ٧٠ مليوناً ونصف المليون

أعلن مسؤول مصري أن تعداد سكان مصر تجاوز ٧٠,٥ مليون نسمة، في الأول من يناير ٢٠٠٤م، فيما تضاعف السلطات تحذيراتها من تزايد تعداد السكان بنسبة كبيرة.

وقال اللواء «إيهاب علوي» رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، خلال مؤتمر صحافي: إن إجمالي تعداد سكان مصر في الداخل والخارج بلغ في الأول من يناير (٧٠٥٤٨٧١٨) نسمة، وأوضح في التصريحات التي نقلتها وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية، أن تعداد المواطنين المصريين المقيمين في الخارج بلغ نحو مليوني نسمة.

وقال المسؤول: إن النمو السنوي بلغ معدل ١,٣ مليون نسمة تقريباً.

ووصل تعداد سكان مصر في الأول من يناير ١٩٩٣ إلى ٥٨٩٨٧٠٠٠ نسمة.

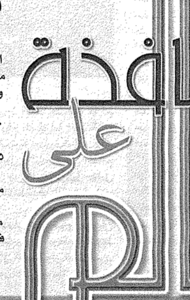
٣١ مليون مراهق عربي نصفهم في مصر

قال مدير مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوتر»: إن تعداد المراهقين في الدول العربية العام ٢٠٠٠م بلغ ٣١ مليوناً ربعهم في مصر، و١١٪ في الجزائر والسودان، و١٠٪ في المغرب و٨٪ في العراق، ويتوقع التقرير أن مجموع تعداد المراهقين في الدول العربية العام ٢٠٢٠ سيبلغ نحو ٤١ مليوناً أي ما يقارب ضعف عددهم العام ١٩٩٠م.

ويشير التقرير إلى أن نسبة المراهقين إلى تعداد السكان في حدود ١١,٥٪، ومن المتوقع أن تتراجع النسبة إلى ٩,٩ في العام ٢٠١٠م.

أما في العام ٢٠٢٠م، فيتوقع أن تكون نسبة المراهقين ٩,٧٪ من مجموع السكان في الدول العربية.

وجاء في التقرير أيضاً، أن نسبة المتزوجات بين المراهقات في مجموع الدول العربية يتراوح بين ٩٪ و١٧٪، أما المتزوجون المراهقون في الدول العربية، فتتراوح نسبتهم بين ١٪ إلى ٣٪.



معظمهم من صفوة المجتمع

١٤ ألف بريطاني يعتنقون الإسلام

كشفت مصادر بريطانية أن ١٤ ألف بريطاني، معظمهم من صفوة المجتمع، ومن الطبقات المثقفة العليا، «اعتنقوا الدين الإسلامي»، وقالت صحيفة «الصنداي تايمز» إن الاستطلاع الذي أجراه «يحيى بيرت» واسمه السابق «جوناثان» قبل اعتناقه الإسلام، وهو نجل اللورد «بيرت» المدير العام السابق لهيئة الإذاعة البريطانية «بي. بي. سي» كشف أن معظم معتنقي الدين الإسلامي الحنيف من كبار ملاك الأراضي أو من المشاهير أو من الأثرياء أو من نجوم المجتمع.

وقدم «يحيى بيرت» الحاصل على الدكتوراه من جامعة «أوكسفورد» دراسة حول «التحول من المسيحية إلى الإسلام بين البريطانيين البيض».

ويعتبر كثير من البريطانيين «يحيى بيرت» بمثابة «مالكوم إكس» الأميركي الذي تحول إلى الإسلام في الولايات المتحدة، ويقول «بيرت»: إنه لم تكن هناك أسباب جوهرية قوية دفعته إلى اعتناق الإسلام، ولكنه أعجب بالحياة اليومية للمسلمين في عقائدهم الدينية وطريقة تعاملهم، وضمن صفوة المجتمع البريطاني ممن اعتنقوا الإسلام في غضون الأعوام الماضية «إيما كلارك» حفيدة رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، واسمه «هربرت اسكوث»، و«ايماكلاك» المهندسة التي صممت الحديقة الإسلامية في قصر ولي العهد البريطاني الأمير «تشارلز» في منطقة «غلوستر شاير»، وهي تشغل حالياً بتصميم حديقة مسجد في منطقة «ووكنغ» في مقاطعة «ساري»، ويقول «يحيى بيرت»: هناك كثير من نجوم المجتمع البريطاني الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، ولكنهم يتخوفون من الحديث عن التغييرات التي طرأت في حياتهم خوفاً من التأثير السلبي لذلك على عملهم وارتباطاتهم بالمجتمع، وهناك من دخلوا الإسلام بعد الاقتران بمسلمين أي عن طريق الزواج، مثل النجمة «كريستين بيكر» الخطيبة السابقة لنجم لعبة «الكريكيت» «عمران خان».

مصر: مطالبة بإزالة ١٩,٧ مليون لغم

أكدت ندوة «مكافحة الألغام وحماية البيئة» التي نظمتها أخيراً جمعية تكنولوجيا البيئة برئاسة الدكتور «محمد الناظر»، ومشاركة عدد من خبراء البيئة والصحة والمتخصصين في الألغام أن الصحراء الغربية في مصر تحوي نحو ١٩,٧ مليون لغم منذ الحرب العالمية الثانية بحسب تقارير الأمم المتحدة وتهدد هذه الألغام حياة المواطنين المصريين، فضلاً عن أنها تحتل مساحة تصل إلى أكثر من ٩٪ من أرض مصر.

عدد العاطلين في العالم العربي سيصل إلى ٢٥ مليوناً العالم ٢٠١٠م

أكد رئيس الاتحاد الكشفي للبرلمانيين العرب وعضو مجلس الأمة الكويتي «ناصر الصانع»، أهمية دور الشباب العرب في دفع عجلة التنمية في مجتمعاتهم.

وقال «الصانع» - على هامش مشاركته في الاجتماع العالمي الأول لرؤساء الجمعيات الكشفية: إنه لابد من الاهتمام بالشباب حتى يتمكنوا من القيام بدورهم في مجتمعاتهم.

وأشار إلى ما ذكره تقرير صندوق النقد العربي أنه حتى لو عادت كل رؤوس الأموال العربية المهاجرة فلن تكفي لخلق فرص عمل للشباب العربي في ظل استمرار المعدلات الحالية للبطالة، مشيراً إلى أن عدد العاطلين عن العمل سيصل إلى نحو ٢٥ مليون عاطل في الدول العربية العام ٢٠١٠م.

وأوضح أن ثلث سكان المنطقة يعيشون على أقل من دولارين في اليوم، وأنه حتى يمكن تحسين مستوى المعيشة لابد من زيادة النمو الاقتصادي أكثر من الضعف للمستوى الحالي ليصبح ٦٪ مقارنة بالوضع الحالي والبالغ ٣٪.

البنوك الإسلامية مدعوة للابتكار

أكد اقتصاديون أن مستقبلاً جيداً مازال ينتظر العمل المالي الإسلامي بشكل عام على جميع المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، غير أن هؤلاء ربطوا قدرة المؤسسات المالية الإسلامية على استغلال الفرص المتاحة لها ومواصلة نموها السريع بحسن تصرف القائمين على تلك المؤسسات في الإدارة والابتكار والتطوير.

وشدد الخبراء الاقتصاديون في أوراق عمل تقدموا بها للمؤتمر المصرفي الإسلامي الأول الذي عقد في الكويت يوم ٢١/٣/٢٠٠٤م، تحت رعاية محافظ بنك الكويت المركزي الشيخ «سالم عبدالعزيز الصباح»، على أهمية دور المصارف الإسلامية في تمويل عملية التنمية الاقتصادية، مشيرين إلى أن المصارف الإسلامية أقدر وأنسب من المصارف التقليدية في تمويل التنمية التي تحتاج إلى تمويلات طويلة الأجل لفترات تصل إلى ٣٠ عاماً.

وأكدوا مجدداً أن المستقبل جيد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال البنوك الإسلامية... وأن هذا الدور سيتعمق أكثر مع ازدياد عمر هذه البنوك، حيث يظل هذا الدور محدوداً نسبياً نظراً لقصر عمر البنوك الإسلامية قياساً بالتقليدية.

ولفتوا إلى أن المصارف الإسلامية لاتزال تحتاج إلى المزيد من الابتكار في أدواتها المالية، وخدماتها لفتح قنوات جديدة تستوعب توظيف سيولتها.

رئيس البنك الإسلامي: قدمنا مليوني دولار مساعدات إنسانية و٥٠٠ مليون دولار أخرى لدعم المؤسسات العراقية

قال الدكتور «أحمد محمد علي» رئيس البنك الإسلامي للتنمية على هامش اجتماع المؤتمر الاقتصادي الدولي في مدينة «موستار» البوسنية الذي أنهى أعماله يوم ٢٦/٢/٢٠٠٤م، أن «البنك قدم مساعدات كبيرة للعراق تمثلت في مساعدات إنسانية بقيمة مليوني دولار، ويتم تنفيذها عن طريق الهلال الأحمر، والهيئات الإغاثية الإسلامية الأخرى، كما خصص البنك ٥٠٠ مليون دولار للإسهام في المشاريع المختلفة، وتنمية القطاعات الاقتصادية الأخرى»، وتطرق رئيس البنك الإسلامي للتنمية لمساعدات البنك لفلسطين وقال: «مشروعات فلسطين مستمرة ومتواصلة، ولا تحضرني أرقام ولكن البنك يدعم صندوق القدس بمبالغ معتبرة لا بأس بها، وقد تم إقرارها في اجتماع القمة الاستثنائية في القاهرة، والبنك يدير هذه المساعدات.



إعداد: معن خليل

بنك بحريني ـ قطري إسلامي برأسمال ١٥٠ مليون دولار

يبدو أن ثمار التقارب بين الدوحة والمنامة لم تتوقف عند محطة المشروع الأمل الملقب بـ«جسر المحبة» الذي يوشك على الانطلاق في أول تجسيد عملي لبدء اجتماعات اللجنة البحرينية القطرية المشتركة التي ستختتم أعمالها في المنامة اليوم.

فمشروع آخر يتم التباحث بجدية حوله بين قيادات مصرفية من البحرين وقطر يتمثل في إنشاء أول بنك بحريني قطري إسلامي برأس مال «١٥٠» مليون دولار سيكون له مقران، أحدهما في الدوحة والآخر في المنامة.

وحسب مصادر مصرفية رفيعة المستوى في المنامة فإن هذا المشروع يتم حالياً التشاور بجدية في شأنه، حيث قام وفد مصرفي قطري بزيارة إلى مملكة البحرين خلال الأيام القليلة الماضية تم خلالها بحث رأس مال البنك والأنشطة التي سيتعامل فيها والهوية التي سينطلق منها والهيكلة الإدارية والمالية للمشروع المصرفي الكبير.

«بيتك» يسهم في إعادة تمويل مشروع للطاقة في دولة الإمارات

يشارك بيت التمويل الكويتي في إعادة تمويل مشروع محطة «الطويلة» للطاقة وتحلية المياه في مدينة «أبوظبي» في دولة الإمارات العربية المتحدة الذي يبلغ إجمالي تمويله ٥٤١ مليون دولار وحصة «التمويل الإسلامي» فيه ١٥٠ مليون دولار، فيما يشارك «التمويل التقليدي» بباقي المبلغ ضمن عمل «بيتك» الدائم للمشاركة في المشاريع الكبرى التي تخدم خطط التنمية في المجتمعات الإسلامية.

قطر تطرح صكوكاً إسلامية للتداول في بورصة ماليزيا

أصدرت الحكومة القطرية صكوكاً إسلامية بقيمة ٧٠٠ مليون دولار أميركي، في بورصة «لبوان» المالية الدولية في ماليزيا.

وتتمتع الصكوك القطرية بتقييم A+ من مؤسسة «ستاندرد آند بورز»، وتم اعتمادها من قبل السوق المالي الإسلامي الدولي في البحرين في سبتمبر ٢٠٠٣م، وشهد الاكتتاب عليها زخماً شديداً أكثر مما كان متوقعاً، وقد تم تعيين «كوميرس انترناشيونال ميرشانت بانكرز» CTMB كراع لتداول صكوك قطر العالمية، ويعتبر CTMB شركة تابعة مملوكة كلياً لـ«كوميرس انترناشيونال ميرشانت بانكرز»، وهي إحدى المؤسسات المالية الرائدة في ماليزيا، التي حازت في الآونة الأخيرة على جائزة الأعمال المالية الإسلامية من مجلة «يوروموني» في فئة بيت صكوك الأسواق المحلية، مما يعكس خبرة المؤسسة في الأعمال المالية الإسلامية.

تحالف «بنك البحرين الإسلامي» و«التكافل الدولية»

أعلن بنك «البحرين الإسلامي» و«شركة التكافل الدولية» إنشاء تحالف فيما بينهما، لتلبية التطور الملحوظ لأعمال التأمين عبر المصارف في الأسواق المالية العالمية الذي حاز على موقع متميز في أسواق الدول المتقدمة، ونتيجة للمرونة والتنظيم الذي تتمتع به أسواق المال في مملكة البحرين.

وقال المصرف والشركة - وهما مؤسستان ماليتان إسلاميتان: إنهما قررا تقديم منتجاتهما المشتركة في برنامج واحد للمواطنين البحرينيين والأجانب من خلال ترتيب باسم التكافل المصرفي.

وتعتبر هذه خدمة إضافية للعملاء وستمكن عملاء كلتا المؤسستين من شراء برامج ومنتجات تتيح القيام بتغطية متطلبات الأفراد لدى أي من المؤسستين وهما ملتزمتان بالترويج لخدمات التكافل المصرفي.

موجز اقتصادي

- أشار محافظ مؤسسة «نقد البحرين» أن الشيخ «أحمد بن خليفة آل خليفة» في مؤتمر مالي إسلامي، إلى أن الموجودات الإسلامية حالياً تقدر بنحو ٢٥٠ مليار دولار أميركي بالإضافة إلى موجودات مماثلة في الحجم تحت الأذرع الإسلامية للمصارف التقليدية.
- كشفت دراسة اقتصادية جديدة عن ارتفاع الودائع الإجمالية للمصارف العربية بنسبة تقدر بنحو ١٢,٧٪ لتبلغ نحو ٣٩٧,٣ مليار دولار نهاية العام الماضي ٢٠٠٣م.
- قال أستاذ في كلية التجارة «جامعة الأزهر» د.«فياض عبدالمنعم حسانين» إن المصارف الإسلامية تمثل تطوراً مهماً باعتبارها طليعة التطبيق الاقتصادي الإسلامي.
- وقَّع بيت التمويل الكويتي وبنك التعمير والإسكان المصري بروتوكول تعاون في مجال تمويل بيع وشراء الوحدات السكنية بما يعزز توجها البيت للتوسع في الأسواق الخارجية.

الساحة الأدبية

إعداد :
محمد هاني

التعليم وإشكالية التنمية

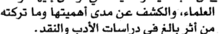


صدر كتاب الأمة الثامن والتسعون في سلسلة الكتب التي يصدرها: مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر. وهذا الكتاب .. يمكن أن يشكل لبنة في البناء التنموي، الذي يرتكز إلى المعرفة، كما يعتبر محاولة للانفكاك من واقع التخلف، والتحول من عملية الإحساس بإشكالية التخلف إلى محاولة إدراك أبعادها، ودراسة الأسباب المنشئة لها، والدعوة للنظر في كيفية التعامل معها، ووضع البرامج والخطط لمعالجتها، والتأكيد أن التعليم هو سبيل الخروج، وأن عجز التعليم عن العطاء إنما هو لأسباب خارجة عنه، فلا مناص من النظر فيها... إن معظم المفكرين والباحثين يرون أن إشكالية التنمية تكمن في نظام التعليم وآليات التربية والتنشئة.

والمشكلة ـ فيما نرى ـ أن واقع التعليم وآلياته وسياساته هو إفراز لذهنية الاستبداد، الذي يشكل قمة التخلف وأساسه... وأن فساد العملية التعليمية هو الذي أورث ذهنية الاستبداد، فهو مقدمة ونتيجة في الوقت نفسه... ومهما يكن من أمر، فإن المؤسسات المعرفية بعامة، والسياسات التعليمية الهادئة المبصرة بخاصة، قادرة على عزل مواقع الاستبداد وأثرها عن ضمير الأمة.. كما أنها قادرة على أن تحول التخلف إلى أداة لإيقاظ الأمة وشحذ فاعليتها، وجمع طاقاتها، ودفعها إلى التجاوز والنهوض.

ولا نزعم بأننا في هذا الكتاب قدمنا الحل للإشكالية، لكننا على الأقل عمقنا الإحساس بها، الذي نأمل أن يقود إلى الإدراك ويهدي إلى سبيل المعالجة.

دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن





اسم المؤلف: د.صلاح الدين محمد عبدالتواب، دار النشر: دار الكتاب الحديث.

عني المؤلف بدراسة الاتجاهات الأدبية والنقدية التي دارت حول الإعجاز القرآني، وتتبع هذه الاتجاهات لدى القدماء والمحدثين باختيار نماذج لدراساتهم تمثل جهودهم في هذا المجال، والوقوف على مدى ما توصل إليه كل منهم في محاولته لإبراز الجمال القرآني والتعرف إلى أوجه الإعجاز فيه كما اعتنى المؤلف بدراسة المقاييس الجمالية والفنية التي توصل إليها أولئك العلماء، والكشف عن مدى أهميتها وما تركته من أثر بالغ في دراسات الأدب والنقد.

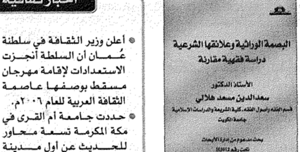
الدعاء ولحظات من الصفاء



اسم المؤلف: ناهد الخراشي، دار النشر: دار الكتاب الحديث

الكتاب يحوي بين صفحاته إشراقات نورانية في لحظات من الصفاء تعبر عن نتاج نبضات من الحب الإلهي ممتزجة بما نعيشه في هذا الزمان من أيام عصيبة ابتعد فيها الإنسان عن الله فيعود ليبحث عن حقيقته وسعادته بين تهذيب الأيام وتقويم الآلام طامعاً في رحمة الله، ونور الله، وهدى الله.

البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية
دراسة فقهية مقارنة



عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، صدر كتاب «البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية»، للدكتور سعدالدين مسعد هلالي، أستاذ الفقه وأصوله في كلية الشريعة في جامعة الكويت، وتأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية البصمة الوراثية وتأثيرها الخطير على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والقانونية في حياتنا المعاصرة، وقد تناول المؤلف في كتابه كل هذه الأمور وفق خطة بحث شاملة تتكون من فصل تمهيدي وبابين وخاتمة، أما الفصل التمهيدي فقد جعله المؤلف لتأصيل البحث في البصمة الوراثية من النواحي اللغوية والعلمية وبحوث الفقهاء المعاصرين، وأما الباب الأول فقد جعله للجانب النظري، حيث تناول فيه الأحكام التكليفية الوصفية للبصمة الوراثية، ولعل الجديد في هذا الباب ثلاثة أمور هي:

١ ـ إعادة النظر في تعريف العلم وفقاً للمصطلح الشرعي ليتعدى الرواية والدراية ويشمل معهما العلوم الكونية.

٢ ـ التحذير من إجراء البصمة الوراثية على من استقر نسبه.

٣ ـ مدارسة وتطبيق الحكم الجعلي على الوقائع المستحدثة كالبصمة الوراثية.

وأما الباب الثاني، فقد جعله المؤلف للجانب العملي، وتناول فيه الأحداث والوقائع التي تمسها البصمة الوراثية ولعل الجديد في هذا الباب خمسة أمور هي:

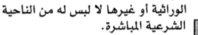
١ ـ فتح آفاق جديدة أمام رجال القضاء والقانون.

٢ ـ إثبات الهوية الشخصية بالبصمة الوراثية أو غيرها لا لبس له من الناحية الشرعية المباشرة.

٣ ـ التحذير من فشل نظام التبني علمياً.

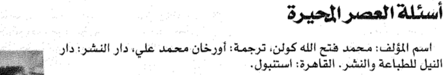
٤ ـ الدعوة إلى إعادة النظر في تنسيب ابن الزنى للفاعل.

٥ ـ لفت انتباه علماء الوراثة لفتح آفاق علمية جديدة في البحث عن أمرين هما: أثر الرضاع وعلاقته بقرابة النسب لحسم كثير من المسائل الخلافية والبحث في مدى إمكانية تنسيب الولد لأكثر من أب كما هو مذهب الحنفية والحنابلة عند التنازع.

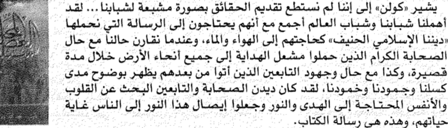

د. سعدالدين هلالي

وأما الخاتمة فكانت أشبه بنداء للعلماء العاملين في مجال الفقه الإسلامي لاتخاذ هذا البحث علماً للمسائل الجديدة ومسايرة الأحداث والمسائل الجديدة انطلاقاً من المصدرين الرئيسين القرآن الكريم والسنة النبوية.

أسئلة العصر المحيرة



اسم المؤلف: محمد فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النشر: دار النيل للطباعة والنشر. القاهرة: استنبول.



يشير «كولن» إلى إننا لم نستطع تقديم الحقائق بصورة مشبعة لشبابنا... لقد أهملنا شبابنا وشباب العالم أجمع مع أنهم يحتاجون إلى الرسالة التي نحملها «ديننا الإسلامي الحنيف» كحاجتهم إلى الهواء والماء، وعندما نقارن حالنا مع حال الصحابة الكرام الذين حملوا مشعل الهداية إلى جميع أنحاء الأرض خلال مدة قصيرة، وكذا مع حال وجهود التابعين الذين أتوا من بعدهم يظهر بوضوح مدى كسلنا وجمودنا وخمودنا، لقد كان ديدن الصحابة والتابعين البحث عن القلوب والأنفس المحتاجة إلى الهدى والنور وجعلوا إيصال هذا النور إلى الناس غاية حياتهم، وهذه هي رسالة الكتاب.



أخبار ثقافية

- أعلن وزير الثقافة في سلطنة عُمان أن السلطة أنجزت الاستعدادات لإقامة مهرجان مسقط بوصفها عاصمة الثقافة العربية للعام ٢٠٠٦م.
- حددت جامعة أم القرى في مكة المكرمة تسعة محاور للحديث عن أول مدينة إسلامية تم اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠٠٥م، أي مكة المكرمة، وذلك بناء على الاقتراح المقدم من وزراء الثقافة في العالم الإسلامي في المؤتمر الذي عقد أخيراً في الدوحة.
- منحت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية جائزة هذا العام، وموضوعها «الدراسات التي عنيت بالقواعد الفقهية» مناصفة بين الدكتور علي أحمد غلام ندوي الهندي الجنسية، والدكتور يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين السعودي الجنسية.
- أعلن الدكتور محمد بن إبراهيم التويجري المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الإدارية عن إطلاق أول موسوعة للإدارة العربية الإسلامية التي استمر إعدادها ثلاث سنوات، وتتكون من سبعة مجلدات.
- دار الكلمة «المصرية» أصدرت الحلقتين الثامنة والتاسعة من كتاب الفيلسوف الألماني «فريدريك هيجل» مترجمة إلى العربية وتتناول الحلقتان أدلة وجود الله.
- جاء في استطلاع أجرته شبكة «اي بي سي» الأميركية أن أغلبية الأميركيين يؤمنون بما جاء من قصص في الكتاب المقدس لكنهم يرفضون الفكرة التي وردت في إنجيل «متى» أن اليهود كانوا مسؤولين عن موت المسيح!

والله أعلم

التصدق بالفوائد الربوية

عُرض السؤال المقدم من المدعو محمد، وهو: رجل وضع مبلغاً من المال في أحد البنوك، وبعد مضي مدة وجد أن له فائدة زيادة على المبلغ الأصل، فهل يجوز له أن يأخذ هذه الفائدة ويعطيها للفقراء؟

أجابت اللجنة: يحرم على المسلم أن يضع أمواله في البنوك الربوية وأخذ الفائدة عليها، ومن أخذ هذه الفوائد ناسياً أو جاهلاً ثم تاب فله أن يضعها في مصلحة عامة للمسلمين، ولا يعتبرها من أموال الزكاة ولا ينفقها على نفسه ولا على من تجب عليه نفقته.

هذه الفتاوى منتقاة مما يصدره قطاع الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

كفارة اليمين بالحرام

قبل نحو سنة تقريباً، حلفت على زوجتي يميناً قلت فيه: «عليَّ الحرام ما تكلمي جارتك، وإن كلمتيها لن تبقي بالبيت»، وهذا هو اليمين الوحيد الذي حلفته طوال مدة زواجي البالغ ثماني سنوات.

وسألته اللجنة: هل كلمت زوجتك الجارة؟ فأجاب بالنفي.

ثم سألته: هل ترغب في أن تكلمها؟ فقال: نعم.

ـ أجابت اللجنة:

أنه إذا كلمت زوجة السائل جارتها، فعليه كفارة يمين، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ولا يقع بهذا اليمين طلاق، وننصح بتقوى الله، وعدم الحلف بغير الله تعالى.

الحنث في يمين فيه قطع رحم

منذ سنتين سبق أن حلفت قائلاً: (عليَّ الطلاق من زوجتي ـ لا تدخل بيت أختها)، بسبب تعنت أختها في قبول مصالحتي بينهما قبيل الزواج، وحتى الآن لم تدخل بيتها بالرغم من الصلح، أرجو إفادتي بالحكم الشرعي؟

ـ أجابت اللجنة:

إن هذا اليمين فيه قطع لصلة الرحم، وعلى السائل أن يسمح لزوجته بدخول منزل أختها، ثم بعد دخولها يخرج كفارة يمين، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وننصح بعدم الحلف بغير الله تعالى.

بيان من لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى بشأن التوضيح المنشور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد اطلعت لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى، على ما نشر في الصفحة ٦ من العدد (٤٦١) من مجلة الوعي الإسلامي، الصادر في شهر المحرم سنة ١٤٢٥هـ، تحت عنوان: «توضيح» وهو تعقيب من د. «عبدالرحمن عبداللطيف النمر»، على فتوى لجنة الأمور العامة رقم (٣/٢٣ع / ٨٩) المنشورة في عدد شهر رمضان الماضي من مجلة الوعي الإسلامي، ونصه: «نشرت مجلتكم الغراء في عدد شهر الصوم المعظم، فتوى ص٩٦، مفادها: أن الصائم في نهار رمضان إذا نوى الإفطار ولكنه لم يأكل ولم يشرب واستمر في صيامه، فإن صيامه صحيح. والصواب: أن صيامه غير صحيح، إذ النية ركن من أركان الصيام، لا يصح إلا بها، وقد رجعت في ذلك إلى كتب الفقه فلم أقع فيها على الرأي الذي ذهبت إليه لجنة الفتوى، وقد رأيت أن أبين ذلك لكم من باب النصح لدين الله عز وجل. قال الشيخ العلامة «صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان»: «يجب على المسلم تعيين نية الصوم الواجب من الليل، كصوم رمضان، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، وعن السيدة «عائشة» رضي الله عنها، مرفوعاً: «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»، فيجب أن ينوي الصوم الواجب من الليل. اهـ بتصرف يسير، انظر: «الملخص الفقهي»، الجزء الأول، ص٢٤٧، طبعة دار ابن الجوزي، الرياض ١٤١٩هـ، وقال العلامة الشيخ «السيد سابق»: «من نوى الفطر، وهو صائم، بطل صومه وإن لم يتناول مفطراً، فإن النية من أركان الصيام، فإذا نقضها قاصداً الفطر ومتعمداً، انتقض صيامه لا محالة، انظر «فقه السنة» ـ الجزء الأول ـ ص٥٢٢، باب: ما يبطل الصيام، طبعة الفتح للإعلام العربي، تحقيق العلامة الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني»، ١٤١٩هـ، نرجو التكرم بمراجعة لجنة الفتوى الموقرة فيما أفتت به، تبياناً للحق، ونصيحة لدين الله تبارك وتعالى، والله سبحانه أسأل أن يوفقنا وإياكم، وجميع الأحبة في مجلتنا القيمة، وفي

حكم محلات التسلية والترفيه

عُرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في اجتماعها المنعقد في ١٢ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/٦م، الاستفتاء التالي ونصه:

نتقدم إليكم بهذا السؤال، طامعين بالحصول على إجابة شافية له، ويتعلق سؤالنا بظاهرة غير أخلاقية خطيرة انتشرت أخيراً، تتمثل في وجود محلات ترفيه وتسلية «بلياردو ـ سنوكر ـ إنترنت»، وهذه المحلات تقوم بالخدمة فيها نساء من جنسيات مختلفة، معظمهن في سن الشباب، وبلباس شبه عار ويستمرون في المحل مع الشباب المراهق إلى ما بعد منتصف الليل، وبما أن أغلب مرتادي هذه المحلات هم من الشباب المراهق، فقد حصل بسبب ذلك شر عظيم، وفساد عريض، كما شهد بذلك جمع من أهل الثقة والغيرة، وبناء على ما تقدم نوجه إليكم السؤالين التاليين:

١ ـ هل يجوز لأصحاب المحلات أن يقوموا باستخدام النساء لتقديم الخدمة في هذه المحلات؟

٢ ـ هل يجوز لأصحاب العمارات والمجمعات أن يؤجروا عقاراتهم إلى أصحاب المحلات هذه، والحال كما ذكرت؟

نرجو إفادتنا عن الواجب على ولي الأمر بأجهزته المختلفة تجاه هذه الظاهرة الخطيرة.

أجابت اللجنة بما يلي:

١ ـ تأجير المحال بغرض مزاولة هذه الألعاب المسؤول عنها «البليardo ـ والسنوكر ـ والإنترنت» إذا كانت هذه الألعاب يصاحبها محرَّم كالقمار والاختلاط غير المشروع، وكان المؤجر عالماً بما يحيط بها من محرَّمات، فإنه لا يجوز تأجيرها لذلك.

٢ ـ وتشغيل الفتيات ـ على الصفة الواردة في الاستفتاء ـ في هذه المحلات التي يرتادها المراهقون والشباب ممنوع شرعاً.

وتوصي اللجنة الجهات المختصة في الدولة أن تراقب هذه المحلات بعناية دفعاً للفتنة، وحماية لأخلاق الشباب وأمن المجتمع، والله تعالى أعلم.

من أحد قراء مجلة الوعي الإسلامي المتعلق بإحدى فتاوى اللجنة

لجنة الفتوى، وفي وزارة الأوقاف، إلى ما يحب ويرضى، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا آمين آمين».

انتهى تعقيب د.«عبدالرحمن عبداللطيف النمر».

بيان من لجنة الفتوى في الكويت رداً على ما طرحه الدكتور النمر في ص(٩٦) في العدد (٤٦١):

تشكر اللجنة الدكتور «النمر» على حرصه على صحة الأحكام الشرعية، وتوضيحاً لصحة الحكم في الموضوع المذكور نبيِّن ما يلي:

١ ـ ما ذهبت إليه لجنة الفتوى ـ في فتواها المشار إليها ـ من عدم فساد صوم من نوى الفطر في نهار رمضان، ولم يفطر فعلاً، هو مذهب الحنفية والشافعية، خلافاً للمالكية والحنبلية، ولكل من الفريقين أدلته المعتبرة المفصَّلة في كتبه المتخصصة، ويمكن للدكتور «النمر» الرجوع إليها، ومنها الموسوعة الفقهية التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، في الجزء ٢٨ الصفحة ٢٦ الفقرة ٣٣ في مصطلح «صوم».

وعليه فلا يكون لتعقيب الدكتور «النمر» محل، لأن الفقهاء متفقون على عدم الرد على المختلف فيه بين الفقهاء المعتبرين، بل على المخالف للمتفق عليه بينهم فقط.

٢ ـ ما استدل به السيد «النمر» من كلام فضيلة الشيخ «صالح بن فوزان» لا محل للاستدلال به، لأن فضيلته تحدث عن تبييت النية، وهو موضوع آخر، غير قطع النية في أثناء نهار الصوم.

٣ ـ قول السيد «النمر»: (وقد رجعت إلى كتب الفقه فلم أقع فيها على الرأي الذي ذهبت إليه لجنة الفتوى يُجاب عنه بأن الرأي منصوص عليه في مراجع كثيرة، منها الكتب التالية: «رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين (٨٧/٢)، و«كتاب حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح» ص٤٢٤، و٤٣٣ وهما من كتب الحنفية، وكتاب «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٣٢٦/٢)، و«مغني المحتاج» (٤٢٤/١)، وهما من كتب الشافعية، وغيرها).

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

لجنة الأمور العامة
في هيئة الفتوى

مسك الختام

بقلم: الأستاذ الدكتور: جابر قميحة

إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم

على مدى ثلاثة عشر عامًا ظل النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو قومه إلى الدين الحق، ولم يستجب إليه إلا القليل، وكان أغلبهم من الفقراء والعبيد والمستضعفين، وتحمّل الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وأصحابه من الأذى ما يفوق طاقة البشر إلى أن أذن الله له وللمسلمين بالهجرة، وفي المدينة أقام النبي صلى الله عليه وسلم دولة تقوم على الحق والخير والأخوة والبر والرحمة والإنسانية، وكان بينه وبين قريش معارك ضارية، انتصر في معظمها.

ومن المدينة إلى مكة نواكب أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام وأقواله، فنجدها جميعاً من دون استثناء تتدفق بالإنسانية الحانية، بعيدًا عن الصلف والغرور، ومشاعر الانتشاء التي تستبد بالقادة في مواقف النصر، ونشير في هذه العجالة إلى بعض المواقف النبوية الإنسانية:

لقد كان ضمن الجيش الزاحف ما يُسمَّى «الكتيبة الخضراء»، أو «كتيبة الحديد»، وهي كما نسميه اليوم «الكتائب المدرعة»، وكان عليها «سعد بن عبادة»، الذي أخذه شيء من الزهو، فصاح: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشًا، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، وقال: «لا يا سعد، بل اليوم يوم الرحمة، اليوم تقدس الحرمة، اليوم أعز الله قريشاً»، وبينما كان الجيش يزحف إلى مكة رأى كلبة ترضع أولادها، فخشي أن يسحقها الزاحفون دون أن يشعروا بها، فأمر «جعيل بن سراقة» أن يقوم حذاءها، حتى لا يعرض لها أحد من الجيش، ولا لأولادها، وأمر المسلمين أن يدخلوا مكة بروح الموادعة والرحمة والمسالمة بلا قتال.

ووسع الملاذ لمن يريد الأمان من المشركين، فأعلن صلى الله عليه وسلم: «من دخل داره فهو آمن، ومن دخل البيت الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ودخل مكة في تواضع عجيب، حيث كان يركب ناقته القصواء، وقد أحنى رأسه على رحله تواضعًا، حتى كادت تمس لحيته الرحل من شدة التواضع، وهو يقول: «لا عيش إلا عيش الآخرة».

وأعلن العفو العام عن قريش بمقولته الكريمة الشهيرة «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وأعلن في خطابه لأهل مكة أصول القيم الإنسانية العليا: «أيها الناس لقد أذهب الله عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بآبائها، فالناس رجلان: بر تقيّ كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:١٣).

حقًا لقد كان فتح مكة فتحًا حقيقيًا لآفاق من الخير والحق والبر والنور والإنسانية، فعليك الصلاة والسلام يا رسول الله■

الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت



islam.gov.kw